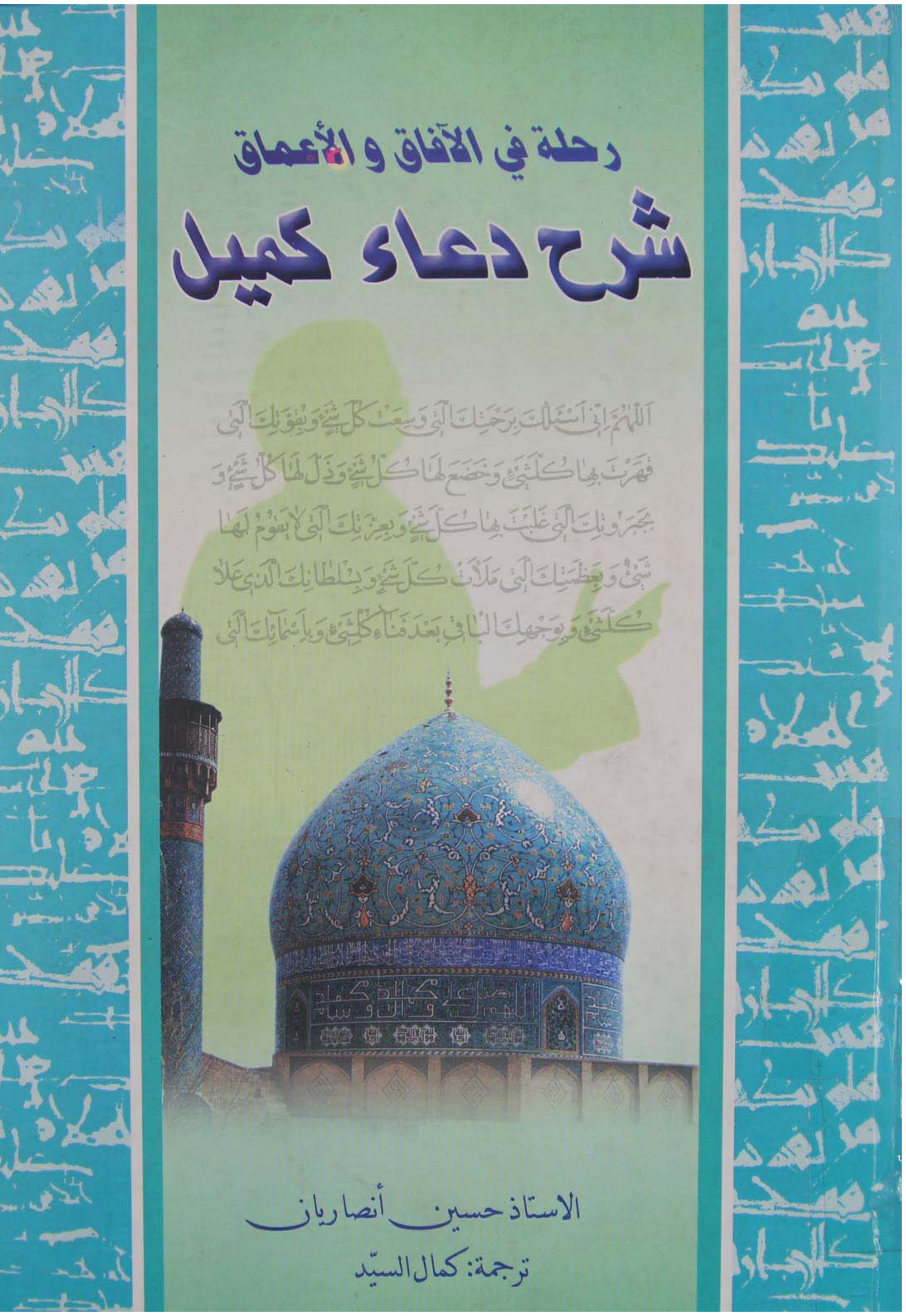

رحلة في الآفاق و الأعماق
شرح دعاء كميل
اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء وبقوتك التي
قهرت بها كل شيء وخضع لها كل شيء وذل لها كل شيء و
بجبروتك التي غلبت بها كل شيء وبعزتك التي لا يقوم لها
شيء وبعظمتك التي ملأت كل شيء وبسلطانك الذي علا
كل شيء وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء وبأسمائك التي
الاستاذ حسين أنصاريان
ترجمة: كمال السيّد



www.haydarya.com



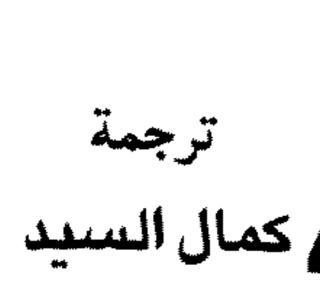
رحلة

في الآفاق والأعماق

شرح دعاء كميل

تأليف

حسين انصاريان



ترجمة

كمال السيد

دعاء كميل، شرح.
مرحلة في الآفاق والأعماق شرح دعاء كميل/ تأليف حسين انصاريان؛ ترجمة كمال السيد.- قم: انصاريان، ١٣٨٣ = ٢٠٠٤.
٤٠٨ ص.
عنوان أصلي: شرح دعاى كميل.
ISBN: 964-438-593-4
١. دعاء كميل. ٢. دعا. الف. انصاريان، حسين، ١٣٢٣- .
ب . السيد، كمال، مترجم. ج. عنوان.
BP٢٩٦/٥٠٢/٥٠٤٥ألف
٢٩٧/٧٧٤

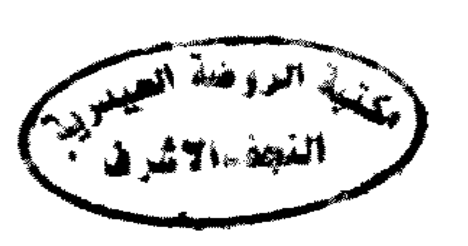
رحلة في الآفاق والأعماق

شرح دعاء كميل

المؤلف: حسين انصاريان
ترجمة: كمال السيد
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر- قم
الطبعة الأولى ١٣٨٣ - ٢٠٠٤ - ١٤٢٥
المطبعة: نگين - قم
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٤٠٨ ص.
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي(ISBN): ٩٦٤-٤٣٨-٥٩٣-٤



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariyan.net



بسم الله الرحمن الرحيم

بسمه تعالی

كلمة الناشر

الدعاء حديث الانسان إلى ربه وعلاقة المخلوق مع خالقه؛ والعرفاء يعدّون الدعاء التزاماً عملياً بالتوحيد؛ ولذا نرى الأنبياء والرسل والأئمة من أهل البيت عليهم السلام يولون أهمية بالغة للدعاء. ويبرز دعاء كميل كواحد من أهم الأدعية؛ التي تعدّ ينابيع للفيض الالهي لما ينطوي عليه من مضامين عرفانية سامية، حتى قيل عنه: «إنسان الأدعية».

ودعاء كميل ووفقاً لما ورد في الروايات صدر من ينابع النبوّات فهو كلمات الخضر جرت على لسان سيّدنا وامامنا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولذا شغل منزلة مرموقة لدى أهل البيت عليهم السلام فاحتفوا به جميعاً.

من هنا يُعتبر دعاء كميل مدرسة كبرى عميقة الغرر لما تشتمل عليه من مسائل غاية في الأهمية في الحياة الروحية والانسانية وقد تصدّىٰ إلى شرحه الأستاذ القدير الشيخ حسين أنصاريان وقد أبدع في ذلك لما امتازت به شخصيته من خصال ولاطلاعه الواسع على المصادر الاسلامية الأصيلة ولما عرف عنه من ارتباط روحي عميق مع هذا الدعاء الكريم، فكان هاجسه احياء كلماته ومعانيه في ضمير ووجدان وفكر الانسان؛ فجاءت شروحه مستندة إلى أُسس وركائز قرآنية وروائية وعرفانية.

وانطلاقاً من العلاقة الروحية والوجدانية التي تربط المؤلف بهذا الدعاء الشريف وما يحظى به قلمه من اشعاع؛ فقد جاء شرحه لدعاء كميل ذلك السفر الجليل زاخراً بالعلم والمعرفة والفكر الأصيل.

نأمل أن يفتح هذا الكتاب لطلاب المعرفة وعشاق الثقافة الاسلامية نافذة على عوالم هذا الدعاء الكريم.

مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر

قم المقدسة ـ إيران

بسمه تعالى

قبس من حيات المؤلف

قدّمت مدينة « خوانسار » وعلى مدى قرون وجوهاً مشرقة للانسانية كان من بينها علماء كبار كالمرحوم آية الله العظمى السيد حسين الخوانساري رحمه الله والمرحوم آية الله العظمى السيد جمال الخوانساري رحمه الله والمرحوم آية الله العظمى السيد محمّد تقي الخوانساري رحمه الله والمرحوم آية الله العظمى السيد أحمد الخوانسارى رحمه الله وآلاف العلماء ممن نشأوا في هذه المدينة العريقة.

ولد سماحة الأستاذ الشيخ حسين الأنصاريان في أبان سنة ١٣٢٣ هـ ش حيث فتح عينيه في هذه المدينة المباركة من ايران الاسلامي.

وأسرته معروفة بأسرة الحاج شيخ وقد اشتهرت هذه الأسرة بالتدين والخدمات الدينية وكثير منهم من العلماء الأعلام حيث المرحوم الفقيه آية الله العظمى الشيخ موسى أنصاريان رحمه الله من أعرف وجوه هذه الأسرة العلمية والدينية.

يقول الامام الخميني رحمه الله فيه:

« لم أجد كتاباً في فقه الصلاة أجود من كتاب المرحوم آية الله أنصاريان ».

وللمرحوم عشرات الآثار الأخرى فـ« *منية الطالب* » الذي هو تقريراته في دروس المرحوم النائيني من أبرزها.

قلّده معظم أهالي النجف الأشرف بعد رحيل آية الله العظمى الأصفهاني، ولكن الأجل لم يمهله فتوفي إثره بمدة قليلة.

أما نسبه من والدته وهي من علويات البيت المصطفوي وجدّه من أمه شخصية معروفة يقصدها كثير من العلماء القادمين من النجف وقم حيث منزله مفتوح لاستضافتهم وإقامتهم.

يروي الأستاذ إحدى ذكرياته يوم كان في الثالثة من عمره:

« جئت إلى بيت جدّي ذات يوم آية الله العظمى محمّد تقي الخوانساري ﷺ، كنت يومها طفلاً فتحت الباب على غرفة الضيوف وقصدته وجلست في حضنه فأراد جدّي أن يأخذني إلى العيال فمنعه وراح يمسح على رأسي وسألني ماذا تحب أن تصبح في المستقبل؟ قلت: أريد أن أصير مثلك، فدعا لي...

« وما يزال طيف تلك ماثلاً أمامي كأحلى ذكرى في حياتي ».

شاء القدر أن تنتقل أسرته إلى طهران وهو ما يزال في الثالثة من عمره وقد قطنت أسرته في احدى المحلّات المحافظة التي كانت تعرف بـ« شارع خراسان ».

وكان عالم المحلّة يومئذٍ المرحوم آية الله الحاج الشيخ علي أكبر برهان ﷺ فتتلمذ الاستاذ على يديه وهو ما يزال في نعومة أظفاره، وقد أثر في حياته تأثيراً بالغاً ممّا جعله يقول: « أنه لم ير له نظيراً أبداً ».

كان آية الله برهان عالم جليل ومجتهد تقي وكان يؤم المسلمين في جامع « لرزاده » وكانت شخصيته تنطوي على جاذبية شدّت إليها الجميع من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير... وكان مهتماً بتعليم الجميع وتربيتهم، فافتتح مدرسة في الجامع وأخذ على عاتقه مهمة التدريس من المراحل الابتدائية.

يروي الأستاد أنصاريان ذكرياته في تلك الفترة قائلاً:

« طالما سمعت المرحوم أستاذنا يكرر من فوق المنبر أنه لا يود أن يموت في طهران ويدفن فيها وكان يدعوالله في ذلك في الليالي الاحياء بعيون دامعة، فكان عاقبة أمره أن توفاه الله سبحانه وتعالى في سنة ١٣٣٨ في الحج إلى بيت الله الحرام ودفن في مدينة « جدّة » وكان عمري يومئذٍ أربعة عشر عاماً ».

وأنس الأستاذ من طفولته مع وجوه مشرقة مثل مرحوم آية الله السيد محمّد تقي غضنفري رحمه الله إمام مسجد «دوراة» في خوانسار، ويروى ذكرى أخرى عنه:

«انتظمت في سلك الدراسة الدينية ووصل خبر ذلك إلى المرحوم غضنفري، رتب بهذه المناسبة حفلاً دعا أقارب والدي وعدداً من أهالي المحلة وقد كان لذلك من الأثر في نفسي كبير حيث شجعني على مواصلة طلب العلم بهمة عالية وارادة لا تعرف الخور».

وكان رحمه الله عالماً عاملاً زاهداً وأقام صلاة الجمعة سنوات كثيرة في مدينة خوانسار.

ومن الوجوه المشرقة التي تأثر بها الأستاذ هو المرحوم آية الله سيد حسين علوي الخوانساري رحمه الله وكان من المجتهدين المبرزين وله حوزة علمية تتلمذ فيه عدة من محصلي علوم الدينية ويستفادون منه وكان قد عاد من النجف مجتهداً بتصديق أسانيده ويستقر في خوانسارژ.

يقول الأستاذ أنصاريان عن المرحوم:

«عندما ارتديت زي الطلبة وذهبت لزيارة جدي لأمي المرحوم السيد محمّد باقر مصطفوي رحمه الله وجدّتي وقومي في خوانسار دعاني أحدهم لاقامة مجلس حسيني لمدّة عشرة أيام في مسجد «آقا أسد الله» قلن نعم، وارتقيت المنبر في يوم الأول فرأيت المرحوم ـ آية الله علوي ـ كان ضمن الجالسين فتعجبت أن يجلس مثله إلى منبر مثلي وأنا شاب، قلت في نفسي لعل له علاقة مع صاحب المجلس فجاء للمجاملة ولكن يا للعجب لقد رأيته في جميع تلك الليالي وعرفت أنه كان يحضر من أجل تشجيعي».

من الوجوه الأخرى هو آية الله الحاج السيد محمّد علي بن الرضا الخوانساري دامت بركاته وكانت له معه علاقة نسب وهو عالم زاهد متخلق ويقول فيه المؤلف:

«منذ أيام الصبا استقر في ذهني منه حفظه الله نقطة أساسية أصبح لها الأثر الكبير في حياتي وهي مواظبته على زيارة سيدنا الحسين عليه السلام في ليلة كل جمعة بعد صلاة

العشاء وهي الزيارة المعروفة بـ« زيارة وارث » وكان يقرأها قائماً في حال عجيبة تؤثر في الكثير من الناس ممن يحضر تلك الزيارة ».

وكان للمؤلف علاقة طيبة جداً مع المرحوم الهي قمشأي رحمه الله حيث كان يحضر دروسه في الاخلاق.

وقد ساعدت جميع هذه العوامل في تحديد مسار دراسة الأستاذ المؤلف فما ان أكمل دراسة الثانوية حتى اتخذ سمته صوب الدراسة الدينية بمشورة مع الاستاذ قمشأي.

انتهل المؤلف دروسه الدينية في حوزتي قم وطهران، ففي طهران بعد اتمام الآداب درس معالم الأصول على يد آية الله الميرزا علي فلسفي دامت بركاته وكان قد خلف « برهان » في امامة المؤمنين في « جامع لرزداه » وآية الله فلسفي حصل على اجازة الاجتهاد من السيد الخوئي.

وقد استجاز المؤلف من آية الله فلسفي للرحيل إلى حوزة القم وقد بلغ من اهتمام آية الله فلسفي بالمؤلف أنه كان يرعاه رعاية خاصة وودعه إلى قم بعد أن أهداه حديثاً عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله :

« من كان لله كان الله له ».

ويقول المؤلف أنه منذ ذلك اليوم وهو يسعى أن يكون لله ومع الله عزوجل وأنه لمس عن قرب أنه متى كان كذلك كان الله معه دائماً، وأن الله ينصر من ينصره.

وقد تم تعرف المؤلف على أساتذة قم ودرس على أيديهم العلوم الدينية في طليعتهم المرحوم آية الله الحاج الشيخ عباس الطهراني رحمه الله وكان يواظب على حضور دروس الاخلاق التي كان يلقيها الحاج السيد حسين الفاطمي يقول عنها المؤلف: كانت أحاديث مفعمة بالحب والدموع.

وقد تلبّس بلباس روحاني على يد المرحوم آية الله الحاج الشيخ عباس الطهراني رحمه الله وانتهل علوم الدين ـ الرسائل والمكاسب والكفاية ـ على أيدي ـ أساتذة أجلاء منهم آية الله اعتمادي وآية الله العظمى لنكراني وآية الله صالحي نجف آبادي وآية الله صانعي وبعد أن أتم دراسته السطوح العالية ولج مرحلة الاستنباط في الفقه الأصول أو ما يعرف « درس الخارج » فدرس في أيدي كبار الفقهاء كالمرحوم آية الله السيد محمّد محقق داماد رحمه الله وآية الله العظمى منتظري والمرحوم آية الله العظمى

ميرزا هاشم الآملي ﷺ وكان حصيلة ذلك تقريرات قيمة في الفقه والأصول.

ولا ننسى دراسته الحكمة على يدي آية الله الكيلاني وآية الله جوادي آملي.

وقد أجيز المؤلف علماً ورواية من قبل كثير من العلماء منهم: المرحوم آية الله العظمى الميلاني ﷺ والمرحوم آية الله العظمى الآخوند الهمداني ﷺ والمرحوم آية الله كمرهاي ﷺ والمرحوم آية الله العظمى الكلبايكاني ﷺ والمرحوم آية الله العظمى السيد أحمد الخوانساري ﷺ والمرحوم آية الله العظمى المرعشي النجفي ﷺ والمرحوم آية الله العظمى الامام الخميني ﷺ، وبعد هذه المرحلة ولج سماحة الأستاذ أنصاريان عالم التأليف والتحقيق والتبليغ، وقد نتج عن هذه المرحلة التي امتدت إلى حوالي ثلاثين سنة أربعة آلاف محاضرة في مواضيع متنوعة وأكثر من أربعين كتاباً تقع في حدود ستين مجلداً وكلها خلال اقامته الاجبارية في مدينة طهران.

المؤلفات:

١ ـ به سوى قرآن واسلام
٢ ـ فروغى از تربيت اسلامى
٣ ـ با كاروان نور
٤ ـ توبه، آغوش رحمت
٥ ـ مرز روشنايى (مجموعة شعرية)
٦ ـ مناجات‌عارفان (مجموعة شعرية)
٧ ـ چشمه‌سار عشق (مجموعة شعرية)
٨ ـ گلزار محبت (مجموعة شعرية)
٩ ـ مجموعهٔ‌غزليات (مجموعة‌شعرية)
١٠ ـ سيماى نماز
١١ ـ عبرتهاى روزگار
١٢ ـ نسيم رحمت
١٣ ـ اخلاق خوبان
١٤ ـ نظام خانواده در اسلام
١٥ ـ در بارگاه نور
١٦ ـ چهل حديث
١٧ ـ حج وادى أمن
١٨ ـ چهره‌هاى محبوب‌ومنفور در قرآن
١٩ ـ ترجمهٔ قرآن كريم
٢٠ ـ ترجمه وبازنويسى مفاتيح الجنان
٢١ ـ ترجمهٔ نهج البلاغه
٢٢ ـ ترجمهٔ صحيفهٔ سجاديه
٢٣ ـ راهى به سوى اخلاق اسلامى
٢٤ ـ ولايت‌ورهبرى‌ازديدگاه‌نهج‌البلاغه
٢٥ ـ شرح دعاى كميل

٢٦ ـ زيبايیهاى اخلاق
٢٧ ـ مجموعة مقالات (تحت الطبع)
٢٨ ـ فضل ورحمت (تحت الطبع)
٢٩ ـ أهل بيت عليهم السلام (تحت الطبع)
٣٠ ـ عبوديت (تحت الطبع)
٣١ ـ معاشرت (تحت الطبع)
٣٢ ـ مهر ومحبت (تحت الطبع)
٣٣ ـ شفا در قرآن (تحت الطبع)
٣٤ ـ نفس (تحت الطبع)
٣٥ ـ عرفان (تحت الطبع)
٣٦ ـ تقريرات درس المرحوم آية الله العظمى الحاجي ميرزا هاشم آملى (مخطوط)
٣٧ ـ تقريرات درس الخارج للمرحوم آية الله العظمى الحاج شيخ ابوالفضل نجفي خوانساري (مخطوطه)
٣٨ ـ عرفان اسلامى (شرح مصباح الشريعة) ١٢ مجلدات
٣٩ ـ ديار عاشقان (شرح صحيفة سجاديه) ٧ مجلدات
٤٠ ـ لقمان حكيم
٤١ ـ اسلام وكار وكوشش
٤٢ ـ اسلام وعلم ودانش
٤٣ ـ امام حسن عليه السلام را بهتر بشناسيم
٤٤ ـ معنويت ، اساسی‌ترين نياز عصر ما

ترجم له الآن :

١ ـ باكاروان نور (إلى الانكليزية)
٢ـ نظام خانواده دراسلام(إلى الانكليزية)
٣ ـ نظام خانواده در اسلام (إلى الاردو)
٤ ـ نظام خانواده در اسلام (إلى اللغة العربية)
٥ ـ شرح دعاى كميل (إلى اللغة العربية)
٦ ـ توبه آغوش رحمت (باللغة العربية تحت الطبع)
٧ ـ توبه آغوش رحمت (باللغة الانكليزية تحت الطبع)
٨ ـ توبه آغوش رحمت (بالعربية تحت الطبع)
٩ ـ لقمان حكيم الاردو (تحت الطبع)
١٠ ـ شرح دعاى‌كميل(الاردوتحت الطبع)
١١ ـ شرح دعاى كميل (الانكليزية تحت الطبع)
١٢ ـ نظام خانواده در اسلام (الروسية تحت الطبع)
١٣ ـ نظام خانواده در اسلام (بالتركية الاسطنبولية تحت الطبع)
١٤ ـ شرح دعاى كميل (آذري كريل)
١٥ ـ نظام خانواده (آذري كريل)
١٦ ـ نظام خانواده (تركيه استانبولي)

بسمه تعالى

كلمة المؤلف

كنت في حادية العشرة من عمري، وكان والدي يأخذني معه في ليالي شهر رمضان الكريم إلى المجالس الدينية التي كانت تقام يومئذ في طهران.

وكان المرحوم الحاج السيد محمّد مهدي لالهزاري وكان عالماً تقياً ورعاً يرشد الناس ويعظهم وكانت كلماته الطيبة تسحر الناس بأثرها وروعتها.

وكان ﷺ يقرأ في ليالي الجمعة دعاء كميل بصوت شجيّ فتخرج كلمات الدعاء ممتزجة بدموعه، وقد اطفئت المصابيح وكان صوته ينساب في تلك الليالي المباركة ولم نكن نسمع صوتاً غيره. حتى ان المرء يشعر ان نهراً هادئاً ينساب ويجري يسقي القلوب العطشىٰ ويروي النفوس الظامئة.

استطيع القول اني كنت مفتوناً بذلك الدعاء حتى انني حفظته عن ظهر قلب، وكنت لا أنفك اردد كلماته بصوت حالم واشعر أنّ كلمات الدعاء تتدفق من قلب سيدنا علي، وانها تستحيل إلى نبع يتدفق ويجري ويغسل القلوب، ويطهر النفوس.

ولما جئت إلى قم وقد انتظمت في سلك الحوزة العلمية لدراسة العلوم الدينية، أخذت على نفسي اقامة مجلس في ليالي الجمعة لقراءة هذا الدعاء الكريم؛ وسرعان ما أصحبحت مجالس قراءة هذا الدعاء ظاهرة في ايران كلّها

وفي خارج ايران أيضاً وشهدت تلك المجالس اقبالاً من الناس منقطع النظير.

وها أنا أجد نفسي وقد وفقني الله عزوجل إلى شرح هذا الدعاء الجليل آملاً أن يفيد منه الجميع.

ختاماً أتقدم بالشكر والتقدير إلى قسم التحقيق في مؤسسة دار العرفان التي نهضت بمهام التقويم والتنقيح وكذا نشر هذا الجهد المتواضع سائلاً العلي القدير أن يمنّ على الجميع بالموفقية والرشاد.

الفقير إلى مولاه

حسين أنصاريان

بسم الله الرحمن الرحيم

نظرة إلى الدعاء

الدعاء؛ اظهار الحاجة في رحاب من لا يحتاج إلى أحد.

الدعاء؛ التعبير عن الفقر والمسكنة والبؤس في حضرةالغني المطلق ومالك الوجود بأسره.

الدعاء؛ مدّ الأيدي والأكفّ الخالية من كل شيء باتجاه الكريم السخيّ الكريم واظهار العجز أمام القادر المتعال.

الدعاء؛ طلب النجدة والغوث من العبد الضعيف المسكين الذليل المستكين البائس إلى الخالق الرحيم والربّ الكريم والحكيم اللطيف والسميع البصير.

الدعاء؛ تعبير عن التواضع والخشوع والانكسار والخضوع في رحاب الملك القدوس العزيز الجبار المتكبر القوي والعليم القدير.

الدعاء؛ لغة الحب والأنس بين العاشق والمعشوق، فهو ينبوع العاشقين والسالكين وقرّة عين العارفين وسراج الراحلين وقنديل المشتاقين، وسند البائسين والمحتاجين، ونور يشعّ في قلوب الحائرين.

الدعاء في القرآن الكريم

يقول نبع الفيض اللانهائي، والبحر الذي لا آخر له ولا أول، والنور الذي لا

ظلمة معه، ينبوع الحكمة، رب العزّة، في كتابه المنزل، مخاطباً نبيّه المرسل:

﴿ قُل مَا يَعبَؤُا بِكُم رَبِّي لَولا دُعَاؤُكُم ﴾[١].

اخبرهم يا رسولي يا نبي الرحمة للعالمين ان الله ربّكم لا يكترث لكم إلّا عند ما تدعونه وتسألونه؛ فالدعاء اذن الأداة الوحيدة التي يمكننا من خلالها أن نرتبط بالله عزوجل.

ومن خلال الدعاء تتدفق الرحمة الالهية نحونا، نظرة من الله سبحانه وحدها تقشع عنا الشقاء وتبسط أمامنا مائدة مفعمة باللذة والسعادة والبركة والنماء.

يقول حبيب المحبّين، معشوق العاشقين، وأنيس الذاكرين، وجليس الشاكرين، ونصير المستضعفين في قرآنه الكريم:

﴿ وَإِذا سَأَلَكَ عِبادى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذا دَعَانِ ﴾[٢].

أجل لا يوجد شيء أقرب إلى الانسان من ربه، إنه قريب جداً وهل هناك من هو أقرب له ممن أوجده ومنحه نعمة الحياة والوجود؟!

الله سبحانه الذي أودع الانسان في رحم أمه جنيناً، ثم أخرجه إلى النور من ظلمات ثلاث، ثم إذا به وهو يفتح عينيه على الدنيا يجد مائدة الوجود الحافلة بكل النعم المادية والروحية، وإذا هو الكائن الذي يجد حوله من الموجودات في خدمته مسخرة له، ثم بعث له الأنبياء والرسل من أجل هدايته وارشاده إلى طريق السعادة في الدارين. في دار الدنيا ودار الآخرة، وأنزل عليه القرآن الكريم كتاباً عزيزاً يضيء له الطريق ونصب له نجوم الهداية وهم أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام يدلّونه إلى معين الخير والسعادة والخلود؛ الله سبحانه هو وحده

---

١ ـ سورة الفرقان: ٧٧.

٢ ـ سورة البقرة: ١٨٦.

الذي يطعم عبده الجائع ويسقي عباده الظامئين يشفي المرضى ويعين البائسين يبدد وحشة المرء بزوجة تؤنسه وأبناء يتوددون له وأصدقاء يخلصون وأحباء يحنون إليه.

الله سبحانه الذي يكسو الحفاة والعراة ويوقد شعلة الحب في قلوب عباده المؤمنين، ويرفع عنهم الأغلال التي يضعها الخاطئون من البشر ممن يغويهم الشيطان.

الله سبحانه هو وحده مصدرالعزة والكرامة وفي عبادته وحده تكمن الحريّة.

الله وحده هو خالق كل شيء وهو وحده القادر على كل شيء. أجل هو وحده الذي يراقب الأعماق وهو وحده الذي يعرف حاجات عباده وما ينشدون.

قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَقَد خَلَقنَا ٱلإِنسانَ وَنَعلَمُ ما تُوَسوِسُ بِهِ نَفسُهُ وَنَحنُ أَقرَبُ إِلَيهِ مِن حَبلِ ٱلوَرِيدِ﴾[1].

والأنبياء وهم مثال الانسانية ونموذجها الاسمي في البصيرة والحكمة والنبل والاخلاق الرفيعة، كانوا متعلقين بأدب الدعاء، قلوبهم النابضة بالحب تتلقى الاشراق والوعي، تتلقى الفيض الالهي، أرواحهم تسبح في ملكوت الله ونفوسهم تطوف حول عرش الله، وقلوبهم تغتسل بالدعاء والكلمات المقدسة.

أجل الأنبياء والمرسلون تلك هي حياتهم، الصلاة تجري على شفاههم وتمتمات الدعاء تطوف، تنساب من أفواههم، يتقربون إليه عزوجل بالدعاء فتراهم خاشعين في رحابه، خاضعين في حضرته.

انهم يعتبرون الدعاء منطلق النمو للروح وتزكية للقلب، ولا يزيح غبار المادة

---

١ ـ سورة ق: ١٦.

المتكاثف عن قلوبهم، الا بالاستحمام في رشاش الكلمات المقدسة التي تسبح بحمد الله.

كانوا صلوات الله عليهم أجمعين واثقين أشدّ الوثوق، مؤمنين أشدّ الايمان انّ الله عزوجل لن يخيبهم ولن يعودوا من حضرته وساحته خائبين.

كانوا متأكدين من استجابة الدعاء فلم يعتور ايمانهم بالله شك ولا ريب ولا هم يحزنون.

الله الصمد؛ شعارهم فهم الفقراء في حضرته وهو الغني المطلق الكريم الذي لا يخيب آمليه ولا يطرد عن بابه سائليه.

وهذا القرآن الكريم يروي على لسان سيدنا ابراهيم قوله:

﴿ اَلْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى اَلْكِبَرِ إِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ اَلدُّعَآءِ ﴾[1].

الدعاء هو الذي كان وراء ولادة يحيى وقد بلغ الكبر بوالده زكريا ما بلغ حتى اشتعل الشيب في رأسه.

أجل ولد يحيى وكان أبوه شيخاً طاعناً في السن وكانت أمّه عاقراً غير ولود.

لم يشعر زكريا عليه السلام باليأس حتى سمع الملك يخاطبه:

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اَسْمُهُ يَحْيَىٰ ﴾[2].

والدعاء كان وراء نزول مائدة من السماء عندما أراد الحواريون أنصار المسيح عليه السلام ذلك فما أن رفع كفّيه إلى السماء طالباً مائدة سماوية الهية تكون لهم عيداً، حتى استجاب الله عزوجل وأنزل عليهم مائدة تزخر بالبركة والخير وكانت

---

١ ـ سورة ابراهيم: ٣٩.

٢ ـ سورة مريم: ٥ ـ ٩.

كرامة للمسيح عيسى بن مريم عليه السلام[١].

وقد أمر الله عزوجل عباده بالدعاء ودعاهم إلى ذلك ليجسّدوا العبودية له ويعبّروا عن حاجتهم الدائمة إليه.

لا عبادة أرقى وأسمى وأكثر تعبيراً من كلمات خاشعة خاضعة تمتزج بالدموع، تخرج من قلب كسير ونفس تعي بأنها لا شيء وأنها مجرّد صفر أمام الواحد الأحد الفرد الصمد.

أجل لا شيء أجمل من مشهد الانسان وهو يمدّ كفّيه إلى رب الوجود وخالق كل شيء.

نعم الدعاء هو التعبير الكامل الذي يجسّد حالة الانسان المتواضع لسيّده والعبد إلى مولاه والدعاء هو الذي يحطم روح الغرور الفارغ والتكبّر البشري الذي لا يعني شيئاً غير الجهل.

قال الله عزوجل في محكم كتابه:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢].

الدعاء في الروايات

ان فضل الله سبحانه تبارك وتعالى يغمر كل الكائنات وبخاصّة الانسان، وهذه مائدة الوجود مفعمة برحمته ولطفه وكرمه.

لا يوجد في رحابه معنى لليأس أو القنوط، ولا في حضرته بخل وليس في صفاته مكان للطرد.

---

١ ـ سورة المائدة: ١١٢ ـ ١١٥.

٢ ـ سورة المؤمنون: ٦٠.

نبع يتدفق فضلاً وكرماً وجوداً وعطاءً، فالجميع يرنو إليه وينظر إلى وجهه الكريم.

قال تبارك وتعالى يخاطب عبده داود:

﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

وهذا تراثنا الاسلامي يحفل بالنصوص الرائعة الجميلة الزاخرة بالمعاني النبيلة، التي تشكل مع ما يسطع من آيات الله البينات بشارة كبرى من الله عزوجل إلى عباده، إلّا ييأسوا من رحمته وفضله وأن تبقى قلوبهم تنبض بالأمل والرجاء، في كل الظروف والأحوال وليعلموا إلّا سبيل إلى الله إلّا باللجوء إليه وإلّا طريق إلى السعادة والخلود إلّا بدعائه والتواضع في حضرته والتضرع في رحابه والخضوع بين يديه؛ وأنه لا يمكن تحقيق ما يصبو إليه البشر إلّا بدعائه باخلاص وحبّ وايمان.

من هنا أكّدت الشريعة الاسلامية وجاء في الروايات والآثار ما يبيّن منزلة الدعاء وأهميته وبخاصّة ما روي عن أئمة المسلمين أئمة أهل البيت الطاهرين إذ جاء من التأكيد على الدعاء ما يجعله عبادة رفيعة لا تضاهيها عبادة.

جاء عن سيدنا محمّد ﷺ قوله:

«إِنَّ ٱلدُّعاءَ هُوَ ٱلعِبادَة»[2].

وعنه ﷺ قال:

١ ـ سورة مريم: ٢٦.
٢ ـ المحجّة البيضاء: ٢/٢٨٢، كتاب الأذكار و الدعوات، باب ٢.

«اَلدُّعاءُ مُخُّ اَلعِبادَةِ»(١).

وجاء عن الامام محمّد الباقر عليه السلام قوله:

«أَفضَلُ اَلعِبادَةِ اَلدُّعاءُ»(٢).

وعنه عليه السلام أيضاً قال:

«مَا مِن شَيءٍ أفضَلُ عِندَ اَللّهِ عزَّ وجلَّ مِن أن يُسئَلَ وَيُطلَبَ مِمّا عِندَه، وَما أَحَدٌ أَبغَضَ إلَى اَللّهِ مِمّن يستَكبِرُ عَن عِبادَتِهِ وَلا يَسئَلُ ما عِندَهُ»(٣).

وعن الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

«أَحَبُّ اَلأَعمالِ إلَى اَللّهِ تَعالى فِي اَلأَرضِ اَلدُّعاءُ»(٤).

وعنه عليه السلام قوله:

«اَلدُّعاءُ مَفاتِيحُ اَلنَّجاحِ، وَمَقاليدُ اَلفَلاحِ، وَخَيْرُ اَلدُّعاءِ مَا صَدَرَ عَن صَدْرٍ نَقِيٍّ وَقَلْبٍ تَقِيٍّ، وَفِي اَلمُناجاةِ سَبَبُ اَلنَّجاةِ وَبِالإخلاصِ يَكونُ اَلخَلاصُ، فَإذا اَشتَدَّ اَلفَزَعُ فَإلَى اَللّهِ اَلمَفزَعُ»(٥).

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«إذا نَزَلَ اَلبَلاءُ فَعَلَيكُم بِالدُّعاءِ وَاَلتَّضَرُّعِ إلَى اَللّهِ»(٦).

---

١ ـ محجّة البيضاء: ٢/٢٨٢، كتاب الأذكار و الدعوات، باب ٢.
٢ ـ محجّة البيضاء: ٢/٢٨٣، كتاب الأذكار و الدعوات، باب ٢.
٣ ـ الكافي: ٢/٤٦٦، باب فضل الدعاء، حديث ٢.
٤ ـ الكافي: ٢/٤٦٧، باب فضل الدعاء، حديث ٨.
٥ ـ الكافي: ٢/٤٦٨، باب أن الدعاء سلاح المؤمن، حديث ٢؛ محجّة البيضاء: ٢/٢٨٤، باب الثاني في آداب الدعاء.
٦ ـ الكافي: ٢/٤٧١، باب الهام الدعاء، حديث ٢؛ محجّة البيضاء: ٢/٢٨٤، باب الثاني في آداب الدعاء.

وعنه عليه السلام قال:

«عَلَيكَ بِالدُّعاءِ؛ فَإنَّ فيهِ شِفاءً مِن كُلِّ داءٍ»(١).

قيمة الدعاء عند ما يكون اجتماعياً

تتخذ عبادة الدعاء عندما تتم بصورة جماعات جماعات حلّة أخرى وتصبح لها قيمة أكبر، إذ اننا سنشهد حالة أخرى من أداء هذه العبادة حيث يجتمع بعض الناس في مكان واحد متجهين بقلوبهم جميعاً إلى نقطة واحدة ثم تمتد الأكف والأيدي المتضرعة إلى الله سبحانه وتعالى تستمطر رحمته وتستنزل فضله وكرمه، فتتفتح أبواب الرحمة والجود الالهي؛ تغمرهم بالبركات، ذلك انه عند ما تتفتح القلوب وتنشرح الصدور فان الله سبحانه هو السميع المجيب.

وعند ما تصاعد كلمات التضرع والمناجاة، وعند تمتزج بآهات القلوب وقطرات الدموع حينئذ تنفتح أبواب السماء بغيث الرحمة والبركات والسخاء.

ولقد ورد فضل وقيمة الدعاء الجماعي في حشد من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام.

عن أبي عبدالله الامام الصادق عليه السلام قال:

«مَا اجتَمَعَ أَربَعَةٌ قَطُّ عَلى أمرٍ واحِدٍ فَدَعوا إلّا تَفَرَّقوا عَن إجَابَةٍ»(٢).

وعن سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله قال:

«لا يَجتَمِعُ أربَعونَ رَجلاً فِي أمرٍ واحِدٍ إلّا اسْتَجابَ اللّهُ تَعالى لَهُم حَتّى لَو دَعَوْا

---

١ ـ الكافي: ٤٧٠/٢، باب أن الدعاء شفاء من كل داء، حديث ١؛ محجّة البيضاء: ٢٨٥/٢، باب الثاني فى آداب الدعاء.

٢ ـ الكافي: ٤٨٧/٢، باب الاجتماع فى الدعاء، حديث ٢؛ جامع أحاديث الشيعة: ٣٥٤/١٩.

عَلى جَبَلٍ لأزالُوهُ»(١).

ويروي العالم الرباني ابن فهد الحلّي ممّا ورد في كتاب «*وسائل الشيعة*» في كتابه «*عدّة الداعي*»:

إن الله تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى! تقرّب إلى المؤمنين، ومُرهم أن يدعوني معك(٢).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«كانَ أبي عليه السلام إذا حَزَنَهُ أمر جَمَعَ ٱلنِساءَ وَٱلصِّبيانَ ثُم دَعا وَأمَّنُوا»(٣).

لا يأس مع الايمان

ينبغي للداعي أن يعي هذه الحقيقة جيداً وهي أن الله سبحانه الرحمن الرحيم هو الذي أمر بالدعاء وضمن الاجابة، فقال عزوجل:

﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٤).

ان الله عزوجل هو القادر على كل شيء، فكل هذا الوجود يحيا في ظلاله الوارفة وهو الحاكم المطلق في هذا العالم وهو الذي إذا قال للشيء كن فيكون، يستجيب كل دقائق هذا الكون المترامي لأمره وتخضع لسطوته الأشياء وتتحرك بمشيئته.

من هنا لا ينبغي للداعي وهو يقف في حضرة الله سبحانه وفي رحابه عزوجل

١ ـ مستدرك الوسائل: ٢٣٩/٥، باب ٣٦، حديث ٥٧٧٢؛ جامع أحاديث الشيعة: ٣٥٤/١٩.
٢ ـ وسائل الشيعة: ١٠٤/٧، باب ٣٨، حديث ٨٨٥٦.
٣ ـ وسائل الشيعة: ١٠٥/٧، باب ٣٩، حديث ٨٨٦٠.
٤ ـ سورة المؤمنون: ٦٠.

وهو نبع الرحمة اللانهائي، لا ينبغي له أن تساوره ذرة من يأس وقنوط، ذلك أن حالة اليأس إنما هي حالة كفر لا تليق بالمؤمن الذي يعتقد بأن الله هو القادر المدبر السميع المجيب.

ان اليأس لا ينسجم مع الايمان بالله عزوجل بل هو حالة الكفار.

قال الله عزوجل:

﴿ لاَ تَيْئَسُوا مِن رَوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِن رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[1].

وقد أكد القرآن المجيد على الأمل الكامل بالله عزوجل ونهى عن اليأس.

قال الله تعالى:

﴿ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[2].

وقال سيدنا محمّد ﷺ:

«اَليَأسُ مِن رَوحِ ٱللهِ أشدُّ بَرداً مِنَ ٱلزَّمهَرِيرِ»[3].

وعنه ﷺ قال:

«الفَاجِرُ الرَّاجِي لِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعالَى أَقْرَبُ مِنْها مِنَ العَابِدِ الْمُقَنِّطِ»[4].

وقد جاء في الروايات والمعارف الاسلامية أن اليأس والقنوط من رحمة الله من الكبائر، وقد توعّد الله عزوجل اليائسين والقانطين بالعذاب الشديد.

ان على الداعي إلّا يقنط من رحمة الله ولا يشعر باليأس إذا لم يستجب دعاؤه.

---

١ ـ سورة يوسف: ٨٧.

٢ ـ سورة زمر: ٥٣.

٣ ـ مستدرك الوسائل: ٥٩/١٢، باب ٦٤، حديث ١٣٥٠٧.

٤ ـ كنز العمال: ٥٨٦٩؛ ميزان الحكمة: ٥٠٤٦/١٠، القنوط، حديث ١٧١٠٩.

فقد جاء ذلك في الايات الكريمة وفي الروايات، فلعل عدم استجابة دعائه كان لمصلحة الداعي نفسه وربما لم تتوفر الظروف المناسبة لاجابة الدعاء.

فعلى الداعي أن يتيقن من ذلك وهو ان عدم استجابة دعاؤه كان لمصلحة، وربما امتد ذلك إلى يوم القيامة يومئذ يستجاب له ذلك الدعاء فيعلم آنذاك انه كان لمصلحته ورحمة به من الله تبارك وتعالى.

وعلى أية حال على من يدعو إلّا ييأس من رحمة الله سبحانه؛ لأن اليأس ليست له أرضية عقلية ولا شرعية ولا أخلاقية ولا انسانية، وان المؤمن حقاً لا يدع لليأس طريقاً ينفذ إليه.

وقد ورد في مسألة الدعاء والاجابة كثير من الروايات الهامّة في امهات الكتب الاسلامية وهذا مثال على هذه الروايات الاسلامية القيمة.

عن أبى عبدالله عليه السلام قال:

«إِنَّ ٱلعَبدَ لَيَدعُو فَيَقولُ ٱللّهُ عَزَّوَجَلَّ لِلْمَلِكَيْنِ: قَدِ اَسْتَجَبتُ لَهُ، وَلكِنِ اَحْبِسوهُ بِحاجَتِهِ؛ فَإنّي أُحِبُّ أَنْ أسمَعَ صَوْتَهُ. وَإِنَّ ٱلعَبْدَ لَيَدْعُو فَيَقولُ ٱللّهُ تَبارَكَ وَتَعالَى: عَجِّلوا لَهُ حاجَتَهُ؛ فَإنّي أبغِضُ صَوْتَهُ!»[١].

عن منصور الصيقل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ربما دعا الرجل بالدعاء فاستجيب له ثم أُخّر ذلك إلى حين قال: فقال: نعم، قلت: ولم ذاك ليزداد من الدعاء؟ قال: نعم[٢].

شروط الدعاء

ان الداعي إذا أراد استجابة دعائه أن يتوافر على الشروط التالية قبل أن يلج

١ ـ الكافي: ٤٨٩/٢، باب من أبطأت عليه الاجابة، حديث ٣ و ٢.
٢ ـ الكافي: ٤٨٩/٢، باب من أبطأت عليه الاجابة، حديث ٣ و ٢.

ساحة الدعاء وقد ثبّتت مصادر روائية هامّة من قبيل: «*أصول الكافي*»، «*المحجّة البيضاء*»، «*وسائل الشيعة*»، «*جامع أحاديث الشيعة*» شروط استجابة الدعاء وهي: الطهارة الشرعية من قبيل الوضوء، الغسل، التيمم، والتطهّر من حق الناس، الاخلاص، قراءة نصوص الدعاء بطريقة صحيحة، الكسب الحلال، صلة الرحم، التصدق قبل الدعاء، طاعة الله عزوجل اجتناب المعاصي، العمل الصالح، الدعاء وقت السحر، الدعاء في صلاة الوتر، الدعاء عند طلوع الفجر الصادق، الدعاء عند طلوع الشمس، الدعاء يوم الأربعاء بين الظهر والعصر، الصلاة على النبي ﷺ(١).

ليلة الجمعة

تؤكد الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على أنّ ليلة الجمعة هي من أفضل الليالي والأوقات وأنسبها للدعاء وأنها ليلة لا تضاهيها ليالي الأيام الأخرى وأنها تكاد تضاهي ليلة القدر.

وقد أوصى الأولياء والصالحون ونصحوا باحياء هذه الليلة والعبادة والاستغفار ما أمكن، ذلك أن الله سبحانه يرسل في هذه الليالي ملائكة إلى أهل الايمان، تغمرهم بالكرامة وتزيدهم حسنات إلى حسناتهم وتمحو سيئاتهم.

قال الامام الصادق عليه السلام:

«إن للجمعة حقاً فايّاك أن تَضيّع حُرمَتَهُاَو تقصّر في شيء من عبادة الله تعالى والتقرّب إليه بالعمل الصالح وترك المحارم كلّها فان الله تعالى يضاعف فيه الحسنات ويمحو السيئات ويرفع فيه الدرجات ويومه مثل ليلته فان استطعت أن تحييها بالدعاء والصلاة فافعل، فانّ الله تعالى يُرسل فيها الملائكة إلى

١ ـ الكافي: ٤٦٦/٢ في أبواب الدعاء؛ محجّة البيضاء: ٢٦٨ ـ ٣٤٩.

السماء الدنيا وتضاعف فيها الحسنات وتمحو السيئات وان الله واسع كريم»[١].

وقال الامام الباقر عليه السلام:

«ان الله تعالى يأمر ملكاً فينادي كل ليلة جمعة من فوق عرشه من أول الليل إلى آخره:

ألا عبدٌ مؤمن يدعوني لآخرته ودنياه قبل طلوع الفجر فأجيبه؟

ألا عبدٌ مؤمن يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه؟

ألا عبدٌ مؤمن قترت عليه رزقه فيسألني الزيادة في رزقه قبل طلوع الفجر فأزيده وأوسّع عليه؟

ألا عبدٌ مؤمن سقيم فيسألني أن أشفيه قبل طلوع الفجر فأعافيه؟

ألا عبدٌ مؤمن مغموم محبوس يسألني أن أطلقه من حبسه وأخرّج عنه قبل طلوع الفجر فأطلقه وأخلي سبيله؟

ألا عبدٌ مؤمن يسألني أن آخذ لهبظلامته قبل طلوع الفجر فانتصر له وآخذ بظلامته؟ قال: فلا يزال ينادي حتى يطلع الفجر»[٢].

وليلة الجمعة لها آدابها من صلوات ودعاء ومناجاة وأوراد وأذكار كثيرة وفي طليعتها دعاء كميل الذي يشغل منزلة خاصّة.

كميل بن زياد النخعي

كان في طليعة العلماء سواء لدى الشيعة أو أهل السنة فلقد كان معروفاً

١ ـ مفاتيح الجنان المعرّب: ٢٨.
٢ ـ بحار الأنوار: ٢٨٢/٨٦، باب ٢، حديث ٢٧.

بصلابته وايمانه وثباته على الحق وروحه الكبيرة واخلاصه وصفاء نيّته وحسن اخلاقه وسيرته النبيلة.

عرف لدى الجميع بعدالته وجلال شأنه وعلوّ منزلته، كان من خواصّ أميرالمؤمنين علي عليه السلام ومن أصحاب الامام الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وريحانته[١].

وقد عدّه الامام أحد العشرة من أصحابه المقربين[٢].

وكان في طليعة الشيعة المخلصين المحبّين والموالين لأميرالمؤمنين عليه السلام[٣].

وبلغ من ثقة أميرالمؤمنين عليه السلام به أن أودعه أسراراً كبيرة وأوصاه بوصاياه البليغة.

وبالرغم من نظرة الشك التي كان ينظر إليها أهل السنة عادة إلى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام إلّا أنهم يضعون ثقتهم كاملة في شخصية كميل[٤].

ويعدّه العرفاء وأهل السلوك صاحب سرّ أميرالمؤمنين عليه السلام وخازناً للمعارف الروحية التي أفاضها عليه مولاه مولى الموحدين وامام المتقين.

كان كميل بن زياد النخعي في الثامنة عشرة من عمره في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله حيث شمس النبوة مشرقة تفيض بنورها على الأرض الاسلامية.

كان كميل انساناً عظيماً نقياً طاهراً ورجلاً كريماً وكان يواجه الصعاب بروح ملؤها الصبر والاستقامة حتى نال شرف الشهادة على يد حاكم العراق الدموي الحجاج بن يوسف الثقفي، تلك الشهادة التي بشّره بها سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

١ ـ مستدركات علم الرجال: ٦/٣١٤.
٢ ـ رسائل السيد المرتضى.
٣ ـ بحار الأنوار: ٣٣/٣٩٩، باب ٢٣، حديث ٦٢٠.
٤ ـ مستدركات علم الرجال: ٦/٣١٤.

وتدور رحى الايام حتى فوجئ أهل العراق بتنصيب الحجاج حاكماً عليهم من قبل الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، وقد بدأ حكمه بمطاردة الشيعة والقاء القبض على رموزهم من من أصحاب الامام علي عليه السلام لا لذنب سوى حبّهم ووفائهم لأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة.

اضطر كميل إلى الاختفاء عن الأنظار ولكن الحجاج عرف كيف يلقي القبض عليه من خلال المضايقات التي فرضها على قبليته وقطع ارزاقهم؛ فأبت نفس كميل أن يتجرّع قومه وعشيرته الآلام من وراء ذلك؛ فاضطر إلى تسليم نفسه وذهب إلى قصر الحجاج ليدور بينه وبين الطاغية هذا الحوار الخالد.

كان وجهه مضيئاً وكان وجه الحجاج مكفهرّاً ولم يعبأ كميل بمنظر الجلّادين.

قال كميل بصلابة المؤمن: أخبرني سيدي أميرالمؤمنين علي انك قاتلي واعلم ان بعد القتل الحساب.

قال الحجاج: تبرأ من علي لتنجو من الموت.

قال كميل: دلني على دين أفضل من دين علي.

وبهت الحجاج فأشار إلى الجلّادين. وفي لحظة هوى كميل شهيداً.

دعاء كميل

العارفون العاشقون والعاشقون العارفون من الذين امتلأت قلوبهم بنور الحقيقة وحدهم يعرفون شأن هذا الدعاء ومنزلته فكما ان الانسان هو اشرف المخلوقات فان دعاء كميل هو أشرف الأدعية ولذا قالوا عنه: «انسان الأدعية» وقد عدّ المجلسي رحمه الله وهو الخبير ومن علماء الحديث دعاء كميل أفضل الأدعية.

قال عنه ذلك في كتاب «*زاد المعاد*»، وهو يروي عن كتاب «*الاقبال*» للسيد بن طاووس قصة الدعاء عن كميل بن زياد رضوان الله عليه.

«حل المساء وأوى الناس إلى النوم، وفي تلك الساعة نهض كميل صوب منزل أميرالمؤمنين عليه السلام وطرق الباب، وسأله الامام عليه السلام:

ما جاء بك يا كميل؟

قال: يا أميرالمؤمنين دعاء الخضر.

واملى الامام على كميل الدعاء، ثم قال: إذا حفظت هذا الدعاء، فادع به كل ليلة جمعة.

وظل كميل طوال حياته يفعل ذلك كلما غابت شمس يوم الخميس وتألقت النجوم في السماء.

وينبغي لمن يريد قراءة هذا الدعاء الكريم أن يختار لذلك ليلة الجمعة فيجلس قبالة الكعبة البيت الحرام كما يفعل ذلك عند كل صلاة ولتكن جلسته متواضعة للغاية لأنه يجلس في رحاب الله عزوجل وأن يخلص نيته وأن تغمره حالة من الخشوع تجمّع الدموع في عينيه ثم يتلو الدعاء بصوت حزين، ومن المؤكد أن لمن يفعل ذلك ثواباً عظيماً وأجراً جزيلاً وسيكون دعاؤه مستجاباً»[1].

ان العيون الندبة بالدموع والآهات المتصاعدة من قلب محزون هي التي تغسل القلوب وتمحو الذنوب وتطفئ غضب الرب وتقرّب العبد إلى المحبوب[2].

---

١ ـ المحجة البيضاء: ٢/٢٨٥، آداب الدعاء.

٢ ـ الكافي: ٢/٤٨١، باب البكاء، حديث ١.

نص الدعاء

ويبدأ نص الدعاء كما هو في كل الأدعية الكريمة بالبسملة حيث كل شيء باسمه عزوجل وانه:

«بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ»

وقد جاء في الروايات ما يبين دلائل ذلك:

١ ـ عن أميرالمؤمنين عليه السلام عن سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله عن الله عزوجل:

كُلّ أَمرٍ ذِی بالٍ لا يُذكَر بِسمِ اَللّهِ فِيهِ فَهُوَ أبتَرٌ[1].

٢ ـ روى الطبرسي في كتابه القيم «مكارم الاخلاق» عن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام:

مَا مِن أَحدٍ دَهَمَهُ أَمرٌ يَغُمُّهُ أَو كَرَّبَتهُ كُربَةٌ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قالَ ثَلاثَ مَرّاتٍ: بِسمِ اَللّهِ اَلرَّحمَنِ اَلرَّحِيمِ إِلّا فَرَّجَ اَللّهُ كُربَتَهُ وَأَذْهَبَ غَمَّهُ إِن شآءَ اَللّهُ تَعالى[2].

٣ ـ وفي حديث غاية في الأهمية:

---

١ ـ تفسير امام العسكرى عليه السلام: ٢٥، الافتتاح بالتسمية؛ وسائل الشيعة: ١٧٠/٧، باب ١٧، حديث ٩٠٣٢.

٢ ـ مكارم الأخلاق: ٣٤٦، فى المهمات؛ بحار الانوار: ١٥٩/٩٢، باب ١٥.

«لايُرَدُّ دُعاءٌ أوَّلُهُ بِسمِ اَللّهِ اَلرَّحمنِ اَلرَّحيمِ»[١].

كما جاء في الأحاديث الشريفة ان المرء يوم القيامة إذا الهمها دفعت عنه الملائكة الغلاظ.

وان تعليمها للأطفال في الصغر تكون سبباً في غفران الذنوب لأبويه ومعلميه.

وأن امّة الاسلام سوف تبزّ الامم الاخرى يوم القيامة في علو الشأن والمرتبة والثواب لأنها الأمّة التي تبدأ أعمالها ونشاطها الانساني بقول: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»؛ فهذه الجملة على قصرها تشتمل على ثلاثة أسماء لله عزوجل.

وجاء عن الامام علي بن موسى الرضا ان «**بسم الله الرحمن الرحيم**» تقترب من الاسم الأعظم اقتراب سواد العين من بياضها[٢].

واذن من المؤكد ان دعاء كميل الذي يبدأ بالاسم الأعظم سيكون مضمون الاجابة وان الله سبحانه يستجيب لدعاء عبده إذا جاء مع قراءة هذا الدعاء الجليل.

ان «بسم الله» شراب طهور يسقي القلب الظامئ للحب الالهي ويرويه ويبعث في النفس الانسانية نشاطاً وشوقاً ويجعل القلب أكثر تفتحاً لتلقي الاشراق فيشعر بالهيام من أجل لقاء المحبوب.

اسم الله

يعتقد بعض علماء الصرف ان «اسم» ماخوذ من «السمو» وهي العظمة والارتفاع.

---

١ ـ مستدرك الوسائل: ٣٠٤/٥، باب ١٦، حديث ٥٩٢٩.

٢ ـ راجع ما ورد في تفسير سورة الحمد.

وان الله سبحانه ألهم عباده اضافة حرف «ب» ليكون كل شيء باسم الحبيب.

ولا يجري هذا على لسان فقط بل انه يزيل على القلب لدى جريه على اللسان كل الادران فيصبح برّاقاً متألقاً كما المرآة عند ما تمسح عنها الغبار.

ولا يكون ذلك إلّا بالصدق في الذكر والاخلاص وإلّا يذكر اسم غيره، وهذا بدور لا يحصل إلّا لدى النفوس الزكية والأرواح الطاهرة والنوايا المخلصة وشعور المرء انه فقير وصفر وعدم أمام الله عزوجل الغني المطلق.

تبارك اسمه عزوجل وتقدّس؛ وما الانسان إلّا تراب فهو في أدنى المراتب وسيبقى في مرتبته الدنيا، ما لم يرتبط بسبب.

يرفعه من مرتبته المتدنية إلى الأوج؛ من أجل هذا جعل الله عزوجل بينه وبين عبده وسيلة هي: «بسم الله» ليتسنىٰ له الاتصال بالمفهوم والمعنىٰ لهذا الكلام العلوي ويكون الاتصال مع العالم السفلي ويكون بمقدور المخلوق الطيني مشاهدة الجمال النوراني ويطل على عالم الغيب.

يقول عارف تلقى قلبه الاشراق: ان حرف «ب» اشارة إلى البدء، بدء الحركة والسير والسلوك وان بين «الباء» و«السين» صحارى مترامية الاطراف شاسعة لا نهائية.

من أجل هذا ذابت الألف في تلك الفلوات الواسعة، وفي هذا اشارة إلىٰ ان السالك لا يبلغ سرّ المعرفة ولا يصل إلى أنوار «الميم» حتى ينزع عن نفسه «أنانيته» و«أنيته» وتحترق ذاته في لهب العشق ويسلّم تسليماً تاماً ويكون عبداً خالصاً.

ويقول بعض العاشقين ان «الباء» إنما هي اشارة إلى البرّ والاحسان الالهي الذي يغمر عوام الناس وهم أصحاب النفوس وأنّ «السين» عبارة عن «سرّه» الذي أودعه لدى الخواص من أرباب القلوب وان «الميم» هي رمز محبته التي

وهبه لأخص الخواص من أصحاب الأسرار.

وجاء في بعض الكتب الشريفة من قبيل: «*الكافي*» و«توحيد» للصدوق و«*معاني الأخبار*» وفي «تفسير *العيّاشي*» عن الامام الصادق عليه السلام ان كل حرف من هذه الحروف الثلاثة يشير إلى اسم من أسمائه الحسنى فـ«الباء» تشير بـبهاء الله و«السين» إلى سناء الله و«الميم» إلى مجده تبارك وتعالى.

وقال عرفاء آخرون: ان الباء ترمز إلى البصير والسين إلى السميع والميم إلى المحصي.

وكأن على الداعي ان يعي وهو يقرأ بسم الله هذه المعاني.

ان الله بصير يعلم ويرى باطن وظاهر اعمالنا وانه عزّوجلّ يسمع ما تخفي الصدور. وانه تبارك وتعالى يحصي الاعمال ويعلم عدد الأنفاس فليجتنب المرء الرياء وليرتدي حلل النعيم الدائم الذي لا يعرف الزوال، وليبتعد عن قول الزور وعن اللغو؛ ليكون أهلاً لارتداء معاطف الفيض والمغفرة والصفاء وفي ظلال من يحصي كل شيء لينتبه الانسان فلا يغفل عن ذكره عزوجل لحظة واحدة ليكون أهلاً للقاء المحبوب.

ويقول العارفون السالكون ممن احترقوا بنار الحب ولهيب المحبوب ان لبسم الله معان ملكوتية وعرفانية وعرشية منها الصبر على بلاء الحبيب وأن يكون هم العبد وهاجسه السلوك في صراطه المستقيم حتى يبلغ ساحة «الميم» النورانية.

ان لفظ الجلالة «الله» اسم جامع وكامل للذات المقدسة الأحدية حيث تنضوي فيه كل صفات الكمال والجمال والجلال.

فقالوا: ان فيه ثلاثة معاني:

١ ـ انه دائم أزلي وقائم أبدي وذات سرمدي.

٢ ـ وان العقول والأوهام لا تدرك كنهه وانه لا يعرف إلّا بالعجز عن معرفته.

٣ ـ وأنه المعاد والمرجع الذي ترجع إليه كل الخلائق والكائنات.

وقال بعض من تشرق على نفسه الألطاف: إن لفظ الجلالة «الله» هو الاسم الأعظم وأن أساس التوحيد قائم عليه وان الكافر إذا نطق بهذا الاسم إذا كان صادق النية وكان لسانه في قلبه فانه سينتقل من انحطاط الكفر إلى أوج الايمان.

وانه إذا تلفظ به مخلصاً واعياً فانه سيخرج من دنيا الغفلة والأدران من عرصة الوحشة والوحدة إلى دائرة الوعي والصفاء والنقاء والأمن والطمأنينة والسلام.

وانه لو قال «لا إله إلّا الرحمن» أو شيئاً غير «لا إله إلّا الله» ما خرج من عرصة الكفر وما دخل إلى دائرة الاسلام، فالفلاح والنجاح لعباد الله يكمن في ذكر هذا الاسم النوراني والكلمة الطيبة والمفردة العرشية.

وان تمام مناقب الكمال لدى الذاكرين هي في شرف هذا الاسم وان نجاح الأعمال وصحتها إنما تتم في البدء به وفي الاختتام، ولا تستحكم قواعد الرسالة إلّا به حيث «محمّد رسول الله» ولا تستمر الاستقامة والثبات على ولايته إلّا به حيث «علي ولي الله».

فمن خواص هذا الاسم انه إذا حذف الألف أصبح كل شيء له حيث: ﴿**لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ**﴾[1].

وإن حذفت اللام بقي له كل شيء إذ ﴿**لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ**﴾[2].

وإن حذفت اللام الاخرى بقي هو حيث ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾[3].

واذن فالاسم الذي له كل هذه الخصائص إنما هو الاسم الأعظم.

---

١ ـ سورة الروم: ٤.

٢ ـ سورة التغابن: ١.

٣ ـ سورة الاخلاص: ١.

وان كلمة «الرحمن» أساسها «الرحمة» وهي على ما يقوله الضالعون في علم الصرف واللغة صيغة مبالغة ودلالة على الكثرة، وهي لدى العلماء تعني «مصدر الرحمة» العامة التي تغمر كل الكائنات.

وهي في لغة أهل الكشف واليقين افاضة الوجود والكمال على كل الذرات وبحسب ما تقتضيه الحكمة وما تستوعبه القابلية وانه لو لا هذه الافاضة ما كان للوجود من خبر ولا للكمال من اثر.

ويقول أهل البصيرة ان الرحمن هي ارادة الحق في ايصال الخير ودفع الشر عن كل الموجودات.

فكل النعم ما ظهر منها وما استتر؛ هي من حيث التجلّي رحمانية الحق وقد بيّنت سورة الرحمن جزء من هذا التجلّي الرحماني.

وان مفردة «الرحيم» هي لدى أرباب علوم العربية صفة مشبهة لدلالتها على الثبات والدوام؛ يعني ان رحمة الله أبدية لا تزول.

وقال بعض العلماء: ان الرحمة الرحيمية إنما تخص الناس المؤمنين وأهل اليقين لأنهم ارتضوا الهداية الالهية وعرفوا الحلال والحرام، فأخذوا بالأول واجتنبوا الآخر ولأنهم تحلّوا بالاخلاق الكريمة وشكروا الله عزوجل على انعامه واكرامه فشملتهم هذه الرحمة وخصهم الله عزوجل بها.

وقد جاء في تراث الاسلام ان الرحمة الرحمانية هي يوم الرحمة العامّة لكلّ البشر مؤمنهم وكافرهم محسنهم ومسيئهم.

وان الرحمة الرحيمية هي افاضة الكمال على الانسان المؤمن حيث تشمله الرحمة في الدنيا والآخرة.

وفي الرحمانية «الرحيمية» ينضوي معنى العافية أحدها عافية الدنيا والثانية عافية الآخرة.

والرحمة الرحيمية تشمل المطيعين بقبول الحسنات والعبادة وتشمل أيضاً العاصين من أهل الايمان بالرحمة وغفران السيئات.

فالمؤمنون المحسنون ينتظرون نزول الرحمة جزاء لعبوديتهم لله عزوجل والمسيئون خجلون نادمون بائسون يرجون عفو الله تبارك وتعالى.

وفي رأي ابن المبارك ان «الرحمن» أن تطلب منه عزوجل أن يأخذ بيدك و«الرحيم» يعني إذا لم تطلب منه غضب عليك ويقول عارف: ان الله تعالى «رحمن» يرزق الخلائق أجمعين وانه عزوجل «رحيم» يغفر سيئات المؤمنين، فتوكل على «رحمانيته» سبحانه في الرزق لا على عملك وكسبك ونشاطك وتجارتك شرط إلّا تدع العمل والتجارة والكسب الحلال لأن ذلك خلاف العقل.

وتوكل على رحيميته عزوجل في غفران السيئات لا على عملك وفعلك؛ شرط إلّا تدع العمل الصالح لأن في ذلك معصية لله وطاعة للشيطان.

يقول أهل الأسرار: إن للعبد ثلاث حالات:

الأولى: حالة المعدوم الذي يحتاج إلى الوجود.

الثانية: حالة الموجود الذي يحتاج إلى أسباب البقاء.

الثالثة: حالة الحضور يوم القيامة والحاجة إلى الرحمة والمغفرة.

وهذه الحالات الثلاث منضوية تحته مندرجة فيه.

لأن لفظ الجلالة «الله» مستجمع لكل صفات الكمال.

فتدبّر كيف جئت أيها الانسان من ديار العدم إلى رحاب الوجود.

وتأمل في «رحمانيته» كيف أصبحت مصدراً لأسباب البقاء والحياة.

وترقب رحيميته غداً يوم القيامة لأنها ستكون الملاذ والمأوى والخلاص وغفران الذنوب ومحو السيئات وستر العيوب.

يقول أهل البصائر وعشاق الحقيقة: ان الانسان عبارة عن قلب ونفس وروح.

فالنفس هواها الرزق، والقلب مناه المعرفة والايمان، والروح تنشد الرحمة والرضوان.

ولكل نصيبه اسم من الأسماء فالقلب يجد في اسم «الله» طعم المعرفة والايمان، والنفس تجد في اسم «الرحمن» الرزق والاحسان والروح في الرحيم؛ الرحمة والرضوان.

والذي يندمج قلبه وروحه مع هذه المفاهيم الثلاثة ويندك في هذه الاسماء الثلاثة المباركة سوف يتحرر عن عبادة كل معبود غير الله ويكون نبعاً للرحمة لكل عباد الله ويكون سبباً لنزول الرحمة على الجميع.

ان ذكر هذا الكلام النوراني والافادة من هذا الكنز الرباني في وقت وعلى كل حال وفي كل عمل أمر مطلوب، ومن يفعل ذلك باخلاص ويتشرب معانيه بعمق ويكون هدفه تزكية الباطن من كل ادران المادة ومن كل ما يشده إلى الدنيا الزائلة؛ فانه سيجد من الفوائد والعوائد ما لا يتصوره يتنزل عليه الخير في الدنيا والرضوان في الآخرة.

وقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة: ان المرء إذا ذكر «بسم الله الرحمن الرحيم» و«لا حول ولا وقوة إلّا بالله العلي العظيم» عشرمرات غفر الله له كل ذنوبه وحفظه الله من بلايا الدنيا كالبرص والجذام والشلل.

كما جاء في هذه الأحاديث الشريفة ان المؤمن إذا قال «بسم الله» كتب الله تعالى على كل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيئة.

وجاء في الروايات ان من قال عند تناوله الطعام «بسم الله» لم يشاركه الشيطان طعامه ومن غفل عن ذلك شاركه الشيطان وكان له رفيقاً[1].

---

١ ـ للمزيد من التفاصيل حول أهمية البسملة يمكن مراجعة الكتب الجليلة كالكافي، معاني الأخبار، التوحيد للصدوق، وسائل الشيعة، بحر الحقائق، مفاتيح الغيب وتفسير سورة الحمد.

«اَللَّهُمَّ إِنِّى أَسأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ٱلَّتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ»

بهذه الكلمات الموحية المعبّرة بايقاعها، يبدأ هذا الدعاء الكريم، كلمات تتضمن ينابيع من المعرفة السماوية الزاخرة بالرموز والاشارات والأسرار الملكوتية.

أسألك يا الله برحمتك التي غمرت كل الأشياء في هذا الوجود المترامي البعيد.

«اللهم» هذه المفردة التي تستند إلى الأصل والتي تعني «يا الله» وقد حذفت «الياء» ليشغل مكانها «ميم» مشدّدة لتؤدي دور التعظيم والاجلال والتقديس ولتعبّر عن عظمة ورفعة وعلو المخاطب «الله» جل شأنه وتعالى مكانه وحيث وجوده يمتد من الأزل إلى الأبد وحيث لا شيء قبله ولا شيء بعده.

ومن هنا فمن غير اللائق أن يتقدم على «الله» سبحانه شيء حتى لو كان مجرد حرف فهو الأول والآخر، لكي يحدث الانسجام بين الحقيقة والقوالب اللفظية التي تعبّر عنها وتحاول تجسيدها.

إنّ على الداعي الذي يريد مخاطبة ذلك الوجود المقدّس أن يدرك انه وهو يقول «اللهم» ان الله عزوجل لو لم يأذن له في ذلك لافتقد العاشق الهائم قدرته على التفوّه بأية كلمة مع المعشوق ولما كان له من الحول أن يلج رحابه ولانعقد

لسانه وامحت أحواله.

فلسان داعي الحق متصل بقدرة الحق «اللهم» وبه ينطق وبلطفه وكرمه ينفتح.

وعلى الداعي أن يعي هذه الحقيقة؛ وهي لولا ارادة المحبوب لما كان له من القدرة على أداء الدعاء ولولا تجلّية تبارك وتعالى في وجود عبده لما استطاع العبد أن يدعوه ويطلب منه جل شأنه حاجته أو يخطو في رحابه.

أجل إنّ الدعاء الهامّة عزوجل وحياة الداعي رشحة منه سبحانه.

وان وجود عبده الداعي في قبضته ورهن ارادته وطوع قدرته وفي حريم مملكته.

« إنّي أسألك »:

إني بمعنى «أنا» ولكن هذه الأنا تتجرد من كل الانانية والحالة الفرعونية.

وما هذه الأنيّة في هذه الاطلالة الملكوتية وفي غيرها من مفردات الدعاء إلّا اشارات إلى إنيّة الطبيعة والعقل والأنا المتجرّدة من الأنانية والغرور وهي «أنا» لا تتمتع بالاستقلال أبداً وإنما مرتبط ارتباطاً تبعياً ومستسلمة استسلاماً تاماً أنا معنوية تجسّد الفقر الذاتي، والعوز والحاجة الدائمة.

وليس للداعي في هذا المقام من أنيّته وذاته سوى الفقر والانكسار والذلّة والبؤس والتضرع والمسكنة والخشوع والخضوع والضعف المطلق.

أما المحبوب فهو الرحمة المطلقة والكرم والجود واللطف والحب والاحسان والفضل والعفو والمغفرة.

من أجل هذا تمتد له الأيدي تسأله وتستعطفه وتتضرع إليه لأنها تمتد إلى الاله الواحد الأحد الصمد وهذه هي العلاقة الحقيقية بين الانسان وربّه.

« برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء »:

ان رحمة المحبوب تغمر كل شيء ظاهر الأشياء وأعماقها وهذه الرحمة الواسعة هي فيض المحبوب العامل والشامل الذي يغمر الأشياء كل الأشياء بالبركة والنماء.

لقد كانت الأشياء في ظلمات العدم لتخرج برحمته سبحانه إلى نور الوجود الساطع، وكل قد علم مكانه حيث توافر فيه أسباب النمو والسمو، النمو في طبيعته والسمو في كينونته وروحه وجوهره وكيف لا يكون ذلك وواهب الوجود كريم ليس مثل جوده جود.

جاء في كتاب «*أنيس الليل*»: إن صفة الفيض الالهي العام كالشمس إذ تشرق فتغمر كل الأشياء باشعتها، لا تجد في اشراقها ذرة بخل وقصور وكل شيء يتلقى نورها بقدر قابليته على التلقي واستقبال الانوار.

وهكذا كل الكائنات في عوالم الغيب والشهادة، من المجرّات والسدم الكبيرة، الذرّات الصغيرة المتناهية في الصغر مغمورة بالرحمة الالهية والفيض الرباني كل حسب طاقته واستعداده.

فهي تنمو في ظلال هذه الأنوار الالهية أجل تنمو وتتقدم وتسير في طريق التكامل والكمال.

وهذا الوجود المترامي الشاسع من أقصاه إلى أقصاه، من عوالم الغيب والشهادة، ممّا ظهر منه وما استتر، من غاية الأوج إلى نقطة الحضيض إنما هو في دائرة الرحمة الالهية والفيض الرباني اللانهائي.

انه خالق الوجود وواهب الحياة وربّ العالمين.

ان الوجود هو في معرض الفيض باستمرار لا ينقطع عنه لحظة واحدة لو افترضنا انقطاعه لاستحال إلى عدم؛ انه موجد الكائنات، ورزاق الخلائق والموجودات، ونموّ النباتات، وكمال الجمادات، ومنزل الآيات، ومظهر وباعث

النبوّات، ومنزل الرسالات، وهادي الضالين، ودليل المتحيرين، وخالق الملائكة أجمعين، محيي الموتى، وهو الذي يثيب المحسنين، ويجازي المسيئين، يكرم المؤمنين، ويمحق الكافرين، ديّان يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

خالق الجنة والجحيم، ومن يغفر للعاصين من أهل الايمان وهو سبحانه نبع الخير في الوجود، وما هذا الوجود إلّا شعاع من فيض رحمته الواسعة، وقد وسعت رحمته كل شيء، وكل شيء هنا لا يمكن أن يتصوره خيالنا أو تجتازه أوهامنا فلو كان الشجر كله أقلام والبحار مداداً وكان البشر كله كُتّاباً لنفد البحر ولعجز البشر وما انتهت كلمات الله وآثاره وموجوداته.

فهل يمكن أن نتصور رحمة الله التي غمرت كل شيء وكل شيء هو جزء من هذه الرحمة الواسعة الشاسعة؟! لا أبداً إنّ عقولنا لا تدرك ذلك وخيالنا الوثاب لا يمكن أن يتصور أبداً.

عالم الوجود

ولكن هلموا لنتأمل جزءً متناهياً جداً في الصغر من صرح الوجود العظيم.

هذا الانسان الذي يعيش على جزء بسيط على كوكب صغير في هذا العالم الفسيح المغمور بالنعيم والمواهب الالهية.

أجل إن هذا الوجود الكبير بكل دقائقه الصغيرة إلى مجرّاته الكبيرة كل هذا يتألف من ذرات متناهية في الصغر لا يمكن رؤيتها أبداً بل يستحيل رؤيتها حتى ادق وأعقد المكرسكوبات إن رأس الابرة يتكون من «٥٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠» أي ٥٥ مليون مليون مليون ذرّة!!!

ومع كل هذا التناهي المدهش في الصغر فان الذرة هي الاخرى تنقسم إلى ثلاثة أجزاء هي: الالكترون، البروتون والنيوترون.

فلألكترون هو الشحنة السالبة والبروتون هو الشحنة الموجبة والنيوترون متعادل.

والنيوترون يشكل مع البروتون نواة الذرّة فيما تدور حول النواة الالكترونات في مدارات، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس مركز المنظومة.

والذرات التي هي أجزاء العالم ودقائق الوجود ومادة الكون كيف ظهرت، كيف خرجت من ديار العدم؟ لا يعلم ذلك إلّا الخالق تبارك وتعالى:

﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾(١).

إنّ مادة هذا العالم كما أثبتها القرآن الكريم وكما وصل إليه العلم البشري عبارة عن ذرات دخان وغاز هائمة في فضاء واسع إذ يمكن تصورها كالغبار ومع كل هذا فمن النادر أن تصطدم الذرات الهائمة فيما بينها.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾(٢).

وهذه السماء الدنيا حيث تناثرت فيها ملايين وملايين من النجوم كمصابيح مضيئة اضافة إلى المجرّات والسدم الهائلة والغازات الكونية حيث تولد نجوم جديدة وتظهر شموس وشموس تضيء في فضاء غارق في ظلمات متكاثفة.

ومن بين مجرّات ومجرّات تبدو مجرّة تشبه طريقاً تناثر عليه التبن عندما يعود الفلاحون حاملين معهم التبن أو حليباً تناثر في طريق الرعاة بعد أن ملأوا أوعيتهم من اللبن منطلقين إلى سوق القرية لبيعه.

هذه المجرّة هي مجرّة درب التبانة حيث توجد فيها منظومتنا الشمسية

١ ـ سورة الكهف: ٥١.

٢ ـ سورة فصّلت: ١١.

النبوّات، ومنزل الرسالات، وهادي الضالين، ودليل المتحيرين، وخالق الملائكة أجمعين، محيي الموتىٰ، وهو الذي يثيب المحسنين، ويجازي المسيئين، يكرم المؤمنين، ويمحق الكافرين، ديّان يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

خالق الجنة والجحيم، ومن يغفر للعاصين من أهل الايمان وهو سبحانه نبع الخير في الوجود، وما هذا الوجود إلّا شعاع من فيض رحمته الواسعة، وقد وسعت رحمته كل شيء، وكل شيء هنا لا يمكن أن يتصوره خيالنا أو تجتازه أوهامنا فلو كان الشجر كله أقلام والبحار مداداً وكان البشر كله كُتّاباً لنفد البحر ولعجز البشر وما انتهت كلمات الله وآثاره وموجوداته.

فهل يمكن أن نتصور رحمة الله التي غمرت كل شيء وكل شيء هو جزء من هذه الرحمة الواسعة الشاسعة؟! لا أبداً إنّ عقولنا لا تدرك ذلك وخيالنا الوثاب لا يمكن أن يتصور أبداً.

عالم الوجود

ولكن هلموا لنتأمل جزءً متناهياً جداً في الصغر من صرح الوجود العظيم.

هذا الانسان الذي يعيش على جزء بسيط على كوكب صغير في هذا العالم الفسيح المغمور بالنعيم والمواهب الالهية.

أجل إن هذا الوجود الكبير بكل دقائقه الصغيرة إلى مجرّاته الكبيرة كل هذا يتألف من ذرات متناهية في الصغر لا يمكن رؤيتها أبداً بل يستحيل رؤيتها حتى ادق وأعقد المكرسكوبات إن رأس الابرة يتكون من «٥٥،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠» أي ٥٥ مليون مليون مليون ذرّة!!!

ومع كل هذا التناهي المدهش في الصغر فان الذرة هي الاخرى تنقسم إلى ثلاثة أجزاء هي: الالكترون، البروتون والنيوترون.

فلألكترون هو الشحنة السالبة والبروتون هو الشحنة الموجبة والنيوترون متعادل.

والنيوترون يشكل مع البروتون نواة الذرّة فيما تدور حول النواة الالكترونات في مدارات، كما تدور الكواكب السيارة حول الشمس مركز المنظومة.

والذرات التي هي أجزاء العالم ودقائق الوجود ومادة الكون كيف ظهرت، كيف خرجت من ديار العدم؟ لا يعلم ذلك إلّا الخالق تبارك وتعالى:

﴿ مَا أَشْهَدتُّهُم خَلْقَ ٱلسَّماواتِ وَٱلأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِم ﴾[1].

إنّ مادة هذا العالم كما أثبتها القرآن الكريم وكما وصل إليه العلم البشري عبارة عن ذرات دخان وغاز هائمة في فضاء واسع إذ يمكن تصورها كالغبار ومع كل هذا فمن النادر أن تصطدم الذرات الهائمة فيما بينها.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّماَءِ وَهِيَ دُخانٌ ﴾[2].

وهذه السماء الدنيا حيث تناثرت فيها ملايين وملايين من النجوم كمصابيح مضيئة اضافة إلى المجرّات والسدم الهائلة والغازات الكونية حيث تولد نجوم جديدة وتظهر شموس وشموس تضيء في فضاء غارق في ظلمات متكاثفة.

ومن بين مجرّات ومجرّات تبدو مجرّة تشبه طريقاً تناثر عليه التبن عندما يعود الفلاحون حاملين معهم التبن أو حليباً تناثر في طريق الرعاة بعد أن ملأوا أوعيتهم من اللبن منطلقين إلى سوق القرية لبيعه.

هذه المجرّة هي مجرّة درب التبانة حيث توجد فيها منظومتنا الشمسية

---

١ ـ سورة الكهف: ٥١.

٢ ـ سورة فصّلت: ١١.

وحيث تسطع الشمس في المركز وقد تناثرت حولها الكواكب تسبح في مدارتها:

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِراجاً ﴾[1].

فترى الكواكب السيارة دائمة في سيرها تدور وتدور حول الشمس أقربها إلى الشمس عطارد ثم يليه كوكب الزهرة ثم كوكبنا الأرض وبعدها المريخ ثم يليه الكوكب العظيم المشتري ثم زحل بحلقاته الملوّنة ثم أورانوس ونبتون ثم في أقصى المنظومة يدور الكوكب الأزرق بلوتو[2].

وهذا العالم الكبير الكبير هو كالذرة الصغيرة وان الانسان لم يتمكن من رؤية حدوده أبداً.

وهذا النور الذي يطوي مسافات هائلة في الثانية الواحدة حيث سرعة الضوء ٣٠٠،٠٠٠كم في الثانية انه يستغرق أربعة أعوام كاملة لكي يصل إلينا من أقرب نجمة إلى الأرض.

ان التلسكوب المتربع فوق جبل «پالومار» في كاليفورنيا بامريكا حيث يبلغ قطر مرآته خمسة أمتار يرصد نجوماً في الفضاء السحيق يصلنا نورها منذ ألف مليون عام.

ولو أراد الانسان أن يحصي نجوم السماء بمعدل نجمة في كل ثانية لتطلب منه زمناً يمتد إلى مئة عام لا يفتر لحظة واحدة عن العدّ والاحصاء ثم تكون النتيجة انه لم ينته من عمله بعد لأنه بقي عليه الكثير الكثير من النجوم التي لم يعدّها.

ان مجرّتنا تشتمل على حوالي ألف مليون نجم تمتد على مسافة تبلغ مئة ألف سنة ضوئية فيما بلغ عرضها عشرين ألف سنة ضوئية.

---

١ ـ سورة نوح: ١٦.
٢ ـ ماضي ومستقبل العالم: ٢٠ ـ ٢٧.

واستطاع الانسان في الوقت الحاضر حيث علم الفلك ما يزال يحبو أن يخمن وجود ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ مجرّة!!

وحيث يبلغ متوسط المسافة بين مجرّة وأخرى ٢،٠٠٠،٠٠٠ سنة ضوئية[١].

وما يزال هناك المزيد من الكشوفات البشرية في هذا العالم الشاسع.

يقول سيدنا أميرالمؤمنين علي عليه السلام يصف نشوء العالم:

«أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا رويّة أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها وغرّز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها وانتهائها، عارف بقرائنها وأحنائها.

ثم أنشأ ـ سبحانه ـ فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تيّاره، متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها بردّه، وسلّطها على شدّه، وقرنها إلى حدّه. الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق.

ثم أنشأ ـ سبحانه ـ ريحاً اعتقم مهبّها، وأدام مربّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، واثارة موج البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء. تردّ أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عبّ عبابه، ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجو منفهق، فسوى منه سبع سموات، جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً، وعلياهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها. ثم زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً، في فلك دائر،

---

١ ـ أفق المعرفة: ٨٩، ٩٤، ١١٨.

وسقف سائر، ورقيم مائر.

واصغ الآن إلى ما يقوله مؤسس البلاغة في دنيا العرب في خلق الانسان:

ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها سبخها، تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلّة حتى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت، لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والاشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم، في الاذعان بالسجود له، والخنوع لتكرمته، فقال سبحانه: ﴿ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾»[١].

الانسان أشرف ضيوف العالم

وهدأت الأرض. وهدأت الأمواج المتلاطمة في البحار الزخارة، وهدأت العواصف الثائرة وانطفأت البراكين، ونمت الغابات وامتلأت بالحيوانات والطيور وتقدفقت الأنهار بالمياه العذبة وأصبحت الأرض خضراء مزدهرة وحينئذ أصبح كل شيء موائماً لاستقبال مخلوق شريف هو الانسان خليفة في الأرض الزاخرة بالنعم والخيرات.

أجل ظهر الانسان على سطح هذا الكوكب بكل عناصره المنسجمة مع

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١.

الرسالات الالهية من أجل تمهيد الطريق طريق الانسان إلى الله وليمتحن الانسان في تجربته في هذا العالم ليلج من بوابه الموت فيما بعد إلى عالم آخر عالم خالد لا يزول وهناك يتم تقييم تجربة الانسان في الأرض، فيكون الجزاء ومصير الانسان.

وعند ما تكون تجربته ايجابية فسيكون العالم الأخضر الجنة هو عالمه الدائم المفعم بالسعادة والخير في ظلال رحمة الله الأبدية.

والآن لنحاول مشاهدة آثار رحمة الله الواسعة التي تغمر الانسان من كل جانب ومكان.

مراحل تبلور حياة الانسان

سجّل القرآن الكريم مراحل تبلور حياة الانسان ببلاغة اعجازية مشيراً إلى هذه المراحل في قوله تعالى:

﴿ وَقَدْ خَلَقَكُم أَطْوَاراً ﴾(١).

المرحلة الاولى: التراب

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾(٢).

ان نطفة البشر إنما هي حصيلة أنواع الغذاء من نبات ولحوم وألبان؛ والحيوانات هي الاخرى إنما تعود في تكونها إلى النباتات على أساس ان ما تتغذى به هو النبات والنباتات مصدرها التراب.

---

١ ـ سورة نوح: ١٤.

٢ ـ سورة المؤمنون: ١٢.

من هنا فان نطفة الانسان التي تتخلق وتصبح انساناً سوياً إنما هي وليدة التراب وها هي كشوفات العلم الحديث تحلل تكوين الانسان وتبين العناصر التي يتألف منها وهي عناصر موجودة في الأرض من قبيل الحديد، النحاس، الكالسيوم، اليود إلى آخره من عناصر التراب.

فالانسان في تكوينه المادي إنما هو عصارة هذه العناصر الترابية التي تنتقل باستمرار عبر الحيوان والنبات.

المرحلة الثانية: الماء

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَراً﴾[1].

يشبّه علماء الاحياء الانسان بانه اسفنجة منقوعة بالماء.

ان جسم الشخص الذي يزن ٧٠ كغم فيه من الماء ما يساوي ٥٠ لتراً وهذه نسبة ثابتة.

ولو فقد انسان ٢٠٪ من الماء الذي في جسمه فانه لن يستعيد عافيته أبداً.

والماء الموجود في بدن الانسان يحوي مقادير كبيرة من البوتاسيوم ولا يحوي ملحاً ولكن الماء الخارج من خلايا لا يحوي على البوتاسيوم بل على مقادير كبيرة من الملح وهذا الماء الذي يخرج من الخلايا يشبه في تكوينه ماء البحر حيث شهد قبل ملايين السنين أول اشكال الحياة ثم اعقب ذلك انتقال هذه الكائنات الحية الموجودة في الماء إلى اليابسة واصطحبت معها أيضاً هذه الحالة البحرية، ولولا ذلك لأصبحت الحياة في اليابسة بالنسبة له أمراً مستحيلاً.

أجل هذه معجزة القرآن الكريم الذي اعلن من صحراء الجزيرة العربية هذه

---

١ ـ سورة الفرقان: ٥٤.

الحقيقة المذهلة في مجتمع أمي لا يعرف من أسباب العلم شيئاً.

المرحلة الثالثة: العلق

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[1].

العلق في اللغة نوع من الديدان الذي يلتصق بجدار الرحم وقد يعني أيضاً حيواناً يسبح ويتغذى على الدم وعندما يوضع الاسبرماتوزيد تحت المجهر فانه يشاهد اعداداً هائلة من الكائنات الحية تسبح وعندما تلج هذه الكائنات الرحم فانها تلتصق بالجدار.

ان السانتمتر المكعب من ماء الذكر يحوي على من مئة إلى مئتي مليون من الحيامن.

المرحلة الرابعة: الماء المهين

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ﴾[2].

المرحلة الخامسة: الامشاج

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾[3].

---

١ ـ سورة العلق: ٢.
٢ ـ سورة السجدة: ٨.
٣ ـ سورة الانسان: ٢.

المرحلة السادسة : الجنين

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلخَالِقُ ٱلبارِئُ ٱلمُصَوِّرُ لَهُ ٱلأَسْماءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[١].

المرحلة السابعة : الظلمات الثلاث

﴿ يَخْلُقُكُمْ فى بُطونِ أُمَّهاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فى ظُلُماتٍ ثَلاثٍ ﴾[٢].

المرحلة الثامنة : ولوج الروح

﴿ ثُمَّ أَنْشَأناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[٣].

المرحلة التاسعة : الميلاد

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِنْ بُطونِ أُمَّهاتِكُمْ ﴾[٤].

عرس الحياة

إذا كانت أعراسنا الاجتماعية لا تخلو من شيء من الفوضى أو التناقضات، وإذا كانت احتفالاتنا لا تخلو من نقص في الترتيب، أو خطأ في اختيار الوقت المناسب لها، فليس شيء من ذلك في عرس الحياة، العرس الذي يحفظ النسل،

---

١ ـ سورة الحشر: ٢٤.

٢ ـ سورة الزمر: ٦.

٣ ـ سورة المؤمنون: ١٤.

٤ ـ سورة النحل: ٧٨.

ويدفع بالحياة إلى الأمام باستمرار، فلنقف على بعض أحداث هذا العرس المهيب:

من مراسيم العرس:

مع مطلع الشهر، وبأمر من ملكة الغدد الصماء (الفص الأمامي للغدة النخامية) وتحت اشراف مركز والمراقبة العليا في قشرة الدماغ Cortex، تبدأ احدى فتيات المبيض (احدى الجريبات الابتدائية) بالاستعداد لأن تكون عروس الشهر، فتكبر بالحجم بشكل ملحوظ، وتتكاثر من حولها الخلايا الجريبية المحيطة بها، وتفرز هذه الخلايا هرمون الجريبين Ostrogen، فيتجمع قسم من هذا الهرمون في السائل الجريبي داخل الجريب نفسه، ويمتص الدم القسم الآخر منه، وتحت تأثير هذا الهرمون تحصل تغيرات عديدة في مخاطية الجهاز التناسلي، وخاصة في المهبل والرحم والبوقين، فتنمو غدد هذا الغشاء، وتزداد عناصره الخلوية، وتنمو أوعيته الدموية وتحتقن، وبذلك تزداد سماكته حوالي ٤ ـ ٥ أضعاف حتى إذا حصلت الاباضة في اليوم الرابع عشر من الشهر، كان هذا الجهاز على أتم استعداد لاستقبال وفد العريس الضيف.

وممّا يلفت الانتباه هو ذلك السائل الشفاف اللزج، والقلوي التفاعل الذي نلاحظه على عنق الرحم في وقت الاباضة تماماً، ويستمر ليومين فقط، هذه المادة تجذب النطاف، وتزودهم بمقدرة على اجتياز جوف الرحم والبوق بشكل جيد في سباقها المثير نحو العروس «البويضة».

أما البويضة، فعند ما تطل من حجرها «المبيض» بواسطة عملية الإباضة، Ovulation تكون محاطة بتاج شعاعي من الخلايا الجريبية، كأحلى ما تكون العروس في يوم زفافها فهي ناضجة تماماً، وتكون قد كبرت بالحجم حوالى ٥ ـ ٦ مرات، وتعرضت لانقاسمين: أولهما خيطي، والثاني مُنَصِّف يتم فيه اختزال العدد الصبغي إلى النصف، فيصبح (٢٢ + x) بعد أن كان (٤٤ + ٢ x) في الجريب الابتدائي.

وهكذا تصبح البويضة جاهزة لتضم النطفة إليها، ولتشيد معها ذلك البناء العظيم، الا وهو الانسان، قال تعالى في سورة الدهر:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً • إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾[١].

ولكي تكتمل المراسيم، وتتم عملية الالقاح في أحسن جو، فان تلك القربة من السائل الجريبي التي تجمعت خلال تطور الجريب، تنسكب مع البويضة في جوف البطن أثناء عملية الاباضة، وبسبب غناء هذا السائل بهرمون الجريبين Ostrogen، فان امتصاصه للدم بسرعة يؤدي لتغير مزاج المرأة بشكل يتلائم مع غريزة الالقاح، حيث يزيد من توترها الجنسي، وميلها النفسي للجماع، وفي ذلك حكمة مدبرة، حيث ان هذه الفترة هي أكثر أيام الشهر إخصاباً.

موكب العريس:

قال تعالى في سورة الطلاق:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ • خُلِقَ مِن مَاءٍ دَافِقٍ ﴾[٢].

موكب العريس سباق جبار بين نصف مليار نطفة[٣]، يبدأ هذا السابق من مهبل الأنثى، وينتهي ليس بالوصول إلى العروس فقط، وإنما ينتهي يقفزة النصر ألا وهي اجتياز جدار البيضة الشفاف، فما يصل إلى البيضة عشرات النطاف، لكنها لا

---

١ ـ سورة الدهر: ٢ ـ ٣.

٢ ـ سورة الطارق: ٥ ـ ٦.

٣ ـ كل دفقة مني تحوي (٣ ـ ٥ سم^3) وكل (١) سم^3) من هذا الماء الدافق يحوي (٦٠ ـ ٨٠) مليون نطفة، وكل نطفة بطول (٦٥) ميكرون، وتتألف من رأس كمثري الشكل، وعنق وذيل طويل يبلغ طوله (٤٥) ميكرون، يساعد النطفة فيي الحركة أثناء عبورها الرحم والبوق، وتقدر سرعتها وسطياً بـ(٢ ـ ٣) مم/دقيقة.

تستطيع الدخول إليها كلها، «وتجذب البيضة من هذه النطاف الكثيرة واحدة فقط، وذلك بالانجذاب الايجابي الذي تتحلى به Positive chimotoxie، فيظهر على سطحها بمحاذاة هذه النطفة نتوء هيولي، يدعى مخروط الجذب Attraction cone، وهي البقعة التي سيجتاز منها الحيوان المنوي الغشاء الشفاف»[١].

وبعدها تحدث حادثات خلوية دقيقة وغريبة، تنتهي بالتحام نواتي النطفة والبيضة، فيكتمل العدد الصبغي، ويطلق عندئذ على البيضة الملقحة إسم البيضة Zygot، وتكتسب البيضة بالالقاح قوة حيوية جديدة على الحياة والانقسام والنمو لتكون الجنين وبذلك يشترك الوالد والوالدة في ايراث صفاتهما لوليدهما.

وهكذا نجد أن من بين مئات الملايين من النطف التي بدأت السباق، لا يصل سوى العشرات إلى البيضة، وتموت النطاف الباقية صرعى على الطريق، ومن تلك العشرات التي وصلت، تدخل البيضة نطفة واحدة فقط لتشاركها في عملية الالتحام المصيري، ويمكن استشفاف ذلك من قوله تعالى وهو يذكّر الانسان حيث كان من نطفة من نصف مليار، كلها متجه إلى البيضة فقال في سورة القيامة:

﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾[٢].

وقوله تعالى في سورة السجدة:

﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ ﴾[٣].

فحرف «من» في هاتين الآيتين تبعيضية كما يسميها النحاة وتعني هنا أنه شيء قليل من شيء كثير. وكذلك لفظة «سلالة» والطريف في هذا السباق إن

---

١ ـ عن كتاب فن التوليد، د. محمود برمدا ود. شوكت الفتواتي.

٢ ـ سورة القيامة: ٣٧.

٣ ـ سورة السجدة: ٨.

النطاف بعد أن تجتاز جوف الرحم لا تدخل إلاّ إلى البوق الذي يحوي البيضة، ولا تدخل في البوق الآخر، فتبارك الله الذي قدر فهدى، والذي علم النطاف أين تسير.

وفوق ذلك كله تشترط البيضة على الفائز الأول أن يلاقيها في الثلث الأخير ـ البعيد ـ من البوق، وهو شرط أساسي لا يتم الالقاح إلاّ بتحقيقه[1].

والحكمة في ذلك بالغة جداً، فلكي يتم العلوق أو التعشيش Implantation يلزم أن يتحقق شرطان وهما:

١ ـ تطور البيضة الملقحة لمرحلة تصبح معها قادرة على العلوق في جدار الرحم بواسطة الخلايا المغذية.

٢ ـ أن يكون غشاء الرحم المخاطي قد تهيأ لاستقبال البيضة الملحقة تلك، وذلك بتكاثر غدده، وزيادة مفرزاته، وبادخار مولد السكر «الغليكوجين» والكالسيوم والبروتين في خلاياه.

وهذا يتحقق بتأثير هرمون البروجسترون الذي يفرزه الجسم الأصفر، الذي هو تحور الخلايا الجريبية التي بقيت في المبيض بعد الاباضة.

وهذان الشرطان يتحققان خلال الفترة التي تقضيها البيضة الملقحة في مسيرها من الثلث البعيد للبوق إلى جوف الرحم، وتقدر هذه المدة بـ« ٧ ـ ١٠) أيام وهكذا نجد وباستمرار أن كل شيء يسير نحو هدف واحد، بتعاون وتقدير محكم، وصدق الله اذ يقول في سورة الرعد:

---

١ ـ اختلف العلماء في تعليل هذا السر. فمنهم من عزا الأمر إلى تشكل غشاء كتيم لا يسمح للنطاف بأجتيازه بعد أن تقطع البيضة الثلث البعيد للبوق، وبعضهم الآخر يعتقد أن المدة القصيرة لحياة البيضة والتي هي حوال (٢٠) عشرين ساعة، تقضيها البيضة باجتياز هذا الثلث، ثم يطرأ عليها تبدلات فلا تعود صالحة للالقاح.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[1].

وفي سورة القمر:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2].

ظاهرة غريبة في آليات المناعة الحيوية

ونحن نقف أمام هذا المشهد الرائع من علاقة التعاون والحب بين النطفة والبيضة في عرس الحياة، حيث تعطي عملية الالقاح العروسين قوة حيوية جديدة للحياة والتكاثر، وإذا لم تتم عملية الالقاح فالموت مصيرهما، ونحن نرى هذا الاستعداد العام والخاص عند الفتاة، فتبدي استعداداً نفسياً وعصبياً كما بينا سابقاً، ويظهر الجهاز التناسلي عندها حفاوة بالغة للضيف العزيز، فيقدم له الفرش والغذاء رغم أنه في حقيقته جسم غريب تماماً.

وإذا ما تذكرنا خاصة المناعة التي يتميز بها الجسم الحي أمام العناصر الغريبة التي تحاول دخوله، حيث تتحرك كل آليات المناعة وكل وسائل المقاومة التي يمتلكها للقضاء عليه. نشعر فعلاً أننا أمام ظاهرة غريبة في آليات المناعة الحيوية، رغم أنها تكرر في كل ثانية مئات المرات، وهكذا:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[3].

---

١ ـ سورة الرعد: ٨.

٢ ـ سورة القمر: ٤٩.

٣ ـ سورة ابراهيم: ٣٤.

أطوار التخلق الانساني

قال تعالى في سورة نوح:

﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلهِ وَقَاراً • وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾[١].

يبين تبارك وتعالى أن تخلق الانسان إنما يتم على اطوار متتالية، ثم يشير في سورة المؤمنون إلى أهم هذه الأطوار حيث يقول:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِن طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ ﴾[٢].

إن الناظر اليوم في هذه الآيات البيّنات وهو يضع في جعبته حقائق القرن العشرين عن علم الاجنة Embryology يشعر بأن الله تبارك وتعالى إنما خصه هو بهذه الآيات، وإن كانت قد نزلت منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، لأنها تخاطبه باللغة التي يتباهى بها اليوم!!

فهذه الآيات تحوي على ايجازها أهم أطوار تخلق الجنين في بطن أمه وهي (النطفة، والعلقة، والمضغة، ومرحلة تخلق الأجهزة، ثم الخلق الآخر) هذه الأطوار التي استخدم لها القرآن ألفاظاً لم يستطع العلم الحديث إلّا أن يستخدمها، وبذلك نجد أن الآيات القرآنية قد جاءت إضافة لاعجازها العلمي باعجاز بلاغي فريد ومدهش.

---

١ ـ سورة نوح: ١٣ ـ ١٤.

٢ ـ سورة المؤمنون: ١٢ ـ ١٤.

والآن لنسر مع آيات القرآن في تلك الأطوار التي أشار إليها:

من النطفة إلى العلقة:

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾(١).

ما إن يتم التحام النطفة بالبيضة، حتى تباشر البيضة الملقحة بالانقسام إلى خليتين، فأربع، فثمان، وهكذا. دون زيادة في حجم مجموع هذه الخلايا عن حجم البيضة الملقحة، وتتم عملية الانقسام هذه والبيضة في طريقها إلى الرحم، تدفعها حركة أهداب البوق، والتقلصات العضلية المنتظمة لعضلات جدار البوق، حتى إذا وصلت إلى الرحم كانت كتلة من الخلايا الصغيرة الضلعة. يطلق عليها اسم التوتة Marula حيث تشبه ثمرة التوت بتقسيمها الخارجي، ثم لا تلبث الخلايا السطحية لهذه الكتلة أن تفترق عن الخلايا الداخلية، وتصبح بشكل خلايا أسطوانية، ومهمة هذه الخلايا تأمين الغذاء وتسمى بالخلايا المغذية Troph blast وبذلك يصبح محصول الحمل قابلاً للتعشيش، فتغرس الخلايا المغذية استطالاتها في مخاطية الرحم، وتستمر عملية العلوق مدة ٢٤ أربع وعشرين ساعة، وبذلك تنتهي مرحلة تشكل العلقة.

وقد لا يدرك روعة التصوير القرآني لهذه المرحلة بالعلقة إلّا من شاهد تلك الكتلة الخلوية وهي عالقة علوقاً ـ وليس التصاقاً ـ بواسطة تلك الاستطالات التي غرستها في مخاطية الرحم، وما أجدرنا هنا أن نعرج على هذه الآيات التي تذكر الانسان بتلك اللحظات التي كان فيها مجموعة خلوية عالقة بجدار رحم الأم، تستمد منها الدفء والغذاء والسكن، فيقول في أول سورة نزلت من القرآن، وأسماها الحق تبارك وتعالى بالعلق:

---

١ ـ سورة المؤمنون: ١٤.

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾(١).

من العلقة إلى المضغة:

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾(٢).

بعد عملية العلوق تبدأ مرحلة المضغة في الاسبوع الثالث، بتشكل اللوحة المضغية، وذلك ابتداء من الخلايا المضغية Embryoblast، وهي الخلايا التي بقيت بعد انفصال الخلايا المغذية، واللوحة المضغية هي عبارة عن قرص مؤلف في البدء من وريقتين: خارجية Ectoderm، وداخلية Endoderm، ثم تتشكل بينهما وريقة ثالثة هي الوريقة المتوسطة Mesoderm، وحتى نهاية الاسبوع الرابع لا يكون هناك أي تمايز لأي عضو أو جهاز، ويمكن أن نسمي هذه المرحلة بالمضغة غيرالمخلقة. ثم يمر الحمل في أدق مراحله وأصعبها حيث يطرأ على اللوحة المضغية المؤلفة من الوريقات الثلاث جملة تغيرات نسيجية هادفة ومدهشة ابتداء من الاسبوع الخامس، وتسمى بعملية التمايز Defferentiation، أو كما أسماها القرآن «التخلق»، فكل زمرة من خلايا هذه الوريقات تأخذ على عاتقها تشكيل واحد من أجهزة الجسم أو أعضائه، وذلك في إطار من التكامل والتنسيق بين هذه الأجهزة، وهي تنمو وتتطور، ليكون الانسان في أحسن تقويم، وتنتهي عملية التخلق في نهاية الشهر الثالث تقريباً، ويكون طور الجنين عندها (١٠) سم، ويزن حوال (٥٥) غم ويمكن تسمية هذه المرحلة بمرحلة المضغة المخلّقة، فطور المضغة يمر إذاً بمرحلتين: المرحلة الأولى حيث لم يتشكل فيها

١ ـ سورة العلق: ١ ـ ٢.

٢ ـ سورة المؤمنون: ١٤.

أي عضو أو جهاز وأسميناها مرحلة المضغة غير المخلقة، والمرحلة الثانية حيث تم فيها تمييز الأجهزة المختلفة وأسميناها مرحلة المضغة المخلقة، وهكذا يتضح جلياً اعجاز القرآن الكريم في وصفه لطور المضغة بقوله:

﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾(١).

اللغز المحيّر:

لابد أن يستوقفنا ونحن نتكلم عن عملية التخلق سؤال هام، وهو: كيف يمكن للخلايا المضغية Embryoblast المتماثلة تماماً في بنائها أن تعطي هذه الوريقات الثلاث «الداخلية والخارجية والمتوسطة» المختلفة عن بعضها البعض؟ ثم كيف يمكن لخلايا المتماثلة في كل وريقة على حدة أن تعطي الأجهزة المختلفة في بنائها ووظائفها وخصائصها؟(٢).

فالوريقة الخارجية مثلاً يتشكل منها: الدماغ، والأعصاب، وبشرة الجلد ولواحقه من الغدد والأشعار والأغشية المخاطبة بالفم والأنف. والوريقة المتوسطة يتشكل منها: القلب والأوعية الدموية، والدم والعظام، والعضلات، والكليتين، وأدمة الجلد، وقسم من الغدد الصماء. أما الوريقة الداخلية فيتشكل منها: مخاطية الجهاز التنفسي، والطريق الهضمي، والغدة الدرقية، والغدة جار الدرقية، والكبد، والبنكرياس. وهكذا.

أجل كيف تم ذلك؟ ومن الذي دفع هذه الخلايا المتماثلة الضعيفة لتعطي كل هذا من مراكز التفكير والشعور والابداع؟ وكل هذا من مصانع الدم والسكاكر

---

١ ـ سورة الحج: ٥.

٢ ـ الانقسام أو التكاثر الخلوي من أهم ميزات الخلية الحية، ومعروف أن الخلية عند ما تنقسم تعطي خليتين متماثلتين تماماً وبكل شيء في البناء والخصائص والوظائف.

والبروتين؟ وكل هذا من أجهزة التكليف والراحة ومن وسائل الوقاية والحماية والأمن في الجسم؟ انه اللغز الذي حيّر وما زال يحير كل علماء الدنيا حتى يعلموا أن المبدع والموجه في هذه الحياة، هو الله. ويوم يصلون إلى هذا اللغز فسيوقنون أكثر أنه:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

ويتمالكنا العجب ونحن نرى أن القرآن قد أشار لهذا اللغز، في آيات تعد منارات هداية على طريق العلم، وبواعث تدفع للبحث والتحليل باستمرار، قال تعالى في سورة الحج:

﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾.

ثم يؤكد على هذه الناحية حيث يقول في سورة المؤمنون:

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ﴾.

فهذه الآية تشير فقط إلى بدء تشكل العظام قبل تشكل اللحم «العضلات»، كما لا تقتصر على الابداع التعبيري الواقعي في تصوير علاقة العضلات بالعظام على أنها علاقة كساء، ومن يدرس التشريح يعلم تماماً كيف تحيط العضلات بالعظام كأنها كساؤها. أجل لا تقتصر الآية على ذلك فقط، وإنما تشير في تقديرنا إلى عملية التمايز والتخلق، التي تبتدئ من تلك المضغة الصغيرة:

﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ﴾.

١ ـ سورة الحشر: ٢٤.

ثم أنشأنا خلقاً آخر «طور الجنين»

يميل محصول الحمل نحو الزيادة في الوزن بعد الشهر الثالث، وتسعى الأجهزة التي تشكلت نحو التكامل، حتى أن بعض الأجهزة تبدأ عملها أثناء الحياة الجنينية، كالقلب وجهاز الهضم، ويقوم نقي العظم بتكوين عناصر الدم.

وبشكل عام فان أهم ما يطرأ على الجنين بعد الشهر الثالث هو: الحركة، ونبضان القلب، واستقلال افراز المشيمة الغدي، والنمو المتسارع في حجم الجنين، وتكامل شكله الخارجي.

أما الحركة، فتبدأ في آخر الشهر الثالث وابتداء الرابع حيث تتم عملية اتصال الجهاز العصبي بالأجهزة، والعضلات، وتشعر الحامل بحركات جنينها الفاعلة في الشهر الرابع، أو قبل ذلك في المولودات.

أما نبضات القلب فتبدأ بعد بداية الشهر الرابع، ويمكن سماعها أيضاً، وتكون واضحة في الشهر الخامس تذكر الدكتورة فلك الجعفري:

ان أحد الأساتذة المصريين أراد تسجيل أول دقة للقلب، وعند ما ابتدأ مشعر المسجل بالحركة، قال: هنا الله، أي: هنا قدرة الله.

وبالنسبة لاستقلال المشيمة الغدي، فهو مباشرتها بافراز الهرمونات اللازمة لاستمرار الحمل بعد أن أصبحت الكميات التي يفرزها المبيض غير كافية، ولأن متطلبات الحمل من هذه الهرمونات تصبح أكبر بكثير من كفاءة المبيض.

أما نمو الجنين فيكون سريعاً في هذه المرحلة، فقعد أن كان وزنه في نهاية الشهر الثالث (٥٥) غم، وطوله (١٠) سم، يصبح وزنه عند تمام الحمل حوالي (٣٢٤٠) غم، وطوله (٥٠) سم، وخلال هذه الفترة، يتكامل شكله الخارجي، فيصبح لون الجلد أحمر، وتنبسط تجعداته، وتسقط عنه الاوبار، وتنفتح الجفون، وتتكامل الأظافر.

وبهذا الاستعراض السريع لأهم ميزات هذه المرحلة نجد أن تلك المضغة قد أخذت بعداً آخر، اكتسبت فيه قدرة على الحركة، وابتدأ بها القلب بالنبضان بلا توقف، ولهذا البعد أشار القرآن بعد عرضه لسلسلة أطوار تخلق الجنين، حيث قال:

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾.

ولعل أكثر الناس شعوراً بهذا البعد ليس الطبيب وإنما الأم الحامل التيى ما إن تشعر بحركات جنينها حتى تحس بشيء لم تعهده من قبل، إنها تحس أن روحاً أخرى تدب في أعماقها، فتظهر علامات الارتياح على ملامحها، وتعلو البسمة محياها، وإذا ما غابت عنها تلك الحركات مدة بسيطة، قلقت وتأرقت.

وأبعد من هذا فقد وجد العلماء أن الجنين يبدأ في آخر الحمل بالسماع، وممّا يسترعي سمعه وهو في بطن أمه، ذلك الصوت الحنون الخالد الذي لا يعرف إلّا الحب والحنان والعطاء. إنه صوت خفقان القلب الكبير. قلب أمه، وهكذا تنشأ صلات الحب والمسؤولية بين الأم ووليدها، في الوقت الذي تعاني فيه الأم من الوهن والعذاب ما لا يحتمله غيرها، ولذلك قال تعالى في سورة لقمان:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

وبعد أن وقفنا على أطوار خلقنا البديعة المدهشة، هل لنا أن نقدر الله حق قدره؟ هل لنا أن نرجو لله وقارا؟

١ ـ سورة لقمان: ١٤.

﴿ مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾(١).

تشخيص الحمل اليقيني والعدة:

أن الشعور بحركة الجنين، وسماع نبضات القلب، هما العلامتان اليقينيتان لتشخيص الحمل، وكل العلامات التي تسبقهما كانقطاع الطمث، وأعراض الوحام، وحتى ايجابية تفاعل الحمل الحيوي، لا تعتبر علامات يقينية نستطيع على أساسها القطع بحصول الحمل، فهناك حالات مرضية، يمكن أن تعطي نفس الأعراض، كالرحى العدارية، والورم الكوريوني البشري، والحمل الهيستريائي.

وكما لاحظنا أن هاتين العلامتين؛ شعور الحامل بحركة جنينها وسماع الطبيب لدقات قلب الجنين، يحصلان بعد الشهر الرابع، وهذا ما بينه القرآن الكريم منذ ألف وأربع مئة عام، حيث قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً ﴾(٢).

إن وجه الاعجاز في هذه الآية الكريمة ظاهر بلا شك، وهي تقرر ما يسمى بعدة المرأة التي توفي زوجها، حيث حددت وبالضبط المدة التي يصبح عندها أو بعدها تشخيص الحمل يقيناً.

أما عن الحكمة في هذه العدة فيعلمها الأطباء الشرعيون؛ إذ يجب أن يعرف ما إذا كان الحمل من الزوج المتوفى أم لا، وحتى لا تنسب المرأة حملاً حملته سفاحاً لزوجها المتوفى، وحتى لا ينكر أهل الزوج المتوفى بنوّة الجنين الجديد

---

١ ـ سورة نوح: ١٣ ـ ١٤.

٢ ـ سورة البقرة: ٢٣٤.

لأبيه بغية التخلص من ميراثه، ويتهمون الأم البريئة بأن حملها هذا سفاحاً أو من زوجها الجديد. إلى آخر ما هنا لك من المشاكل أو المظالم التي قد تقع.

البعد الانساني «الروح»:

البعد الانسان، هو البعد الذي جعل من الطين الرخيص، بشراً كريماً تسجد له الملائكة المكرمون، قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ • فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[1].

وهو بعد الحياة الانسانية ـ وليس الخلوية ـ الذي يمنحه الحق تبارك وتعالى للانسان وهو ما يزال في بطن أمه، عند ما يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح.

وقد بين ذلك أيضاً حديث الرسول ﷺ:

«ثُمَّ يرسل إليه الملك فَيُنفخ فيه الرّوح».

وذلك بعد (١٢٠) يوماً، أي بعد أربعة أشهر، وهذا ما يطابق معطيات العلم الحديث.

وهكذا نفهم ذلك البعد الذي خص الله به الانسان، فلم يعد مجرد عناصر أولية لا تساوي في قيمتها سوى دراهم معدودة في ميزان البيع والشراء، كما لم يعد مجرد مجمعة خلوية حية، بل ميزه عن باقي مخلوقاته يوم جمع بين المادة والروح في خلقه، وبذلك كان الانسان خليفة الله في أرضه، ومهبط وحيه ورسالاته، وحامل أمانته، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن

---

١ ـ سورة ص: ٧١.

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَانُ﴾[1].

الظلمات الثلاث:

قال تعالى:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لاَ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[2].

في الوقت الذي تعرض فيه الخلايا المضغية للاطوار التي ذكرناها، يكون هناك ما يسمى بالخلايا المغذية التي تأخذ على عاتقها تأمين الغذاء والهواء لحصول الحمل، ثم يتشكل منها ملحقات الجنين والتي منها، هذه الأغشية الثلاثة التي تحيط ببعضها وهي من الداخل إلى الخارج:

١ ـ الغشاء الأمنيوسي Amniotic membrane، وهو يحيط بالجوف الأمنيوسي المملوء بالسائل الأمنيوسي، الذي يسبح فيه الجنين بشكل حر.

٢ ـ العشاء الكوريوني Chorionic membrane، الذي تصدر عنه الزغابات الكوريونية التي تنغرس في مخاطية الرحم.

٣ ـ الغشاء الساقط Disidua membrane، وهو عبارة عن مخاطية الرحم السطحية بعد عملية التعشيش ونمو محصول الحمل، وسمي بالساقط لأنه يسقط مع الجنين عند الولادة.

وبالنظر إلى الآية السابقة:

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾.

---

١ ـ سورة الأحزاب: ٧٢.

٢ ـ سورة الزمر: ٦.

واستناداً إلى المعطيات العلمية التي ذكرناها حول الأغشية الثلاثة، نجد أنفسنا مرة أخرى امام اعجاز قرآني جديد، إذ أشارت الآية الكريمة لأغشية الجنين الثلاثة بتصوير واقعي لجو الظلمة المحيطة بالجنين، فما أسميناه بالغشاء أسماه القرآن بالظلمة: ظلمة الغشاء الأمنيوسي، وظلمة الغشاء الكوريوني، وظلمة الغشاء الساقط. وشيء آخر في الآية الكريمة هو تبيانها أن عملية الخلق تتم على أطوار متلاحقة داخل هذه الظلمات الثلاث:

﴿ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ﴾.

أجل ينبغي للداعي أن يهتف من أعماقه:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ٱلَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»

تجلّيات مدهشة من رحمة الله الواسعة

وإن شئت نظرت إلى جانب آخر ترىٰ آثاراً مدهشة أخرى من رحمة الله الواسعة، فلعل الغبار الذي يكتنف مرايا القلوب فتسطع عليها الأنوار، ويتأجج الحب في أرواحنا فتهب إلى العبادة الخالصة وتنفر من المعاصي والذنوب نفوسنا.

ان جهاز دماغ الانسان لهو من أعجب الأجهزة عندما تستعرض الأعمال والوظائف التي يؤديها ويقوم بها؛ إذ تقف أعظم الأجهزة التي صنعها الانسان عاجزة أمام عظمته.

ان احدى وظائف الدماغ هو تسجيله جميع الوقائع المختلفة ليشكل في مجموعه الذاكرة، والذاكرة البشرية وحدها ترتبط بجزء صغير من الدماغ وإليك هذا المثال لتتصور قوّة الذاكرة:

لنفترض ان شخصاً امضى من عمره خمسين سنة وأراد أن يدون ذكرياته من دون زيادة أو نقصان، انه يحتاج إلى ذلك إلى ما يعادل ١٦٠،٠٠٠،٠٠٠ صحيفة من القطع الكبير وبعشرين صفحة مليئة كلها بسطور وحروف ناعمة.

ان آلية الاستذكار أو استعادة الذكريات الماضية تشبه كثيراً شريط الكاسيت والفرق الوحيد ان القوة الكهربائية لشريط المخ هي من أعصاب البدن ولا تحتاج إلى تدوير.

ولو أراد الانسان أن يجسد عمل المخ في جهاز آلي للزمه أن يركب جهازين متجاورين كناطحتي سحاب وأن يجهزهما بالقوة الكهربائية من خلال أعظم شلال في العالم وحتى لا تحدث كارثة بسبب الحرارة التي تشع من الاسلاك الساخنة بسبب جريان القوة الكهربائية؛ فانه يحتاج إلى جميع ماء الشلال العظيم ذلك من أجل التبريد.

وحتى هذا الجهاز الخيالي المخترع لن يكون بامكانه اداء جميع ما يؤديه دماغ الانسان العادي في طريقة تفكيره فما بالك بالعباقرة!

ان الأمر الذي يصدر عن مخ الطفل الرضيع إلى الشفتين لامتصاص اللبن من ثدي الأم هو وراء هذه الحالة من الطمأنينة التي تستغرق الطفل في الحضن الرؤوم.

وهناك في جسم الأم أعظم مصنع كيمياوي آلي يقوم بتحويل الدم القاني إلى لبن ناصع سائغ غني بكل الفيتامينات اللازمة لنمو الطفل.

كل هذا الغذاء الغني والعذب يتدفق من مخزنين إلى حلمتين إلى فم الطفل وانظر إلى ذلك الانسجام بين الحلمة وفم الطفل حيث الحلمة مجهزة بثقوب مناسبة تنفتح بمجرد أن يقوم الطفل بعملية المص ثم تنغلق حالما يرتوي ويكف عن العمل.

وهذا المصنع الهائل غارق في سبات عميق مادام الطفل ما يزال جنيناً في بطن أمّه، حتى إذا حانت لحظة الميلاد وخرج إلى الدنيا يستيقظ هذا المجمع الصناعي الكبير ويعمل بكل طاقته الانتاجية، ليعمل وينتج لبناً غنياً بمادّته طيباً في مذاقه ومتناسباً مع نفس الطفل في ما يلزمه من أسباب النمو؛ والأعجب والأكثر اثارة أن المصنع يتطور كلما تقدّم الطفل في عمره فينتج بما يتوائم مع حالة الطفل الرضيع، حيث تتضاعف المواد الغذائية التي يزخر بها الحليب!

انها حقائق مدهشة ومحيّرة لا تعكس سوى تجلّيات من رحمة الله الرحمن الرحيم هذه الرحمة المطلقة التي تغمر كل الوجود.

وما على الانسان إلّا أن يتأمل ما حوله من الآيات وفي أعماقه من الأسرار المثيرة، ليعي الفيض الذي يغمره ويغمر العالم من حوله، ومن ثم يعرف الطريق إلى خالقه وحينئذ سيمد كفّيه باتجاه الأزلي الأبدي هاتفاً:

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ٱلَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ»

الجهاز التنفسي

تقوم الرئتان في متوسط حياة الانسان العادية بما يناهز الخمسة مليون عملية من الشهيق والزفير.

وتوجد في الجهاز التنفسي مئات الآلاف من الغدد تفرز السوائل اللزجة ووظيفة هذه الغدد هو اجتذاب الذرات الضارة الموجودة في الهواء في حالات الغبار عندما تلج حين التنفس.

وفي غياب هذه السوائل ولو لحظات فان الأنابيب التنفسية سوف تنسد وتؤدي بحياة الانسان.

وتزخر الأنابيب (القصبات الهوائية) تلك بالآلاف من الشعيرات التي تقوم بدور التنقية.

وتقوم هذه الشعيرات في الثانية باثني عشر عملية كنس في الأنابيب ودفع الذرات الضارة إلى الجهاز الهضمي وابطال آثارها السلبية.

وتقوم القصبات الهوائية بايصال ٧٥٠ مليون كيس رئوي إلى الهواء النقي واستبدال الكاربون والدم المؤكد بالأوكسجين النقي واهب الحياة.

وهذه حقيقة أخرى وهي جزء من «كل شيء» حيث كل شيء مغمور برحمة الله.

الجلد

للجلد منافع لا تحصى ومنها:

١ ـ انه مزود بمسامات غاية في الدقة حيث يمكن للانسان أن يتنفس منها قدراً ممّا يلزمه من الهواء ولو لا هذه المسامات لاستحالت الحياة.

٢ ـ انه مزود بالغدد التي تقوم بالتعرّق وتلطيف حرارة الجسم والمحافظة على درجة حرارة مناسبة لحياة الانسان.

٣ ـ انه مجهز بالغدد الدهنية تجعل منه طريّاً ومن الشعر فتياً.

٤ ـ انه الخط الأول في عملية الدفاع أمام هجوم الجراثيم.

٥ ـ انه ومن خلال عملية التعرّق يقوم بطرد السموم من البدن وهذا ما يخفف الاعباء عن الكليتين.

٦ ـ انه يحفظ السوائل اللازمة لحياة الانسان في الجسم ويمنع تسربها إلى الخارج.

٧ ـ انه مركز الحاسّة اللامسة، ومن خلاله يتحسس الانسان الحرارة والبرودة، النعومة والخشونة، المرونة والصلابة، الرقة والضخامة، ويرسل تقاريره

إلى مركز المحاسبات المنطقية.

انه بايجاز جزء آخر من تجلّيات الرحمة الالهية والفيض السماوي.

المنظومة الدفاعية

ان الله عزوجل الذي خلق بدن الانسان جعل له برحمته خمسة خطوط دفاعية تصد عنه هجمات المغيرين وهي الجراثيم والفيروسات:

١ ـ الجلد الذي يحيط بالبدن احاطة القلعة بأسوارها.

٢ ـ الانسجة اللمفاوية: وهي انسجة تشبه النسيج القطني الذي يلي الجلد ولونه حليبي وقد يتغير لونه ويكون في بعض الاحيان سميكاً وفي أجزاء اخرى رقيقاً، فاذا استطاع العدو اختراق الخط الأول تصدى له النسيج اللمغاوي بالمقاومة.

٣ ـ الأغشية المخاطية ولونها يتناسب مع العضو الذي تغطيه ووظيفتها الدفاع عن العضو.

ولبعض الأعضاء كالقلب غشاءان من هذه الأغشية المخاطية الأول خارجي ويحيط بالقلب من الخارج والآخر داخلي يغطي القلب من الداخل.

٤ ـ الحامض المعدي: عند ما يتمكن العدو من الوصول إلى المعدة يتصدى له هذا الحامض بالمقاومة.

٥ ـ الكريات البيض وهي الكريات التي تسبح في الدم وتشتبك مع الجراثيم الواردة في الدم ولا تكف عن القتال والصراع والمقاومة إلى أن يتم القضاء على العدو، ولكنه من المثير أنها تشخص العدو من الصديق لأنها عند ما تشعر بدخول

جراثيم مفيدة فانها سرعان ما تتعاون معها(١).

وهل هناك غير الرحمة الالهية والرأفة الرحمانية التي تغمر البشر وتحفظه من الآفات وتحميه في دروب سي الحياة؟!

حقاً انها رحمة مطلقة تغمر كل شيء.

النباتات وفوائدها المدهشة

انها جزء من الرحمة التي تغمر كل شيء فالنباتات بأنواعها وما تنطوي عليه من فوائد كبرى تلعب دوراً في حياة الانسان واستمرار وجوده وبقائه.

ففي الهواء نسبة محدودة من غاز الأوكسجين هذا الغاز الذي لا يستطيع الكائن الحي أن يستغني عنه أبداً.

ان عملية الشهيق في التنفس تعني استنشاق قدر من الأوكسجين يرد الدم من خلال الرئتين لينتشر في انحاء البدن. والأوكسجين يحرق الغذاء في الخلايا المختلفة مخلفاً غاز الكاربون الذي ينتقل عبر الدم أيضاً إلى الرئتين ليطرد خارج الجسم بعملية الزفير. وعملية التنفس بالشهيق والزفير تعني احراق الأوكسجين واطلاق غاز ثاني أوكسيد الكاربون.

وهنا يرد هذا السؤال لماذا لا ينضب اذن غاز الأوكسجين؟ ان نسبته في الهواء تبقى ثابتة بالرغم من وجود المليارات من البشر والكائنات الحية الاخرى وعلى امتداد آلاف السنين. ان الشخص الواحد وخلال ٢٤ ساعة ينفث في الجو ما يعادل ٢٥٠ غم من الكاربون فان مجموع البشر ينفثون إلى الجو حوالي ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ خمسمئة مليون طن من الكاربون.

---

١ ـ علامات منه: ٨٨ ـ ١٣٣.

وعليه يفترض انحسار نسبة الأوكسجين وتفاقم نسبة ثاني أوكسيد الكاربون !!

ولكن رحمة الله عزوجل حفظت للبشر والكائنات الحية حياتها ودفعت عنها الخطر الحتمي .

لقد خلق الله عزوجل كائنات حية أخرى تقوم في تنفسها بعكس ما يقوم به البشر يعني ان النباتات تستفيد من ثاني أوكسيد الكاربون وتطلق إلى الجو والهواء الأوكسجين وهذا بالضبط ما تقوم به النباتات في عملية التركيب الضوئي في صنع الغذاء المعروفة .

ان هذا التوازن في نسب الغازات في الهواء يعكس جانباً من الرحمة الالهية المطلقة .

فيا حسرة على من لا يرى نعمة الله تبارك وتعالى رحمته ويا حسرة على من لا ينتبه من غفلته فيرى الآيات من حوله .

والنباتات في دورها الحياتي هذا هي ليست كل شيء وان الانسان ليرى ألوانها المختلفة ويشم روائحها ويتلذذ باطعمتها المتنوعة .

دور الحشرات والحيوانات في الحياة

الله سبحانه وحده الذي يعرف عدد الحشرات والحيوانات فهو الذي خلقها فلا يحصيها غيره ، انها تملأ البحار والبراري والغابات وما أعظم فوائدها على الناس .

١ ـ حشرات تقوم بدور التلقيح : لقد خلق الله سبحانه الأشجار المثمرة زوجين ذكراناً وأناثاً والأشجار المثمرة تحتاج إلى تلقيح من الاشجار الاخرى الشبيهة لها في الشكل ولا تثمر .

ولكن من يقوم بعملية التلقيح يا ترى؟ إنّ الله سبحانه سخّر لذلك بعض الحشرات التي تقوم بهذه المهمة على أحسن وجه؛ فهي تنتقل بين زهور الأشجار ويلصق بأرجلها من اللقاح من هذه الزهرة لتحط على زهرة أخرى ويتم التلقيح وتحمل الأشجار الثمار!!

والمدهش هنا ان هذه الحشرات تقوم بهذه المهمات دون أن يصدر عنها خطأ فهي لا تنقل اللقاح من شجرة التفاح إلى أشجار الخوخ ولا من أشجار الخوخ إلى شجرة التفاح وإنما يتم التنقل بين النوع الواحد من الأشجار، وتقوم الأشجار بتقديم المكافأة لهذه الحشرات فتقدم لها الرحيق والشهد.

٢ ـ الابقار والغنم: يقول علماء الأحياء ان كل شيء موجود بالقدر المطلوب فاللبن الموجود في الثدييات موجود بقدر ما يحتاج الرضع من الصغار ولكن الله عزوجل جعل في هذه القاعدة العامة استثناء حيث نجد الأبقار والأغنام خارجة عن هذا القانون الطبيعي لأن الله جعل من لبن الأبقار والأغنام ليس غداء لصغارها فحسب، بل يوجد فائض كبير يصل إلى الانسان لأن حليب الأبقار والأغنام غذاء غني بالفيتامينات وهي حيوية في حياة البشر[1].

أليس هذه رحمة من الله عزوجل للانسان ان سخر له هذه الأنعام، فهذه يركبها وتلك تحمل اثقاله من بلد إلى بلد وثالثة يحلبها!!

وليتأمل الانسان في قطعان الغنم وهو يشرب لبنها ويتغذى بلحمها ويرتدي من أصوافها ما يدرأ عنه غائلة البرد في فصل الشتاء؛ أنها آثار رحمة الله وما على الانسان إلّا أن ينظر ويعتبر.

٣ ـ النحل: يقول علماء النبات ان الأزهار لا تنتج الرحيق على مدار اليوم بل

---

١ ـ المصدر السابق: ١٧٤.

ان لها أوقاتاً محددة في اليوم؛ تقدم فيها الرحيق وهي لا تعدو ثلاث ساعات في اليوم كما انها لا تعرضها في وقت متواصل في اليوم الواحد فهي تقدم جزء من رحيقها في الصباح وعند الظهيرة وفي الأصيل.

ويعدّ النحل خبيراً متمرساً في شؤون الأزهار كما انه يعرف الوقت المناسب والساعات التي تقدم فيها الأزهار الشهد والرحيق وفي تلك الاوقات المحددة تنطلق النحلة لامتصاص الرحيق من مختلف الأزهار[1].

وبعد ذلك يقوم النحل بتحويل الرحيق والشهد إلى مادة أخرى شهية طيبة المذاق وهي العسل المصفى بألوانه الرائقة وطاقاته ومادته الغذائية الكبيرة، فالعسل كما هو معروف لا يعرف الفساد بل انه دواء ناجع لكثير من الأمراض وقد قال الله عزوجل:

﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾[2].

وقد ألف العلماء في النحل والعسل عشرات بل مئات الكتب وفي كل ورقة تجد آية من آيات الله ورحمته ورأفته.

الهداية نعمة كبرى

وشاءت الرحمة الالهية الازلية ان يعيش الانسان مدة من الزمن في مكان من صرح هذا الوجود الكبير؛ انه كوكب الأرض حيث الرياح والغيوم والشجر وحيث الشمس والقمر، وقد سخر الله له كل شيء في هذا الكوكب ليعيش تجربته الانسانية في البناء والاعمار وقد منحه الله سبحانه نعمة العقل مصباحاً وسراجاً

١ ـ المصدر نفسه: ٢/٩٢.
٢ ـ سورة النحل: ٦٩.

منيراً، يضيء له الطريق ومنحه الله سبحانه الارادة والحرية في الاختيار ومنحه الضمير والوجدان قانوناً اخلاقياً وأودع فيه أسرار الفطرة الآدمية.

وحتى لا يضل الانسان طريقه في دروب الحياة؛ أرسل إليه الأنبياء وأنزل عليه الرسالات يحملها بشر بلغوا مراتب السمو والكمال، وكان كتاب الله العزيز القرآن المجيد، هو آخر الكتب السماوية فيه هدى للضالين ودليل للحائرين.

ولو تأمل الانسان في ما أنعم الله عليه من نعم مادية وأخرى روحية معنوية، لأدرك ان الله رحمان رحيم غمر فيضه عوالم الغيب والشهادة والملك والملكوت.

فالمؤمن تغمره من الله رحمة واسعة ورأفة ويرفعه بعمله وسعيه إلى مرتبة عالية لا يبلغها حتى الملك المقرب.

وفي هذا العصر حيث تشع أنوار المعرفة، اتضح الطريق إلى الله فيسلك السالك درب الحب وطريق العشق، مستضيئاً بايمانه يشده شوق للقاء المحبوب فترى الواهين يشدون الرحال إلى المعشوق قد تيمهم الحب، لا يلتفتون إلى شيء غيره، وقد أخذ العشق بألبابهم، فهم عن ذكر المحبوب لا يفترون.

ان الانسان المؤمن ينتخب الصراط المستقيم وطريق الهدى القويم يعمل الحلال من الأعمال ويجتنب الحرام من الأفعال، يخدم الخلق لأنهم عيال الله، وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أجراً غير ممنون أجراً كريماً وكبيراً ورضوان من الله أكبر والخلود في جنات الفردوس.

رحمة الله

الانسان وهو يطوي المسافات في دروب الحياة، لابد وأن يخطئ ويعثر فالنسيان والجهل والعصيان أمور تعتور مسيرة الانسان.

وشاءت الرحمة الالهية أن يبقى باب التوبة والعودة مفتوحاً للانسان على مصراعيه.

فمهما انحرف الانسان عن جادة الصواب ومهما زلّ وضل ونأى عن الطريق القويم، فان باب الانابة إلى الله مفتوح، وقد وعد الله عزوجل عباده النادمين التائبين بقبول التوبة والغفران والصفح، خاصّة إذا اقترنت توبته بتلاوة دعاء كميل في ليالي الجمعة، ليلة الرحمة والمغفرة. إنّ هذا الدعاء الجليل بسمو معانيه لابد وأن يستمطر الرحمة والقبول من لدن الله الغفور الرحيم.

وكيف لا وقد وعد الله عزوجل عباده العصاة بالمغفرة إن هم تابوا وعادوا وأنابوا إليه.

﴿ قُل يا عِبادِيَ ٱلَّذينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنوبَ جَميعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفورُ ٱلرَّحيمُ ﴾[1].

وهذه طائفة من الآيات مفعمة بالرحمة والمغفرة بوعد الله عزوجل الذي لا يخلف الميعاد.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفورٌ رَحيمٌ ﴾[2]؛ **﴿ وَٱللَّهُ رَؤوفٌ بِالْعِبادِ ﴾**[3]؛ **﴿ وَٱللَّهُ يَدْعوا إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ ﴾**[4]؛ **﴿ أَنَّ ٱللَّهَ غَفورٌ حَليمٌ ﴾**[5]؛ **﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ ﴾**[6]؛ **﴿ وَٱللَّهُ ذو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظيمِ ﴾**[7]؛ **﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كانَ عَفُوّاً غَفوراً ﴾**[8]؛ **﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كانَ تَوّاباً رَحيماً ﴾**[9]؛ **﴿ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرّاحِمينَ ﴾**[10]؛ **﴿ إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ**

---

١ ـ سورة الزمر: ٥٣.
٢ ـ سورة البقره: ١٧٣، ١٨٢، ١٩٢، ١٩٩؛ وسورة المائده: ٣٩.
٣ ـ سورة البقره: ٢٠٧؛ وسورة آل عمران: ٣٠.
٤ ـ سورة البقره: ٢٢١.
٥ ـ سورة البقره: ٢٣٥.
٦ ـ سورة البقره: ١٠٥.
٧ ـ سورة البقره: ١٠٥.
٨ ـ سورة النساء: ٤٣.
٩ ـ سورة النساء: ١٦.

ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[١١].

وأمام هذه الزخم من الآيات التي تزرع الأمل من النفوس، من المنطقي أن يكون اليأس من الكبائر التي يعاقب الله عزوجل عليها أشد العقاب.

وجاء في كتب الحديث عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام:

«انه يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عزوجل، فيكون هو الذي يلي حسابه فيوقفه على سيئاته شيئاً فشيئاً، فيقول: عملت كذا في يوم كذا في ساعة كذا، فيقول: أعرف يا رب، قال: حتى يوقفه على سيئاته كلها، كلّ ذلك يقول: أعرف، فيقول عزوجل سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم، أبدلوها لعبدي حسنات، قال: فرتفع صحيفته للناس فيقولون: سبحان الله! أما كانت لهذا العبد سيئة واحدة؟! وهو قوله الله عزوجل: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾»[١٢].

دعوات مستجابة

كان في زمان منصور بن عمار وهو من العارفين رجل ثري وكان للثري مجلس كل ليلة ترتكب فيه المعاصي؛ وذات يوم أعطى الرجل غلامه أربعة دراهم وأمر أن يشتري ما يلزم المجلس من طعام وشراب.

وانطلق الغلام إلى السوق فمر بمجلس منصور بن عمار وهو يعظ من حوله والجالسين إليه، فسمع منصور بن عمار يخاطب الناس من يهبني أربعة دراهم لهذا الفقير وأدعو له أربع دعوات؟

١٠ ـ سورة يوسف: ٦٤.
١١ ـ سورة النجم: ٣٢.
١٢ ـ بحار الأنور: ٢٨٨/٧.

فقال الغلام في نفسه: ليس هناك ما هو أفضل من هذا أعطيه الدراهم واشتري منه أربع دعوات وان هذا لأفضل من اشتري طعاماً وشراباً لأهل المعاصي.

وتقدم الغلام إلى منصور بن عمار وسلمه الدراهم فقال منصور ما تـريد أن أدعو لك.

قال الغلام أريد أن تدعو لي بأن يطلق الله أساري فأكون حراً والثانية أن تدعو لمولاي بأن يوفقه الله للتوبة والثالثة أن يعوضني الله بدل هذه الدراهم دراهم مثلها والرابعة أن يغفر الله لي ولسيدي وأصحاب مجلسه.

ودعا له منصور بن عمار الدعوات الأربع وعاد الغلام خالي اليدين فسـأله سيده عن الطعام والشراب، فقال: يا سيدي اشتريت بها دعوات أربع فسأله سيده عنهن فقال: الأولى أن أطلق من ربقة العبودية.

فقال له: أنت حر لوجه الله.

قال الغلام: والثانية أن يوفقك الله للتوبة.

فقال الرجل الثرى: لقد تبت إلى الله ولن أعصيه بعد الآن أبداً.

قال الغلام: والثالثة أن يعوضني الله بدل الدراهم الأربعة دراهم غيرها، فنقده الرجل أربعة دراهم في الحال.

فقال الغلام: والرابعة أن يغفر الله لك ولأصحاب مجلسك.

فقال الرجل: لقد قمت بما استطيع، أما هذه فليست لي ولا من شأني.

ولما أوى الرجل تلك الليلة إلى النوم، سمع في عالم النوم هاتفاً من جانب الحق يقول له: يا عبدي أنت بفقرك ومسكنتك وقد قمت بالذي عليك فكـيف لا أغفر لك ولأصحابك وأنا الكريم لقد غفرت لك ولغلامك ولأصحابك.

الورود على ربّ كريم

يروي أن رجلاً حكيماً مرّ يوماً بسكّة فرأى أقواماً أرادوا اخراج شاب من المحلة لفساده، وامرأة تبكي قيل انها أمّه، فأشفق الرجل الحكيم عليها فشفع له إليهم وقال هبوه منّي في هذه المرّة فان عاد إلى فساده فشأنكم فوهبوه منه فمضى به الرجل، فلما كان بعد أيام اجتاز بتلك السكة فسمع بكاء العجوز من وراء ذلك الباب فقال في نفسه لعل الشاب عاد إلى فساده، فنفي من المحلة، فدق عليها الباب وسألها عن حال الشاب، فقالت: انه مات فسألها عن حاله، فقالت: لما قرب أجله قال: لا تخبري الجيران بموتي فلقد آذيتهم فانهم سيشتموني ولا يحضرون جنازتي، فاذا دفنتيني هذا خاتم لي مكتوب عليه بسم الله الرحمن الرحيم فادفنيه معي، فاذا فرغت من دفني فتشفعي لي إلى ربي ففعلت وصيته، فلما انصرفت عن رأس القبر سمعت صوته يقول: انصرفي يا امام فقد قمت إلى ربّ كريم[١].

توبة بعد توبة

يروي «العطار» في كتابه «*منطق الطير*» ان رجلاً وفق للتوبة بعد أن استغرق في الذنوب والمعاصي ولكنه بعد أن تاب عاد مرّة أُخرى إلى المعصية ثم تاب أيضاً وسرعان ما كسر توبته وارتكب الاثم، حتى عاقبه الله ببعض ما جنت يداه حتى أدرك أن فرّط في عمره وضيّع سنوات حياته بدداً وأوشك على الرحيل فأراد التوبة، ولكنه أعرض عنها خجلاً وحياء وكان يتقلقل تقلقل حبّة القمح

١ ـ تفسير روح البيان: ١/٢٣٧.

عندما تسقط فوق الجمر، حتى حل السحر سمع نداء من الغيب: لقد تبت عليك يوم تبت أول مرّة ولمّا نقضت العهد لم انتقم منك فأمهلتك حتى تبت مرة أخرى وقبلت توبتك فلما نقضت ذلك في الثالثة واستغرقت في المعاصي والذنوب أمهلتك، والآن إن أردت التوبة فتب فاني سأغفر لك[1].

يا من يجيب دعوة الحائرين

ويروي العطار أيضاً ان جبريل الأمين سمع من على سدرة المنتهى نداء الحق تعالى يقول: لبيك، فنظر إلى السموات السبع وفي عالم الناسوت فلم ير من يليق بنداء الله عزوجل، فقال: يا رب إنّي نظرت فلم أجد من يليق بندائك يا رب، فقال الحق تعالى: انطلق إلى الأرض تر في معبد الروم عبداً من عبادي يبكي، فلما رأى ذلك قال: يا رب ازح عني بصري الحجب لأني وجدته من الضالين، قال الله عزوجل ألم تره يبكي ويبحث عني وهو قد ضل الطريق ويستنجد بي، من أجل هذا قلت له: لبيك فيشرق على قلبه الايمان ويهتدي إلى الطريق[2].

---

١ ـ انيس الليل: ٤٥.
٢ ـ المصدر السابق: ٤٦.

« وَبِقُوَّتِكَ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ»

وأسألك يا الهي بقوتك وحكومتك، التي خضع لها واستجاب لها كل شيء في هذا الوجود.

إنّ قدرته سبحانه هي عين ذاته لا نهاية لها ولا حدود؛ انها مطلقة مطلقة، وانه لا قدرة ولا قوة يمكن مقارنتها بقدرته؛ انها قدرات وهمية تجسّد الضعف التام أمام قدرة الله عزوجل.

وكل ما نراه من قدرات ما هي إلّا شعاع من قدرته إذ «لا حول ولا قوة إلّا بالله».

ان «كل شيء» يعني كل الكائنات، التي ظهرت إلى الوجود بارادته هو سبحانه ولا يحيط بما خلق غير الذي خلق.

هذا الوجود المترامي وتلك السموات البعيدة والنجوم والمجرّات في أغوارها السحيقة وهذه الأرض بكل غاباتها الكثيفة ومجاهلها والحيوانات التي تنتشر في أنائها في البراري وفي البحار والمحيطات من الفيروسات المتناهية في الصغر إلى الحيتان الكبيرة... ترى من الذي يمكنه احصاءها بل وحتى استكشافها.

الله وحده هو الذي خلقها، فهي طوع قدرته ورهن ارادته سبحانه، إذا قال للشيء كن فيكون.

ان هذا الوجود بنظامه الدقيق والحياة في مسيرتها منذ ملايين السنين تجسد عظمة القانون الذي يحكمه والقدرة التي تسيطر عليه وتسير إلى غاياته وأهدافه.

« وَخَضَعَ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ وَذَلَّ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ»

إنّ كل شيء ينحني أمام قدرته وسلطانه مستسلماً لارادته إذ لا قدرة إلّا قدرته ولا سلطان إلّا سلطانه سبحانه ان كل الكائنات في عوالم الغيب والشهود، من الذرات الصغيرة إلى المجرّات الكبيرة الكبيرة إنّ كل شيء في هذا الوجود الفسيح اللامتناهي، خاضع لارادته تبارك وتعالى شأنه.

اللهم يا ملاذ اللائذين، ويا معاذ العائذين، ويا منجي الهالكين، ويا عاصم البائسين، ويا راحم المساكين، ويا مجيب المضطرين، ويا كتر المفتقرين، ويا جابر المنكسرين، ويا مأوى المنقطعين، ويا ناصر المستضعفين، ويا حصن اللاجئين.

إن لم أعد بعزّتك فبمن أعود؟ وإن لم ألذ بقدرتك فبمن ألوذ؟ الهي ليس لي وسيلة إليك إلّا عواطف رأفتك، ولا لي ذريعة إليك إلّا عوارف رحمتك، الهي كسري لا يجبره إلّا لطفك وحنانك، وفقري لا يغنيه إلّا عطفك واحسانك، وروعتي لا يُسكنها إلّا أمانك، وذلّتي لا يُعزّها إلّا سلطانك وأمنيتي لا يبلّغنيها إلّا فضلك، وخلّتي لا يسدّها إلّا طولك، وحاجتي لا يقضيها غيرك، وكربي لا يفرجه سوى رحمتك.

يقول الامام زين العابدين في الدعاء الثالث عشر من «*الصحيفة السجادية*»:

«اللهم يا منتهى مطلب الحاجات! ويا من عنده نيل الطلبات! ويا من لا يبيع نعمة

بالاثمان! ويا من لا يكدّر عطاياه الامتنان! ويا من يستغني به ولا يستغنى عنه! يا من يرغب إليه ولا يرغب عنه! ويا من لا تُفني خزائنه المسائل! ويا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين! ويا من لا يعنيه دعاء الداعين! تمدحت بالغنى عن خلقك، وأنت أهل الغنى عنهم. ونسبتهم إلى الفقر وهم أهل الفقر إليك. فمن حاول سدّ خلّته من عندك، ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في مظانّها، وأتى طلبته من وجهها ،ومن توجه إلى أحد من خلقك أو جعله سبب نجحها دونك؛ فقد تعرّض للحرمان، واستحق من عندك الحرمان.

هذه الكائنات. وهذا الوجود لم يكن ذات يوم ثم كان وهذه المخلوقات هي كلمات الله عزوجل جاءت من ديار العدم إلى عالم الوجود. إنّها لا شيء لا قدرة مستقلة لها ولا حياة ذاتية؛ فكل شيء مبدأه من الله الخالق واستمراره في القاء إنما هو بالله تبارك وتعالى. الأرض جميعاً قبضته والسماوات مطويات بيمينه. لا مجال لأي كائن أن يتمرد أو يخرج عن قدرته؛ فكل الكائنات خاضعة في مملكته.

وما على الانسان الذي منحه الله الحرية إلّا أن ينظر ما حوله فيعتبر وإلّا ينفخ في نفسه الغرور فيغترّ.

الانسان قادم من قلب التراب والطين والماء المهين، كائن خرج من الأرض كما النبات وسيعود إليها بعد مّدة من الزمن فيتحلل ويصبح جزء من عناص الأرض كما بدأ أول مرّة.

فأيّة قدرة للانسان وهو محكوم بالميلاد والموت وما حياته في الأرض إلّا امتحان واختبار وتجربة انسانية؛ يتوقف عليها مصيره، إمّا سعادة خالدة أوشقاء أبدي».

«وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتِي غَلَبْتَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ»

وأسألك يا الهي بجبروتك الذي تقهر به الأشياء. جميع الأشياء والكائنات مغلوبة أمامك.

الجبروت صفة مبالغة، وتعني تعويض كل ما ينقص في الوجود في عالم الامكان حيث تتدفق النعم والخيرات وكل ما من شأنه أن يسد النقص الحاصل إلى حدّ الفيض.

لم تكن المخلوقات في بداية خلقها شيئاً يذكر فصوّرها الأولية ذرية أو بذور صغيرة وحبّات أو نطف لا وزن لها.

الله الرحيم يجبر النقص

لو نظرت بامعان إلى ما حولك لرأيت عجباً فهذه الشمس الساطعة التي هي جزء صغير جداً يضيع في عالم الشموس. هذه الشمس التي تبعث لنا النور والدفء من وراء ملايين الأميال. هذه الشمس هي الجحيم المستعر حيث تبلغ درجة الحرارة في سطحها أكثر من ستة آلاف درجة مئوية (٦٠٩٣) أما أعماقها فلا يمكن تصوره.

هذه الشمس تبعثر في كل ثانية أكثر من ١٢،٤٠٠،٠٠٠ طن من الطاقة ولو

أردنا معادلة تلك الطاقة بالفحم الحجري لبلغ هذا الرقم ٦٧٩ مليون مليارد طن!!

ان وزن ما تستهلكه الشمس من الطاقة يبلغ أربعة ملايين طن في الثانية الواحدة حيث يصبح مجموع في السنة ١٢٦،١٤٤،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠.

فلماذا اذن لا تخبو الشمس وتنطفئ ولو كانت مكونة من الفحم الخالص لانتهى أمرها بعد ٦٠ قرناً فقط؟

لا جواب إلّا جبروت الله عزوجل لأن الشمس إنما هي كتلة من الغاز وانها الطاقة المتفجرة فيها وهذه الحرارة والنور إنما يعودان إلى انها أشبه بمفاعل نووي عملاق وان ما يحصل فيها إنما هو سلسلة من الانفجارات النووية الهيدروجينية حيث تجتمع أربعة ذرات هيدروجين لتكوين ذرة هليوم ولكن مع فائض ذري يستحيل إلى طاقة كبرى، فانظر إلى آثار جبروت الله عزوجل وجلاله.

المدّ والجزر

ان سطح بحر من البحار الحرّة هو أدنى في حدود ٢٧/٦ م ثم ينحسر إلى أكثر من ذلك؛ فبحر الخزر لا يرتبط ولا يتصل بالبحار الحرّة ولهذا لا يتبع المد والجزر في المحيطات، ومن هنا فهو لا يتأثر بجاذبية القمر بالشكل الكافي لصغره، ولذا يجب إلّا يكون فيه مدّ وجزر ومن ثم فانه يتعفّن وتموت فيه الكائنات الحيّة من أسماك وغيرها وبالتالي تحوله إلى مستنقع آسن ملوث ويصبح مصدر تهديد يهدد البيئة بخطر التلوث! فلماذا اذن لم يتلوث حتى الآن ولن يتلوّث أبداً؟!

إنّ مصدر الفيض والبركة وخالق الوجود هو الذي خلق هذا البحر وغمره بفيض رحمته وجبروته؛ ولذا ترىٰ مختلف الرياح تعصف عليه، فهناك ثلاث رياح هي: «سرنوك» و«خزري» و«ميانوا» سخرها الله سبحانه لتعصف على ماء

البحر وتضغط بشدة على سطح البحر، إلى الحدّ الذي يرتفع منسوب الماء في الأنهار التي تصب فيه حيث ترتفع وتنخفض في الأنهار.

ومن شدّة ضغط الرياح أن يثور الموج العالي إلى الحدّ الذي تستطيع القوارب المقاومة.

وتقوم الرياح بعمل آخر هو أنها تسوق الغيوم والسحب من الشمال إلى السواحل الجنوبية حيث تهطل هناك في المروج والسهوب فتخضر الأرض وتعشب؛ وهذه الرياح تدفع المياه إلى مستنقع «أنزلي» لاحداث عملية تنظيف.

أما الأنهار في «گيلان» فانها تفيض بسبب غزارة الأمطار فتحمل معها الأوحال المليئة بالجذور وبذور الأشجار في الغابات لتترسب في المستنقع فتنمو وبسبب ذلك يجف المستنقع ويستحيل إلى وحل ولكنه لم يجف أبداً حتى بعد مرور آلاف السنين.

وتسوق الرياح الثلاث القوية مياه البحر المالحة لمواجهة السيول فيتمتزج مع مياه الوحل الملوّثة وتعمل في القضاء على الجذور.

وعندما تهدأ تلك الرياح الثلاث تهب رياح ثلاث أخرى هي «كراموا»، «كناروا» و«آفتاب بوشو» لتدفع مياه الأوحال ويعمل على اخلائها في البحر وتنظيفه.

وتساعدها رياح «گيلوا» و«درشتوا» لتضغط على مياه الوحل من الشرق إلى الغرب وتؤثر على مزج المياه[1].

تعويض النقص في بذور الفاكهة

لا توجد فائدة أبداً من بذور الفاكهة ما لم تزرع في التربة ويفيض عليها

---

١ ـ علامات منه: ١٥١.

مصدر الفيض بالبركة والنمو؛ فتصبح أشجاراً مثمرة حيث الثمار تنطوي على نفس البذور التي تنبت منها هذه الأشجار.

فاكهة التفاح. فهذه الفاكهة اللذيذة كانت ذات يوم جرد بذرة غافية قبل أن تدس في التربة لتنبت وتصبح شجرة تحمل فاكهة التفاح.

فالتربة التي حباها الله تبارك وتعالى بمختلف الأملاح ساعدت البذرة في النمو وتضافرت العوامل الأخرى من نور شمس ساطعة وهواء وماء لتنمو وتكبر وتهب الثمار.

إنّ فاكهة التفاح التي نراها تتألق في لونها ونكهتها والشهية في طعمها والغنية في مادتها الغذائية على المركبات والمواد التالية؟

المركبات الآزوتية: (بروتينات، الحوامض الامينية، ليزين، ارجنين، هيستيدين، تيروزين).

المواد المعدنية: (يود، بوتاسيوم، فسفور، كالسيوم، حديد، نحاس، صوديوم، منغنيز...).

السكريات والنشوية: (دكستروز، سلولوز، نشا).

المواد البكتيثية: (حامض البكتيك، بكتين، حامض البكتينيك، بروتوبكتين).

الدهنيات والحوامض: (حامض الماليك، حامض السيتريك، حامض الاغزاليك، حامض الاسكوربيك، حامض اللاكتييك).

المركبات اللونية: (انتوسيانين، كلروفيل).

الفيتامينات: (A_B_C_G).

الانزيمات: (كاتالاز، اكسيداز).

الماء: ٨٤٪.

فانظر إلى آثار قدرة الله عزوجل وإلى كيفية تعويض النقص في عناصر الطبيعة.

« وَبِعِزَّتِكَ ٱلَّتِي لَايَقُومُ لَهَا شَيْءٌ »

إنها عزّة الله التي لا عزّة غيرها وهي مصدر العزّة المطلق خلق كل شيء بقدرته وغمره برحمته؛ فالأشياء خاضعة في رحابه مستسلمة لارادته، تتلقى الفيض منه وإلّا لانعدم وجودها وزالت آثارها، وإذا كان الأمر كذلك فهل يقوم شيء أمام عزته أو يقف في قبال جبروته؟

وما الأشياء إلّا ظلّه وليست إلّا انعكاساً لجلاله وفيضاً من وجوده المطلق.

فكيف يمكن الوقوف أمام عزته الممتدة من الأزل إلى الأبد؟!

العزّة هي القدرة، وما القوى التي نشاهدها في كائنات الطبيعة إلّا بصيص من قدرته المطلقة؛ فكيف لشعاع شمعة أن يقارن بنور السموات والأرض؟ الله أكبر.

﴿ فَلِلَّهِ ٱلعِزَّةُ جَمِيعاً ﴾[1].

أجل إنّ آيات القرآن الكريم تهتف أنّ لله العزة جميعاً فهو مصدر العزّة والقوّة والمقدرة، يمنح سبحانه العزّة لمن يشاء وكيف يشاء إن العزة منه سبحانه وله ولا يوجد عزيز في هذا الوجود إلّا به تبارك شأنه فهو قوي متعال، غالب غير مغلوب.

---

١ ـ فاطر: ١٠.

«وَبِعَظَمَتِكَ ٱلَّتِي مَلَأَتْ كُلَّ شَيْءٍ»

وأسألك يا الله بعظمتك التي تغمر الوجود وما الوجـود بـجلاله إلّا تـجسيد لعظمتك. أنت الله ملأت الأشياء بجلالك.

الفعل يدل على الفاعل

إنّ عظمة الفاعل إنما تدرك من فعله ان مهندس ناطحات السحاب تكشف عن عبقرية ذلك المهندس وخبرته وعلمه.

ومؤلف مثل صدر المتألهين الذي ألف «*الأسفار الأربعة*» و «*العرشية*» و «*الحكمة المتعالية*» و «*أسرار الآيات*» تكشف عن عظمة هذا الفكر الثاقب والعقل الكبير.

وذلك العالم الذي اكتشف الطاقة الكهربائية وأضاء ليل الأرض بـالمصابيح الكشافة تدل على عبقرية وذهن متوقد.

عظمة الله عزوجل هي العظمة الحقيقية؛ عظمة لا تضاهيها عظمة بل لا توجد عظمة حقيقية غيرها عظمة طرفاها الأزل والأبد، وهل يستطيع الانسان أن يتصور الأزل والأبد واللانهائي والمطلق؟!

فما السبيل اذن لادراك عظمة الله غير التأمل في أفعاله ومخلوقاته إن عظمة الله تتجلّى من خلال عظمة خلقه وابداعه.

عوالم عديدة

في كتابه الفريد «*الاسلام والهيئة*» يروي العالم المصلح السيد هبة الدين الشهرستاني عن كتاب «*الخصال*» للصدوق و«*بحار الأنوار*» للمجلسي و«*الأنوار النعمانية*» و«*شرح الصحيفة*» و«*تفسير نور الثقلين*» باسناد قوي عن الامام الصادق عليه السلام قال:

إنَّ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ إثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ عَالَمٍ كُل عَالَمٍ مِنْهُم أكبَرُ مِنْ سَبعِ سَماواتٍ وَسَبعِ أَرَضِينَ مَا يُرىٰ عَالَمٌ مِنْهُمْ أَنَّ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَالَماً غَيْرَهُم[١].

يقول علماء الفلك اليوم إنّ عالم الوجود يتألف من آلاف العوالم ولكل عالم سماؤه وكواكبه التي تفوق سماءنا وكواكبنا.

ان استخدام العدد في القرآن الكريم ليس لبيان حسابي وإنما لبيان الوفرة والكثرة، ولذا ينبغي إلّا نتصور أن عدد العوالم يبلغ اثني عشر ألف عالم. ان عدد العوالم هو أكثر ممّا نتصوره.

القناديل المعلّقة

جاء في «*شرح الصحيفة السجادية*» للسيد نعمة الله الجزائري عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرين من أهل بيته عليهم السلام أن الله عزوجل خلق مئة ألف قنديل كلّها معلقة بالعرش وان السماوات والأرض في قنديل واحد منها وحتى الجنة والجحيم؛ ولا يعلم إلّا الله ما في سائر القناديل الأخرى!!

ويورد العلامة الشهرستاني في شرحه بعض أوجه الشبه بين هذه الرواية

---

١ ـ الخصال: ٦٣٩/٢، من روى أن لله عز وجل...، حديث ١٤؛ بحار الأنوار: ٣٢٠/٥٤، باب ٢، حديث ٢.

وحقائق المنظومة الشمسية :

الوجه الأول: ان القنديل يشتمل على جسم لطيف ينبعث من قلبه وأطرافه نور ونار وما الشمس إلاّ كرة من الغاز الملتهب تنبعث منها الأنوار وألسنة النار وتسطع بالضوء على سائر الكواكب التي تدور حولها في مسارات ومدارات بيضوية.

الوجه الثاني: ان شكل القنديل بيضوي وكذا شكل المنظومة الشمسية.

الوجه الثالث: ان القنديل معلق في الفضاء فلا يوضع على رف أو جدار وكذا المنظومة الشمسية في قلب الفضاء معلقة هي الاخرى.

الوجه الرابع: ان الجزء الذي يسطع في القنديل لا يوجد في المركز تماماً فهو أقرب إلى جانب من الزجاجة التي تحيط به! وكذا المنظومة الشمسية؛ حيث الشمس لا توجد في المركز وأنها أقرب إلى جانب من المدارات التي حولها.

وهكذا نرى مدى النسبة بين هذه الرواية ومعطيات العلم الحديث وتضادها مع الفلسفة القديمة؛ فهي تصرح بوجود آلاف المنظومات الشمسية الأخرى التي تزخر بالشموس والكواكب السيارة والأقمار ولا يعلم إلاّ الله ما في تلك الكواكب من ديار وعوالم[1].

الشموس لا يمكن احصاؤها

مع بدء القرن العشرين وبدء الكشوفات الفلكية أصيب العالم بالذهول بعد أن أعلن علماء الفلك أن مجرّتنا تشتمل على ثلاثين مليون شمس ولكن الحقيقة كانت أكبر من ذلك بكثير؛ فمع تقدم المراصد أعلن عن رقم كبير وهو عشرة آلاف

١ ـ المصدر السابق: ٤٦٠.

ملايين شمس أو نجم اننا نرى المجرّة صغيرة بالعين المجرّدة بل ان سحب الشتاء وغيوم الربيع تحجبها عن أبصارنا ونواظرنا، ولكن المشهد السماوي يصيب الانسان بالذهول التام إذا ما أطل عليه من خلال مرصد فلكي كالذي يوجد على جبل «ولسون» أو على جبل «باليمار» حيث يبلغ قطر المرآة فيهما خمسة أمتار.

ان الشموس المتناثرة في مجرّتنا لا يمكن احصاؤها بشكل دقيق ولم يستطع عالم فلكي أن يقدم احصاء دقيقاً بعددها وما يقوله علماء الفلك مجرّد تخمينات فقط.

ان منهج العلماء في ذلك هو انتخاب مساحة محدودة واحصاء النجوم فيها ثم تخمين العدد الكلي الذي تشتمل عليه المجرّة.

وربما يجتاز الرقم الحقيقي الرقم التخميني الكثير، لأن التركم النجمي من الكثافة بحيث تحجب النجوم ما وراءها تماماً؛ يكفي ان نتصور وجود شموس تفوق في حجمها شمسنا عشرة ملايين مرّة!!

وقد ذكرنا فيما مضى كيف ان المسافة التي تفصل بين مجرّة وأخرى تبلغ مليوني سنة ضوئية (النسبة الضوئية هي مقدار المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة الهائلة، ٣٠٠،٠٠٠كم في الثانية في سنة كاملة!!).

ان أقوى المراصد في الوقت الحاضر هو مرصد «باليمار» في امريكا حيث بامكانه رصد طيف المجرّات الواقعة على بعد ألف سنة ضوئية ومع ذلك فالعلماء يلمحون بصيص أضواء قادمة أبعد من تلك المسافات المذهلة!!

ان وزن شمسنا يبلغ بليون طن ومجرتنا التي تعدّ مجرّة صغيرة بالمقارنة مع المجرّات الاخرى يبلغ وزنها حدود ١٦٥،٠٠٠ مليون مرّة وزن الشمس!!!

ومع هذا فان الفضاء الخارجي يعدّ خالياً تقريباً. ان أقرب نجم إلى الأرض

يبعد عنا بسمافة أربعين مليون مليون كيلومتر[١].

ان هذه الزاوية من العالم المترامي هي ما استطاعت المراصد الفلكية المحدودة بامكاناتها وقدراتها ان ترصدها لنا.

ان عظمة الوجود لا يمكن تصورها ولهذا لا يمكن أن نتصور أبداً عظمة الخالق العظيم.

ان هذا الكون الفسيح هو كتاب الله العظيم الذي ينبغي أن نقرأ فيه الآيات العظيمة لكي تنطلق من أعماقنا هذه الصرخة المدوية: «الله أكبر من أن يوصف»[٢].

إنّ أقوى الواصفين هم عاجزون وأبلغ اللغات خرساء وان الفكر الحادّ والخيالي الوثاب والأوهام المحلّقة الطائرة تتهافت أمام تصوير عظمة الله عزوجل.

أجل يجب علينا أن نردد وراء سيدنا محمّد ﷺ سيد الكائنات وهو يقول:

«ما عرفناك حق معرفتك»[٣].

---

١ ـ المصدر نفسه: ٤٤٩.
٢ ـ الكافي: ١/١١٨، باب معاني الأسماء حديث ٩.
٣ ـ عوالي اللآلي: ٤/١٣٢، حديث ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ٦٨/٢٣، باب ٦١، حديث ١.

« وَبِسُلْطَانِكَ ٱلَّذِى عَلَا كُلَّ شَىْءٍ »

هذه المملكة الواسعة وهذا السلطان العريض، الذي يطال كل جزء من هذه المملكة اللهم إني أسألك به.

تلك هي مملكة الوجود الفسيح التي لا نعرف عنها إلّا قليلاً ولكنّا ندرك مدى عظمتها واتساعها المذهل، وندرك سلطان الله القاهر حيث كل الأشياء منقادة إليه سبحانه.

وفي هذه المملكة الواسعة نرى قوى الطبيعة هنا وهناك؛ انها فيض من القدرة المطلقة منحها سبحانه وهو قادر على سلبها متى يشاء.

وعلى الحاكمين أن يدركوا ان سلطانهم شعاع من سلطانه وحكومتهم جزء من حاكميته وممالكهم من مملكته وانهم مأمورون بالعدل والاحسان ومن لم يفعل ذلك فاولئك من الظالمين وان ربّك للظالمين لبالمرصاد.

وتلك آيات القرآن تنبؤنا بمصير الطغاة وهذه تجارب التاريخ تشرح لنا المصير الذي لقوه وكيف انتقم الله عزوجل منهم فأصبحوا عبرة لمن يعتبر.

فكم من طاغية جبار اذاق شعبه سوء الهوان حتى إذا أمعن في طغيانه أخذه الله أخذ عزيز مقتدر فما هي إلّا سويعات وإذا بهذا الطاغية يمرغ وجهه في وحل

الذلّة والهوان تطارده إلى الأبد لعنات اللاعنين[١].

وهكذا أخذ الله سبحانه للظالم؛ يمهله ولا يهمله؛ فاذا حان حينه أخذه عزوجل وقذفه في نار جهنم وبئس المصير.

وفي مطلع تاريخ البشرية ماذا فعل الله بالجبابرة الطغاة الذين أعرضوا عن دعوة سيدنا نوح عليه السلام وسخروا منه وقد ظل يدعوهم عدّة قرون حتى إذا أراد الله أن ينتقم منهم تفجرت الأرض مياه غاضبة وانهمرت السماء أمطاراً عاصفة فالتقت المياه على أمر قد قدر.

وألم تر كيف فعل ربّك بجيش ابرهة وفيله وقد جاء لتدمير بيت الله الحرام فدمّرهم وأصبحوا كالعصف المأكول؛ وما فعل ربك بقوم عاد إذ عصفت بهم الرياح القارسة لتحيلهم إلى اعجاز نخل خاوية.

وألم تر كيف فعل ربك بفرعون وقد طغا وتجبر؛ حتى قال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله وقذفه في البحر الأحمر وأصبح عبرة للأجيال وها هي جثته اليوم ومومياؤه في أحد المتاحف في مصر هامدة بعد حراك وساكنة بعد تجبر وتكبر وطغيان.

---

١ ـ وأنا أسجّل هذه السطور شهد العالم بأسره وعبر الوسائل المرئية سقوط أكبر طاغية في العالم سام شعبه سوء العذاب في الربع الأخير من القرن العشرين، وصادف يوم سقوطه ذكرى استشهاد المفكر السيد محمّد باقر الصدر الذي قتله الطاغية صدام بنفسه في ٩ ابريل ١٩٨٠ وكان سقوط الطاغية في يوم ٩ ابريل ٢٠٠٣ وصدق الله وعده! إنّا من المجرمين منتقمون (المترجم).

« وَبِوَجْهِكَ ٱلْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ »

أجل لا شيء يبقى الكل إلى زوال ويبقى وجه ربك ذو الجلال؛ إنّ ذاته هي عين الوجود، ووجوده أزلي سرمدي؛ فهو الدائم الباقي ولا شيء معه، وهو الذي خلق الأشياء بارادته خلقها وهو غني عنها، ثم ستزول الأشياء وتفنى ويبقى هو عزوجل.

لا شيء في الوجود يملك استقلالاً ذاتياً ان حياة كل شيء رشحة من الحياة المطلقة ونفخة الله عزوجل.

واذن فكل الأشياء تنطوي على القابلية للفناء، والفناء من صفات النقص، والبقاء من صفات الكمال.

والكمال المطلق له البقاء المطلق، أما الفناء فمكتوب على جبين الكائنات يوم خلق السماوات والأرض.

«وَبِأَسْمَائِكَ الَّتِي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلِّ شَيْءٍ»

تباركت أسماؤك يا رب؛ انها تملأ أركان الوجود.

الأسماء في هذا الكلام الملكوتي والأفق العرشي ليست أسماء لفظية تتألف من الحروف، بل ان المراد منها الحقائق والمصاديق التي تدلّ عليها الأسماء.

الرحمة الحقيقية، اللطف الحقيقي، العلم الذاتي، العدل العيني، القدرة الفعلية انها تملأ كل شيء بعبارة أخرى، إنّ كلّ شيء هو تجلّ للخالقية والبارئية والمصوّرية والعلم والعدل والحكمة والرحمة والرأفة الحقيقية للحق تبارك وتعالى.

يقول الامام المعصوم في دعاء يعرف بالسمات:

«اللّهُمَّ إنّي أسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الأعْظَمِ الأعَزِّ الأجَلِّ الأكْرَمِ، الّذي إذا دُعِيتَ بِهِ عَلىٰ مَغالِقِ أبْوابِ السَّماءِ لِلْفَتْحِ بِالرَّحْمَةِ انْفَتَحَتْ، وَ إذا دُعِيتَ بِهِ عَلىٰ مَضائِقِ أبْوابِ الأرْضِ لِلْفَرَجِ انْفَرَجَتْ، وَ إذا دُعِيتَ بِهِ عَلَىٰ الْعُسْرِ لِلْيُسْرِ تَيَسَّرَتْ، وَ إذا دُعِيتَ بِهِ عَلَىٰ الأمْواتِ لِلنُّشُورِ انْتَشَرَتْ، وَ إذا دُعِيتَ بِهِ عَلىٰ كَشْفِ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ انْكَشَفَتْ»[1].

علينا أن ندرك من خلال هذا الدعاء ان مفردة القدرة التي تتألف من:

---

١ ـ مفاتيح الجنان، دعاء السمات، وهو دعاء يروي عن الامام الباقر والامام الصادق عليهما السلام.

«القاف»، «الدال»، «الراء»، و«التاء» هي حقيقة القدرة وعينها.

ان الأسماء التي ملأت أركان كل شيء إنما هي الحقائق الموجودة التي عبّر عنها القرآن الكريم بالأسماء.

ومن مظاهر حقائق الأسماء هي الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام لما اتصفوا به من الصفات الكريمة واختصّوا به من الخصائص النبيلة فأضحوا بذلك انعكاساً للفيض الالهي الذي يغمر البشرية؛ فهم رموز الرحمة والهداية واللطف والرأفة والكرم والغفران؛ ومن هنا وجب على المؤمنين موالاتهم.

يروي الحكيم الكبير الفيض الكاشاني في تفسيره القيم «*الصافي*» عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

نَحْنُ وَاللّهِ ٱلأَسْماءُ ٱلحُسْنَى ٱلَّذِى لا يَقبَلُ ٱللّهُ مِنَ ٱلعِبادِ عَمَلاً إلّا بِمَعْرِفَتِنَا.

واذن فان الالتفات إلى اللفظ فقط لا يوصل الانسان إلى شيء ولا تتجلّى له الحقيقة فيه.

يجب مغادرة دنيا الألفاظ والولوج إلى عالم الحقيقة حيث تتألق على صفحة الوجود الأسماء في حقيقتها وعينها:

وَبِاسْمِ ٱلَّذِى خَلَقْتَ بِهِ ٱلْعَرشَ، وبِاسمِ ٱلَّذِى خَلَقْتَ بِهِ ٱلْكُرْسِيَّ، وَبِاسمِ ٱلَّذِى خَلَقْتَ بِهِ ٱلْرُوحَ.

«وَبِعِلْمِكَ الَّذِى أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ»

علمك يا الهي ينفذ في كل شيء ويحيط بجميع الأشياء. الله عزوجل هو خالق كل شيء وفاطر جميع الأشياء نفذ علمه إلى مكنونها وأحاط بأسرارها والغازها فهو يعلم عدد الذرات وجميع الكائنات ويعلم مستقر ملايين ملايين البذور ويعلم عدد قطرات المطر وأوراق الشجر ونجوم السموات ويعلم ذرّات الرمال ويعلم عدد انفاس الخلائق، لا يغيب عنه شيء حتى من الأسرار التي في الصدور ويعلم ماضي وحاضر ومستقبل الوجود بأسره.

﴿وَيَعْلَمُ ما فِي ٱلسَّماواتِ وَما فِي ٱلأَرْضِ...﴾[1].

﴿وَيَعْلَمُ ما فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَما تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾[2].

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ما تُسِرُّونَ وَما تُعْلِنونَ﴾[3].

﴿يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي ٱلأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيها وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفورُ﴾[4].

---

١ ـ سورة آل عمران: ٢٩.

٢ ـ سورة الانعام: ٥٩.

٣ ـ سورة النحل: ١٩.

٤ ـ سورة سبأ: ٢.

هذا الوجود الذي يزخر بتفاصيل الأشياء وأسرار الكائنات انظر في ليلة صيف سماؤها صافية. انظر إلى السماء المرصعة بملايين النجوم واصغ إلى أصوات آلاف الحشرات والهوام واستنشق نسائم الهواء لتدرك عظمة هذا الوجود الزاخر بالاسرار. أسرار وأسرار لا يحيط بها علماً إلّا الواحد القهار[1].

١ ـ سبحانك اللهم وحنانيك.
سبحانك اللهم وتعاليت.
سبحانك من عظيم ما أعظمك.
سبحانك سبحت في الأعلى وتسمع وترى ما تحت الثرى.
سبحانك ترىٰ ما في قعر الماء.
سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار.
سبحانك تعلم وزن السماوات.
سبحانك تعلم وزن الأرضين.
سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر.
سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور.
سبحانك تعلم وزن الفي والهواء.
سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرّة. «الصحيفة السجادية».

«وَبِنُورِ وَجْهِكَ ٱلَّذِى أَضَاءَ لَهُ كُلُّ شَىْءٍ»

اللهم وأسألك بنور ذاتك الذي أشرقت له الأشياء. كل الأشياء.

معنى النور

لقد عبر القرآن عن الكمال والقيم الرفيعة بالنور، والمراد من النور الهداية[1].

والنور هو التوفيق الذي يتلقاه الانسان في المسير نحو الايمان[2].

وهو الاسلام حيث الاسلام معرفة النور، والنور هو العلم حيث يعني استضاءة القلب، والقرآن نور:

﴿قَدْ جَآءَكُم مِنَ ٱللَّهِ نورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ﴾[3].

والنور هي الأحكام الالهية والقيم الاخلاقية والحقائق الاعتقادية التي تضيء للانسان طريقه إلى الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْراةَ فِيها هُدًى وَنُورٌ﴾[4].

---

١ ـ الميزان: ٤٨٧/١.

٢ ـ تفسير أبي الفتوح: ٣٣١/١.

٣ ـ سورة المائدة: ١٥. كشف الأسرار: ٧٠٣/١.

٤ ـ سورة المائدة: ٤٤.

ومن هنا يمكن أن ندرك ان المراد من النور هو ذات الكمال والصفات والأسماء الحسنى للحق تعالى شأنه، التي فاضت على تفاصيل هذا الوجود كل حسب طاقته وقابليته وسعته وهذا ما يؤهله إلى الحياة في نور الوجود بعيداً عن الظلمات.

فالانسان المؤهل هو من ينتقل من ظلمات العدم إلى نور الوجود، ومن ظلمات النقص إلى نور الكمال، ومن ظلمات الجهل إلى نور المعرفة، ومن ظلمات الظلم إلى نور العدالة ومن ظلمات الكفر إلى نور الايمان ومن ظلمات الضلال إلى نور الهداية ومن ظلمات المادة الكثيفة إلى شفافية النور؛ وحينئذ يسطع فجر الاسماء وتشرق صفات الحق، التي هي النور المحض والسطوع النقي الشفاف.

ومن خلال ما ورد في الآيات الكريمة ومعارف أهل البيت عليهم السلام يمكن القول ان نور وجه الله عزوجل هي الحقائق الالهية والكمال وهذا ما نجده في دعاء الجوشن الكبير.

وأما مفردة النور فلأنها تشتمل على جميع الصفات العليا والأسماء الحسنى وهي عين ذاته تبارك وتعالى وصفاته عزوجل هي عين ذاته.

ولعل استخدام مفردة النور للهداية في المعارف الالهية وفي الأدعية الكريمة، فلعلها تعني:

يا الهي أسألك بهداك يا دليل الكائنات.

وعلى كل حال ان كلمة «نور» تحمل جميع المعاني السماوية والمفاهيم الملكوتية التي تشرق على القلب فتضيء دنياه وينكشف له الطريق.

«يَا نُورُ يَا قُدُّوسُ يَا أَوَّلَ ٱلْأَوَّلِينَ وَيَا آخِرَ ٱلْآخِرِينَ»

يا الله يا أيها النور الذي يملأ انحاء الوجود أنت الاول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

ويا مصدر الكمال يا من لا يحتاج إلى دليل يدلّ عليه.

أيها الظهور المحض، أيها النور الذي يغمر عرفات.

الهي هامت بحبك القلوب العاشقة وطافت بنورك الأرواح المتيمة.

اصغ إلى كلمات سيدنا الحسين على جبل الرحمة في عرفات:

أَيَكُونُ لِغَيرِكَ مِنَ ٱلظُّهورِ مالَيسَ لَكَ حَتَّى يَكونَ هُوَ ٱلمُظهِرَ لَكَ؟ مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتاجَ إِلَى دَليلٍ يَدُلُّ عَلَيكَ، وَمَتى بَعُدْتَ حَتَّى تَكونَ ٱلآثارُ هِيَ ٱلَّتِي تُوصِلُ إِلَيكَ؟[1]

يا الهي وخالقي! ان قلبي يتفتح للتلقي النور الذي يغمر القلوب بالهداية والرحمة.

ها أنا قادم إليك. ها أنا أرى تألق جمالك وبهاء جلالك والأنوار التي ملأت بها خلقك.

اللهم خذ بيدي ولا تكلني إلى نفسي. أنت دليلي والسراج الذي يضيء

---

١ ـ الاقبال: ٣٤٩؛ بحار الأنوار: ٢٢٦/٩٥، باب ٢، أعمال يوم عرفة.

طريقي.

أيها المنزّه من كل عيب والعالم بكل غيب.

أيها الكمال الذي تجلّى والنور يملأ أركان الوجود يا نور يا قدوس يا أول الأولين ويا آخر الآخرين.

أيها الموجود منذ الأزل والموجود إلى الأبد. أنت الأزلي السرمدي والباقي بعد فناء كل حيّ.

أنت الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتها. يا رب!

«ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تَهْتِكُ الْعِصَمَ»

الذنوب لعنات تطارد الانسان وتعذبه. يا الهي اغفرها لي وخلصني من لعناتها.

الذنوب

ان مسير الانسان مجموعة تجاربه وأفعاله وأعمال هو أقواله ومواقفه وأخلاقه.

وكل ما يعد انتهاكا للشرائع الالهية والفطرة الانسانية هو اثم وعصيان وتمرّد على ناموس السماء.

ان بعض المعاصي والذنوب ما يعد ارتكابها انتهاكاً خطيراً يؤذن بحرب من الله عزوجل: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ ٱللَّهِ﴾[1].

وهناك من الذنوب ما يستحيل إلى نار مستعمرة تحرق الانسان وتحيل مصيره إلى شقاء دائم لا يزول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ ٱليَتامَى ظُلماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطونِهِم

---

١ ـ سورة البقرة: ٢٧٩.

نَاراً﴾(١).

وما أعجب بعضهم يأكل في مائدة الوجود ويتلذذ بألوانها وأشكالها ثم يعبث في الأرض ناشراً فيها الخراب والدماء أليس هذا عدواناً على ناموس العدل والانصاف ؟!

حكاية من التاريخ

الذين قرأوا تاريخ العباسيين لابد وأن يعرفوا يعقوب بن الليث بن الصفار الذي كان يحكم أجزاء واسعة من أقاليم ايران يومئذ. والذين قرأوا تاريخ الثورات في تلك الفترة سمعوا بثورة الصفاريين.

وكان يعقوب أحد اولئك الذين تألق اسمهم في الثورة على الظلم الذي نشره العباسيون في ربوع البلاد الاسلامية.

كان في بداية شبابه صفاراً التف حوله شباب في مثل سنّه لشهامته وسخائه، ولأسباب ترك عمله واندفع في دروب الثورة، فكان أول عمل قام به هو التفكير في الاستيلاء على خزانة حاكم اقليم سيستان.

ونظراً للحراسة المشدّدة والأبواب المنيعة فقد قاده التفكير في النهاية إلى حفر نفق تحت الأرض من مكان مناسب والوصول إلى مكان الخزانة.

واستمر العمل في حفر النفق مدة ستة شهور وفي منتصف ذات ليلة نقب المكان ووصل يعقوب مع رجاله إلى الخزانة وكانت عبارة عن غرفة كبيرة مليئة بالذهب والفضة والمجوهرات الثمينة، اضافة إلى آلاف الدنانير والدراهم وتم جمع الأموال في أكياس لنقلها عبر النفق إلى خارج المدينة.

---

١ ـ سورة النساء: ١٠.

وفي غمرة الظلام وقعت عينا يعقوب على شيء يتألق في احدى الزوايا، فأخذه وأراد أن يعرف طبيعته فجسّه بلسانه وفمه فاذا هو فص ملح وهي عادة ما يعثر عليها في الممالح وهو فص شفاف جداً كالبلور، واسقط في يده لقد ذاق ملح الأمير.

وهنا أمر انصاره بترك الأموال ومغادرة الخزانة فوراً.

وكان رجاله يطيعونه طاعة مطلقة لكنهم سألوا عندما خرجوا من النفق عن سرّ ذلك، سيما وانهم استغرقوا في عمل مضني مدة شهور طويلة!!

وفي اليوم التالي فوجئ الحرس بالنفق وسلامة الأموال وكلّها ووصل خبر الحادثة العجيبة إلى الأمير الذي أمر باذاعة اعلان مفاده أن يعرّف الفاعل نفسه لدى الأمير لمكافأته على شهامته ورجولته وانصافه.

وقد سرّ أمير سيستان بوجود هذا الشاب الشجاع ونصبه قائداً لجيشه ومنذ ذلك الوقت تألق نجمه في سماء التاريخ بعد أن ثار على الحكم العباسي الغاشم.

ان الذنب قذارة معنوية تلوث الروح وتملأ صدر الانسان قيحاً وتستحيل الذنوب إلى ادران تحجب القلب عن تلقي النور. النور القادم من الله عزوجل مصدر النور.

الذنوب تمزق الاستار التي تحفظ الانسان من السقوط في هاوية الجحيم.

الذنوب هي التي تمزق الستر الذي يستر الانسان من الفضائح يوم تنكشف الأسرار والآثام هي التي تحرم الانسان من لذائذ العبودية لله عزوجل حيث تكمن فيها الحرية الحقيقية.

وهي التي تبعد الانسان عن فيوض الرحمة والمغفرة.

والذنوب قسمان كما نفهم ذلك من مفاد الآيات الكريمة وما ورد في الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

فهناك صغائر وكبائر[١].

وعلى الانسان أن يجتنب الكبائر من الذنوب لأنها ذنوب غاية في الخطورة وتهدد حياة الانسان ومصيره، لأنها ذنوب لا تشملها المغفرة الالهية:

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾[٢].

وفي الكتاب القيم «*عيون أخبار الرضا*» ان الكبائر كما يلي:

١ ـ قتل النفس التي حرّم الله. ٢ ـ الزنا. ٣ ـ السرقة. ٤ ـ شرب المسكرات. ٥ ـ عقوق الوالدين. ٦ ـ الفرار من الزحف. ٧ ـ أكل أموال اليتامى. ٨ ـ أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أحل لغير الله به. ٩ ـ الربا. ١٠ ـ أكل المال الحرام. ١١ ـ المقامرة. ١٢ ـ التطفيف في الكيل والميزان. ١٣ ـ البهتان. ١٤ ـ اللواط. ١٥ ـ اليأس من رحمة الله. ١٦ ـ عدم الخشية من عذاب الله. ١٧ ـ معاونة الظالمين. ١٨ ـ الرضا بعمل الظالمين. ١٩ ـ القسم زوراً وكذباً. ٢٠ ـ احتباس حقوق الناس دون عذر وهو ضيق ذات اليد. ٢١ ـ الكذب. ٢٢ ـ الكبر. ٢٣ ـ الاسراف. ٢٤ ـ التبذير. ٢٥ ـ الخيانة. ٢٦ ـ الاستخفاف بالحج. ٢٧ ـ الحرب على أولياء الله. ٢٨ ـ الاستغراق في الملاهي. ٢٩ ـ الاصرار على المعاصي[٣].

آثار الذنوب

ارتكاب الذنوب له من النتائج والآثار الخطيرة ما يهدد مستقبل الانسان

---

١ ـ الكافي: ٢/٢٧٦، باب الكبائر، حديث ١.

٢ ـ سورة النساء: ٣١.

٣ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/١٢٥، باب ٣٥ (ما كتبه الرضا للمأمون...)، حديث ١.

وحياته في الدنيا والآخرة. فالذنوب تمحق الأعمال الصالحة.

والذنوب نار مجنونة تحرق الأعمال الخضراء الصالحة وتحيلها إلى رماد تذروه الرياح.

الذنوب تحجب استجابة الدعاء، وتحرم المرء من شفاعة الشافعين يوم القيامة.

الذنوب تجعل من القلب قاسياً كالحجارة أو أشدّ قسوة.

وهي تحجب القلب عن تلقي النور فيغرق في ظلمات بعضها فوق بعض.

انها تدمّر الايمان، الذي هو شعلة متوقدة تضيء للانسان حياته وطريقه.

انها تجعله ضعيفاً خائراً وعبداً ذليلاً للشيطان.

ارتكاب الذنوب يحرم الانسان الرزق الحلال الزاخر بالبركة، الذنوب والاستغراق في ارتكابها يخرج الانسان من عبودية الله ليصبح عاصياً وهذا ما يجعله منقاداً للشيطان فيقوده إلى هاوية الجحيم.

الذنوب تدمّر المجتمع؛ فهي تفتك بالأسرة وتجعل من الدفء العائلي صقيعاً وزمهريراً يهددها بالموت.

ان ارتكاب الذنوب يدمّر الثقة المتبادة بين أفراد المجتمع وهذا ما يجعل من الحياة الاجتماعية جحيماً لا يطاق.

انها تميت قلب الانسان وتصعب عملية انتقال الانسان إلى العالم الآخر وتجعل من سكرات الموت عذاباً وألماً ورهيباً وتكون رحلته في البرزخ كابوساً مخيفاً[1].

عن الامام الصادق عليه السلام:

---

١ ـ كافي: ٢، باب الذنوب؛ بحار الأنوار: ٧٣، باب ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢ وج ٧٩ أبواب المعاصي والكبائر؛ ميزان الحكمة: ١٨٧٩/٤، الذنب.

«أَمَا إِنَّهُ لَيسَ مِن عِرقٍ يَضْرِبُ وَلا نَكْبَةٍ وَلا صُداعٍ وَلا مَرَضٍ إلّا بِذَنبٍ وَذَلِكَ قَولُ اَللّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتابِهِ: ﴿ وَما أَصابَكُم مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُم وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ [1] ﴾» [2].

وعنه عليه السلام أيضاً:

«إِنّ اَلرَّجُلَ يُذنِبُ اَلذَّنبَ فَيُحْرَمُ صَلاةَ اَللَّيلِ وَإِنَّ اَلعَمَلَ اَلسَّيِّئَ أَسرَعُ فِي صاحِبِهِ مِن اَلسِّكِّينِ فِي اَللَّحْمِ» [3].

وعن الامام الرضا عليه السلام قال:

«أَوحَى اَللّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى نَبِيٍّ مِنَ اَلاَنبِياءِ: إِذا أُطِعْتُ رَضِيتُ، وَإِذا رَضِيتُ بارَكْتُ، وَلَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهايَةٌ، وَإِذا عُصِيتُ غَضِبْتُ، وَإِذا غَضِبتُ لَعَنتُ، وَلَعْنَتِي تَبْلُغُ اَلسَّابِعَ مِن اَلوَرَى» [4].

وقد أثبتت التجارب ذلك فقد يتعرض الأبناء والأحفاد للبلاد من مرض وعجز وضيق في الرزق، بسبب ما ارتكبه الآباء والأجداد وتلك حكمة الله ورحمته حتى ينتبهوا إلى أنفسهم فلا يطغوا.

وحول الاصرار على الذنب والاستغراق في المعاصي روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

«ما من عبد إلّا وعليه جنّة حتى يعمل أربعين كبيرة، فاذا عمل أربعين كبيرة

---

١ ـ سورة الشورى: ٣٠.
٢ ـ الكافي: ٢/٢٦٩، باب الذنوب، حديث ٣.
٣ ـ الكافي: ٢/٢٧٢، باب الذنوب، حديث ١٦.
٤ ـ الكافي: ٢/٢٧٥، باب الذنوب، حديث ٢٦.

انكشفت عن الجنة فيوحي الله إليهم أن استروا عبدي بأجنحتكم، فتستره الملائكة بأجنحتها، قال فما يدع شيئاً من القبيح إلّا قارفه حتى يمتدح إلى الناس بفعله لقبيح، فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك ما يدع شيئاً إلّا ركبه وإنّا لنستحي ممّا يصنع، فيوحي الله عزوجل إليهم أن ارفعوا أجنحتكم عنه فاذا فعل ذلك أخذ في بغضنا أهل البيت فعند ذلك ينهتك ستره في السماء وستره في الأرض، فيقول الملائكة: يا رب هذا عبدك قد بقي مهتوك الستر فيوحي الله عزوجل إليهم لو كانت لله فيه حاجة ما أمركم أن ترفعوا أجنحتكم عنه»[1].

ان الانسان الصالح التقي الذي يذكر الله ويخشى الحساب يوم المعاد وينفر من المعاصي في السرّ والعلن هو الانسان الحيّ والانسان العاصي المستغرق في المعاصي، لأنه غافل عن يوم القيامة ومن عواقب ذنوبه يوم الحساب وهذا ما صرحت به الروايات الواردة عن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام.

الحجاب

المحدث الكبير الشيخ الصدوق في كتابه «*معاني الأخبار*»[2] يروي أحاديث كثيرة حول الذنوب وأثرها في تكوين الحجب ومن الذنوب التي تصنع الحجب هي: ١ ـ شرب الخمر. ٢ ـ لعب القمار. ٣ ـ اللهو والتهريج. ٤ ـ تسقّط عيوب الناس وفضحها. ٥ ـ مجالسة أهل المعاصي.

شرب الخمر

يعتبر الامام موسى بن جعفر ونجله وحفيده عليهم السلام شرب الخمر من الكبائر.

---

١ ـ الكافي: ٢/٢٧٩، باب الكبائر، حديث ٩.

٢ ـ معاني الأخبار: ٢٦٩.

وقد أثبت العلم الحديث الآثار الضارة المدمّرة من جرّاء شرب الخمر والمسكرات حيث يصاب المخ باضرار فادحة والمعدة والكبد والقلب والكلية والجهاز التنفسي والدورة الدموية وقد يصبح علاج بعضها في غاية الصعوبة.

ان شيطان هذه القناني شيطان خطير وعدو ضار وكائن قذر ونجس.

وقد عدّه القرآن الكريم من عمل الشيطان وان ضرّه لأكثر من نفعه ومن أجل هذا حرّم القرآن الكريم وحذّر من شرب الخمر وان شارب الخمر سيطاله العذاب الشديد يوم القيامة إذا لم يتدارك ذلك بالتوبة.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«يأتي شارب الخمر يوم القيامة مسوداً وجهه مدلعاً لسانه، يسيل لعابه على صدره؛ وحق على الله أن يسقيه من بئر خبال، قيل وما بئر خبال؟ قال: بئر يسيل فيها صديد الزناة»[١].

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«شارب الخمر كعابد الوثن»[٢].

وجاء عن الامام الباقر عليه السلام:

«ان شارب الخمر يحشر كافراً[٣] وأنه رأس المعاصي»[٤].

وسئل أميرالمؤمنين عليه السلام عن قوله في أن شرب الخمر أسوأ من السرقة والزنا فقال: ان الزاني قد لا يرتكب ذنباً آخر ولكن شارب الخمر إذا سكر يزني ويقتل

١ ـ وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ٩ حديث ٣١٩٤٧.
٢ ـ وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ١٢ حديث ٣٢٠٠٣.
٣ ـ وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ١٢: حديث ٣٢٠٠٩.
٤ ـ وسائل الشيعة: ج ٢٥، باب ١٢: حديث ٣١٩٩٢.

النفس ويترك الصلاة[١].

عن أبي عبدالله الصادق عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«من شرب الخمر بعد ما حرّمها الله على لساني فليس بأهل أن يزوّج إذا خطب، ولا يشفّع إذا شفع، ولا يصدّق إذا حدّث، ولا يؤتمن على أمانة، فمن ائتمنه بعد علمه فليس الذي ائتمنه على الله ضمان، وليس له أجر ولا خلف»[٢].

القمار

ومن كبائر الذنوب والمعاصي القمار.

﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾[٣].

ان صنع آلات وأدوات القمار وأخذ أجرة ذلك وشراءها وبيعها حرام.

وقد اتفق كبار فقهاء الشيعة على الافتاء بحرمة لعب القمار حتى بدون أن يكون خاسر ورابح.

ولذا فان الاحتفاظ بهذه الوسائل حرام واتلافها لازم.

وكذا فان حضور مجالس المقاهرة والتفرج على المتقامرين حرام وترك مثل هذه المجالس واجب شرعي أكيد.

اللهو والتهريج

ان اتلاف العمر وهو رأسمال الانسان باللهو والتهريج، بعيداً عن استثمار

---

١ ـ الكافي: ٤٠٣/١، باب أن الخمر رأس كل اثم وشر، حديث ٨.

٢ ـ وسائل الشيعة: ٣١٠/٢٥، باب ١٢، حديث ٣١٩٨٠.

٣ ـ سورة البقرة: ٢١٩.

الطاقات الانسانية في العمل المثمر والانتاج، هو من الانشطة العابثة التي لا طائل من ورائها.

ان تضييع العمر في العبث واللهو والتهريج يعد من موارد كفران النعم.

فالعمر من أكبر النعم الالهية والشكر على هذه النعمة واجب على الانسان؛ ولهذا لا ينبغي للانسان أن يضيع لحظة واحدة من عمره وأن يجعل كل وقته في عبادة الله وذكره والعمل بأوامره، من طلب العلم وخدمة الناس.

يروي المحدث القمي في كتابه «*منازل الآخرة*» عن رجل يدعى ابن صمد وكان يحاسب نفسه كثيراً، وذات يوم عدّ أيام عمره وقد مضى عليه ستون سنة فعدّ أيامها؛ فكانت واحداً وعشرين ألف وتسعمائة يوم، فصاح الويل لي لو أنني أذنبت في كل يوم ذنباً فألقى الله بواحد وعشرين ألف وتسعمائة ذنب صاح ذلك وهوى مغشياً على الأرض؛ فحرّك فاذا هو قد فارق الحياة.

تسقّط عيوب الناس

ان حفظ كرامة المسلم والمؤمن ممّا أكدت عليه الشريعة الاسلامية فقد جاء في الآثر:

«عِرضُ المُؤمِنِ كَدَمِهِ».

إنّ فضح عيوب الناس يدمّر الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع الواحد ويعرّض الحياة الأسرية والاجتماعية إلى الانهيار.

الأنبياء والأئمة والأولياء هو وحدهم المبرأون من العيوب؛ أما غير اولئك فلهم عيوبهم وقد ستروها عن أنظار الآخرين. صحيح انه يوجد من الناس من لا يتحرّج من عيبه بل أنهم لا يخجلون ويعلنون ذلك أمام الملأ دون أي شعور

بالخجل أو الحياء.

ولكن أكثر الناس ممن تهمه كرامته يحرص على حفظ ماء وجهه ويسعى في التستر على عيوبه.

ولذا فان من يتسقط عيوب الناس سواء كانت عيوب بدنية أو أخلاقية ويريد فضحها أمام الناس؛ فانه يوجه طعنة نجلاء إلى كرامة الانسان وينتهك حقاً أكيداً من حقوقه الذاتية؛ وهو بذلك يستحق عذاب الله وغضبه.

عن الامام الباقر عليه السلام قال:

«أَقْرَبُ ما يَكونُ ٱلعَبدُ إِلَى ٱلكُفْرِ أَن يُواخِيَ ٱلرَّجُلَ عَلَى ٱلدِّينِ فَيُحْصِي عَلَيْهِ عَثَراتِهِ وَزَلَّاتِهِ لِيُعَنِّفَهُ بِهَا يَوماً مَا»[1].

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«يَا مَعْشَرَ مَن أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُخْلِصِ ٱلإيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تَذُمُّوا ٱلْمُسلِمِينَ وَلَاتَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِم، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَورَاتِهِم تَتَبَّعَ ٱللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ ٱللَّهُ تَعَالَى عَوْرَتَهُ يَفْضَحهُ وَلَوْ فِي بَيْتِهِ»[2].

مجالسة أهل المعاصي

يتأثر المرء بجليسه قبل أن يتأثر بأمر آخر، حيث تبلغ قدرة تأثير الجليس حدّاً لا يمكن تصوره.

من أجل هذا أكّدت الآيات الكريمة والروايات على حساسية انتخاب الانسان لجليسه وصديقه ووضعت معالم تعين المرء عن ذلك.

١ ـ الكافي: ٢/٣٥٤، باب من طلب عثرات المؤمنين، حديث ١.
٢ ـ الكافي: ٢/٣٥٤، باب من طلب عثرات المؤمنين، حديث ٢.

وقد أفاض علماء الاسلام في ذلك وألفت كثير من الكتب ما يجعل هذه القضية في متناول كل الناس.

فهناك تحذيرات شديدة من مجالسة أهل الكفر والباطل وأهل الشك والفسق والفجور واقامة علاقات مع اليهود والنصارى وحتى المتهمين بالمعصية فكل هذه النماذج هي قنوات يتسلّل منها الشيطان لخريب روح المؤمن وقلبه.

عن الامام الصادق عليه‌السلام قال:

«لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَجْلِسَ مَجْلِساً يُعْصَى اَللَّهُ فِيهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَغْيِيرِهِ»[1].

وعن أبي هاشم الجعفري قال: قال أبو الحسن عليه‌السلام: ما لي رأيتك عند عبدالرحمن بن يعقوب؟ فقلت: انه خالي فقال: انه يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف؛ فاما جلست معه وتركتنا، وإما جلست معنا وتركته؟ فقلت: هو يقول ما شاء، أي شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟

فقال أبو الحسن عليه‌السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً، أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه‌السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلما لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى؛ فمضى أبوه وهو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً؛ فأتى موسى الخبر فقال هو في رحمة الله ولكنّ النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع[2].

وعن أميرالمؤمنين عليه‌السلام قال:

«مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاَلْيَوْمِ اَلآخِرِ فَلَا يَقُومُ مَكَانَ رِيبَةٍ»[3].

---

١ ـ الكافي: ٣٧٤/٢، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ١.
٢ ـ الكافي: ٣٧٤/٢، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ٢.
٣ ـ الكافي: ٣٧٤/٢، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ١٠.

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«مَن قَعَدَ عِنْدَ سَبَّابٍ لِأَوْلِيَاءِ ٱللَّهِ فَقَدْ عَصَى ٱللَّهَ تَعَالَى»(١).

أجل ان التقوى العفة والورع والصدق والعبادة وخدمة الناس إنما هي مفاتيح النجاح والخلاص وأنها ستائر تحول بين المرء وغضب الله عزوجل.

وان ارتكاب الذنوب والمعاصي وتسقّط عيوب الناس ومجالسة الفساق إنّ كل هذا وغيره من الآثام، ما يمهد الطريق لغزو الشيطان إلى قلب المرء وروحه وهذا ما يعرض الانسان لسخط الله تبارك وتعالى لأن طاعة الله على الناس واجبة والحذر من الشيطان وعدم اتباع خطواته هو ما ينبغي على المرء العاقل أن يفعله.

---

١ ـ الكافي: ٣٧٤/٢، باب مجالسة أهل المعاصي، حديث ١٤.

«اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ النِّقَمَ»

يا الهي اغفر لي الذنوب التي تفتح على أبواب الانتقام.

ذنوب تنزل العقوبة

جاء في كثير من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ان الذنوب التي تكون سبباً في نزول النقم الالهية هي:

١ ـ البغي. ٢ ـ العدوان على حقوق الناس. ٣ ـ السخريه من عباد الله. ٤ ـ نقض العهد. ٥ ـ العصيان وارتكاب الذنوب في العلن. ٦ ـ شيوع الكذب. ٧ ـ الحكم بغير ما أنزل الله. ٨ ـ الامتناع عن دفع الزكاة. ٩ ـ التطفيف في الكيل والميزان.

البغي

«البغي» لغة هي التمرد على الحق، وانتهاك الحدود الالهية والعدوان على الناس، الفساد، المعصية، الرجس والزنا وهناك ما يؤيد ذلك في الآيات الكريمة:

﴿إِنَّ قَارونَ كانَ مِن قَوْمِ موسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ...﴾[1].

---

١ ـ سورة القصص: ٧٦.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلأَرْضِ... ﴾[١].

﴿ يا أُخْتَ هارُونَ ما كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً ﴾[٢].

وجاء عن سيدنا محمّد ﷺ قوله:

«إِنَّ أَسْرَعَ ٱلْخَيرِ ثَوَاباً ٱلبِرُّ وَإِنَّ أَسْرَعَ ٱلشَّرِّ عِقَاباً ٱلبَغيُ»[٣].

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«سِتَّةٌ لا تَكونُ فِي ٱلمُؤْمِنِ: ٱلعُسْرُ وَٱلنَّكَدُ وَٱللَّجَاجَةُ وَٱلكِذْبُ وَ ٱلحَسَدُ وَٱلبَغْيُ»[٤].

العدوان على حقوق الناس

جعل الله تبارك وتعالى للناس فيما بينهم حقوقاً متبادلة وجعل أداءها واجباً وعدّ انتهاكها عدواناً ومعصية وربما كانت سبباً في الجزاء والعقوبة.

فللوالدين على الأبناء حقوق، وللأبناء على الوالدين حقوق وللرحم حقوق، وللجيران، وللشعب على الحكومة وللحكومة على الشعب، وللرجل على زوجته وللمرأة على بعلها، وللفقراء حقوق على الأغنياء وحقوق أخرى بيّنها القرآن الكريم.

ولكن أجمل من فصّل في الحقوق تفصيلاً هو سيدنا زين العابدين علي بن

١ ـ سورة الشورى: ٢٧.
٢ ـ سورة مريم: ٢٨.
٣ ـ بحار الأنوار: ٢٧٣/٧٢، باب ٧٠، حديث ١.
٤ ـ بحار الأنوار: ٢٦٣/٧٥، باب ٢٣.

الحسين عليه السلام في رسالة الحقوق، حيث تضمنت خمسين مادة حقوقية غاية في الروعة والشمول.

السخرية من عباد الله

ان السخرية والاستهزاء بالناس سواء كان من عيب في أبدانهم أو بسبب وضعهم المعاشي والاقتصادي وبسبب تدينهم أو بسبب مزاولتهم لنوع من الأعمال أو لطبقتهم الاجتماعية هو اثم كبير ومعصية لله عزوجل تستوجب الجزاء والعقوبة في الدارين.

ان الاستهزاء بالآخرين هو عدوان على كرامتهم الشخصية وحط من كرامتهم الانسانية.

وقد نعت القرآن الكريم المستهزئين بالنفاق في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾[1].

وجاء عن سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«مَن أَهَانَ لِى وَلِيّاً فَقَد أَرْصَدَ لِمُحَارَبَتِى»[2].

وعنه صلى الله عليه وآله قال:

«قَد نَابَذَنِى مَن أَذَلَّ عَبدِى ٱلمُؤْمِنَ»[3].

أجل ان السخرية من الآخرين إنما هي أهانة لهم وحط من كرامتهم وهذا ما

١ ـ سورة البقرة: ١٤.
٢ ـ الكافي: ٣٥١/٢، باب من آذى المسلمين، حديث ٢ و ٦.
٣ ـ الكافي: ٣٥١/٢، باب من آذى المسلمين، حديث ٢ و ٦.

حذّر منه القرآن الكريم في كثير من آياته البيّنات[١].

نقض العهد

العهد والوفاء به حقيقتان اخلاقيتان وانسانيتان وقد أكد القرآن الكريم على حساسيتهما كما ورد في روايات عن أهل البيت عليهم السلام، ما يجعل من العهد والوفاء به مسألة غاية في الاهمية وفي هذه المسألة لا يوجد ثم تفاوت بين العهد مع الله عزوجل أو مع الرسول صلى الله عليه وآله أو مع الناس عموماً، فالوفاء بالعهد عمل ايجابي، سواء على صعيد الالتزام بالعبادة أو في خدمة الناس، أو في الكسب والعمل والتجارة، وهو واجب شرعي وأخلاقي وقد يصل نقض العهد إلى مستويات خطيرة تستوجب الجزاء الالهي!

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذا عَاهَدتُمْ ﴾[٢].

﴿ ٱلَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ ٱلخاسِرونَ ﴾[٣].

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾[٤].

﴿ يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[٥].

وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

---

١ ـ سورة الحجرات: ١١.

٢ ـ سورة النحل: ٩١.

٣ ـ سورة البقرة: ٢٧.

٤ ـ سورة الاسراء: ٣٤.

٥ ـ سورة المائدة: ١.

«ثَلَثٌ مَن كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً وَإِن صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذِبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»(١).

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«مَن عَامَلَ النَّاسَ وَلَمْ يَظْلِمْهُم، وَحَدَّثَهُم فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يَخْلِفْهُمْ، فَهُوَ مِمَّن كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ وَحَرُمَتْ غَيْبَتُهُ وَظَهَرَ عَدْلُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ»(٢).

الاعلان بالمعاصي

نهى القرآن الكريم بشدة اقتراف المعاصي ما ظهر منها وما بطن(٣).

ان الاعلان والتجاهر بالمعصية يدلّ على عدم الحياء، والجرأة على شريعة السماء، وانتهاك واضح للاخلاق وعدم احترام للقانون.

ان الاسلام يستنكر بشدّة تلويث أجواء المجتمع الاسلامية الاخلاقية وقد سنّ القوانين والأحكام لمن ينتهك الذوق الاخلاقي في المجتمع الاسلامي.

ان على الناس المؤمنين والواعي وبخاصّة المسؤولين في الحكم التصدي لظاهرة الانتهاك العلني للقوانين الاسلامية وأحكام الشريعة الالهية؛ لأن السماح لهم في المجاهرة بالعصيان هو سماح للجراثيم بالفتك في جسم الأمّة الاسلامية.

ومن هنا يتوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمكافحة الانحراف والقضاء على جذور الفساد ومكافحة التلوث الاخلاقي والانحطاط وحماية

---

١ ـ الكافي: ٢٩٠/٢، باب في أصول الكفر، حديث ٨.
٢ ـ الكافي: ٢٣٩/٢، باب المؤمن وعلاماته، حديث ٢٨.
٣ ـ سورة الانعام: ١٥١.

المجتمع من خطرالسقوط.

ان تنمية الاخلاق الكريمة والعفة والقيم الدينية في نفس الانسان هو الذي يحول دون السقوط في الفحشاء والمنكرات.

فالحياء وذكرالله والتفكر في عواقب الذنوب والمعاصي هي في طليعة الوسائل التي تردع الانسان وتمنعه من اقتراف المعاصي والذنوب.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«ٱلْحَيَاءُ مِنَ ٱلإِيمَانِ وَٱلإِيمَانُ فِي ٱلْجَنَّةِ»(١).

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أوصني، فقال صلى الله عليه وآله:

«إِسْتَحْيِ مِنَ ٱللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ ٱلرَّجُلِ ٱلصَّالِحِ مِن قَوْمِكَ»(٢).

حكاية امرأة مؤمنة

روى ابو حمزة الثمالي عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام قال: إنّ رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم فلم ينج ممّا كان في السفينة إلّا امرأة الرجل، فانها نجت على لوح من الواح السفينة، حتى الجأت على جزيرة من جزائر البحر، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلّا انتهكها؛ فلم يعلم إلّا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسيه أنت أم جنيّة؟ فقالت انسيّة، فلم يكلّمها كلمة؛ حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما أن همّ بها اضطربت، فقال لها: مالك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا. وأومأت بيدها إلى السماء. قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت لا وعزّته، قال: فأنت تفرقين منه هذا

١ ـ بحار الأنوار: ٣٢٩/٦٨، باب ٨١، حديث ١.
٢ ـ بحار الأنوار: ٣٣٦/٦٨، باب ٨١، حديث ٢٠.

الفرق ولم تصنعي من هذا شيئاً وإنما استكرهك استكراهاً، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك، قال: فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله وليس همّة إلّا التوبة والمراجعة، فبينا هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق؛ فحميت عليها الشمس فقال الراهب للشاب: ادع الله يظلّنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أنّ لي عند ربّي حسنه فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعو أنا وتؤمّن أنت؟ قال: نعم.

فأقبل الراهب يدعو والشابّ يؤمّن؛ فما كان بأسرع من أظلّتهما غمامة، فمشيا تحتها مليّاً من النهار، ثم تفرّقت الجادّة جادّتين، فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فاذا السحابة مع الشاب، فقال الراهب: أنت خير مني لك استجيب ولم يُستجب لي؛ فأخبرني ما قصّتك؟ فأخبره بخبر المرأة، قال: غُفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل[1].

شيوع الكذب

حذّر القرآن الكريم الناس من الكذب وعدّه رسول الله ﷺ من الكبائر كما تزخر الروايات المنقولة عن أهل البيت عليهم السلام بالتحذير من الكذب.

وأسوأ أنواع الكذب هو الكذب على الله ورسله وأنبيائه ورسالاته؛ لما في هذا من آثار وخيمة في انحراف وضلال المجتمعات البشرية[2].

ان رؤوس الكفر والشرك والالحاد على مدار التاريخ كانوا كذّابين دجالين فهم يطرحون أكاذيبهم وينمقوها ويصبوها في قوالب علمية فلسفية مزيفة لحرف

---

١ ـ الكافي: ٢/٦٩ ـ ٧٠ باب الخوف والرجاء، حديث ٨.

٢ ـ للبحث في الروايات الخاصّة بهذا الموضوع راجع كتاب الكافي ووسائل الشيعة والمستدرك وبحار الأنوار.

الجماهير البسيطة في تفكيرها والحؤول دون ايمانها برسالات الله.

فهم بأكاذيبهم يقطعون الطريق على من يريد السير في صراط الله المستقيم.

وهم بأكاذيبهم ودجلهم ونفاقهم يلبسون الأباطيل ثوب الحق.

وعلى طول التاريخ، تاريخ الرسالات الالهية كان هؤلاء ينبرون إلى التكذيب برسالات الله قائلين: ﴿ **ما أنزل الله من شيء** ﴾[١].

انهم بمثابة السحب السوداء تقف في طريق الشمس، حتى لا تصل أشعتها إلى الناس؛ فيكتشفوا الطريق إلى الله انهم يريدون أن يبقى الناس في حيرة وضلال وضياع.

ولم يكتفوا بتكذيب الرسالات الالهية بل امتدت أيديهم القذرة إلى كتب السماء فراحوا يحرّفون الكلم عن مواضعه لتصبح هذه الكتب المضيئة التي أنزلها الله لهداية البشر، مصادر للفتنة والشبهات وضلال المجتمعات كما فعل اليهود بالتوراة والزبور وفعل النصارى بالانجيل.

من أجل هذا حفظ الله عزوجل كتاب السماء الأخير وهو القرآن حفظه من كل تحريف وتلاعب؛ فكان معجزة رسول الله ﷺ والكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

غير ان الكذابين والدجالين لما رأوا حصانة القرآن الكريم راحوا يكذبون على رسول الله ﷺ؛ فظهرت في عهد بني أمية والعباسيين طبقات من علماء السوء ورواة الحديث؛ راحوا يضعون الأحاديث المزوّرة وينسبونها إلى النبي ﷺ من أجل تمكين الظالمين من الحكم على البلاد الاسلامية ومحاصرة الأئمة الطاهرين والتضييق عليهم.

---

١ ـ سورة يس: ١٥.

غير أن أئمتنا عليهم السلام تصدّوا لأولئك المزوّرين والكذابين وسنّوا لأتباعهم مناهج دقيقة لمعرفة الصحيح من الأحاديث الشريفة ونبذ الأحاديث الموضوعة المزوّرة.

ولولا جهود الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وأصحابهم المخلصين، لتسللت كثير من الأفكار الضالّة إلى الثقافة الاسلامية وأصبحت عامل ضلال وانحراف وسقوط.

والكذابون الدجالون يتلبسون بكل لباس ويرتدون ما يناسب دورهم التخريبي في أبعاد الأمم والشعوب عن الدين والقيم الاخلاقية، فتراهم يرفعون الشعارات الخادعة لاغواء الناس ودفعهم إلى اعتناق الأفكار الخطرة من الحاد وشرك وانحراف.

وسلاحهم هو الكذب والاستفادة من الوسائل الهابطة اخلاقياً، وهم موجودون في كل زمان ومكان حتى أغرقوا الأرض بالشرور والفساد.

انهم يستحقون لعنة الله ولعنة التاريخ والاجيال من أجل هذا نرى القرآن الكريم كتاب الله الخالد يلعنهم ليل نهار:

﴿فَنَجْعَل لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾[1].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[2].

ومن أجل ذلك شدّد سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام على الكذابين واستنكر صلوات الله عليه وآله الكذب الذي هو من أكبر الكبائر.

قال سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ ٱللَّهِ. قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللّهِ، وَعُقُوقُ

١ ـ سورة آل عمران: ٦١.
٢ ـ سورة الزمر: ٣.

ٱلوَالِدَيْنِ وَكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ ثُمَّ قَالَ: أَلَا وَقَوْلُ ٱلزُّورِ»[١].

وعنه ﷺ قال:

«شَرُّ ٱلرِّوَايَةِ روايَةُ ٱلكِذبِ»[٢].

وعنه ﷺ أيضاً:

«أَقَلُّ ٱلنَّاسِ مُرُوَّةً مَن كَانَ كَاذِباً»[٣].

وقيل له ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: بلى، قيل: بخيلاً؟ قال: بلى، قيل: كذاباً، فقال: لا[٤].

وعن الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قال:

«لَا يَجِدُ عَبدٌ طَعْمَ ٱلإِيمَانِ حَتَّى يَتْرُكَ ٱلكِذْبَ هَزلَهُ وَجِدَّهُ»[٥].

وعنه عليه السلام قال:

«لَا سُوءَ أَسْوَءُ مِنَ ٱلكِذْبِ»[٦].

وعنه عليه السلام أيضاً:

«الصِّدقُ أَمَانَةٌ وَٱلكِذْبُ خِيَانَةٌ»[٧].

وعن الامام الباقر عليه السلام:

---

١ ـ مستدرک الوسائل: ٤١٦/١٧، باب ٦، حديث ٢١٧١٤.
٢ ـ بحار الأنوار: ٢٥٩/٦٩، باب ١١٤، حديث ٢٥.
٣ ـ بحار الأنوار: ٢٥٩/٦٩، باب ١١٤، حديث ٢١.
٤ ـ بحار الأنوار: ٢٦٢/٦٩، باب ١١٤، حديث ٤٠.
٥ ـ الكافي: ٣٤٠/٢، باب الكذب، حديث ١١؛ بحار الأنوار: ٢٤٩/٦٩، باب ١١٤، حديث ١٤.
٦ ـ توحيد الصدوق: ٧٢، باب التوحيد و نفي التشبيه.
٧ ـ بحار الأنوار: ٢٦١/٦٩، باب ١١٤، حديث ٣٧.

«ان الكذب هو خراب الايمان»[١].

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«إن الكذّاب يهلك بالبينات ويهلك اتباعه بالشبهات»[٢].

وعلى كل حال فان الكذّاب في الشريعة الالهية فاجر فاسق لا ايمان له تلعنه الملائكة ولا ينبغي مجالسته.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مؤاخاة الكذّاب، فانه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدّق»[٣].

الحكم بغير ما أنزل الله

من الذنوب التي تنزل النقم هو الحكم بغير ما أنزل الله عزوجل فالقاضي الذي يحكم ظالماً فيبرئ الظالم ويتهم المظلوم ويدان في مجلسه إنما ينقض العدالة وهي أساس استقرار وثبات العالم فكل شيء قائم على العدل وكل شيء ينبغي أن ينهض على العدالة.

والقاضي الذي يسحق على العدالة كافر وظالم وفاسق بصريح آيات القرآن الكريم.

---

١ ـ الكافي: ٢٣٩/٢، باب الكذب.

٢ ـ المصدر السابق.

٣ ـ المصدر نفسه: ٢٤١/٢.

فمن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون[١].

عن الامام الصادق عليه السلام:

«من حكم بين اثنين بغير حكم الله فقد كفر بالله»[٢].

الامتناع عن دفع الزكاة

ان دفع الزكاة من الغلّات والماشية والذهب والفضة واجب أكيد كما تصرح به الآيات الكريمة وأن الامتناع عن دفع الزكاة من الكبائر التي توجب غضب الباري تعالى.

وقد اقترن ذكر الزكاة بالصلاة، فما من آية تطرقت إلى أمر الصلاة إلّا وقرنت ذلك بدفع الزكاة وهذا ما يؤكد أهميتها وقيمتها الحقيقية.

ان ترك الزكاة يدخل في باب الانكار والرد على الحق وتارك الزكاة كتارك الصلاة والحج كافر بحسب الروايات الواردة عن أئمة الهدى من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة.

وقد أشارت الروايات إلى أن التزام المسلمين بدفع الزكاة يؤدي إلى حالة من الرفاه الاقتصادي في المجتمع الاسلامي وان الالتزام بها يساعد بشكل سريع ومؤثر في مكافحة الفقر والاختلاف الطبقي الذي ينجم عادة عن الظلم في توزيع الثروة في المجتمع.

ان دفع الزكاة ركن من أركان العدالة الاجتماعية في الاسلام تقول السيدة فاطمة الزهراء في فلسفة الزكاة وغيرها من أحكام الاسلام:

---

١ ـ سورة المائدة: ٤٤، ٤٥ و٤٧.

٢ ـ كبائر الذنوب: ٢/٣٦٥.

«فَجَعَلَ اللهُ الايمانَ تَطهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنزيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبرِ، والزّكاةَ تَزكيَةً للنَّفْسِ»[١].

وروي أن الامام الرضا عليه السلام قال لخادم له: هل أنفقت شيئاً في سبيل الله هذا اليوم؟ فقال الخادم: لا والله. فقال عليه السلام فكيف تريد أن يرزقنا الله[٢].

التطفيف في الميزان

ان التطفيف في الكيل والميزان وخداع المشتري ببيعه أقل من الوزن المطلوب، هو من الكبائر التي يعاقب عليها الانسان أشدّ العقاب.

ومن بين مئة وأربعة عشر سورة في القرآن الكريم حملت احداها اسم المطففين، حيث شدّدت عليهم النكير وهددتهم بعذاب الله:

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرونَ * أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُم مَبْعُوثونَ * لِيَومٍ عَظيمٍ * يَوْمَ يَقومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلعالَمِينَ * كَلّا إِنَّ كِتابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾[٣].

وجاء في الحديث النبوي الشريف ان المطفف يرمى يوم القيامة في قعر جهنم بين جبلين من نار فيقال له: زنهما فيبقى في ذلك أبداً[٤].

وجاء في الحديث الشريف أيضاً: خمس مقابل خمس فسئل رسول الله

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٢٣/٢٩، حديث ٨.
٢ ـ كبائر الذنوب: ٢٢٣/٢.
٣ ـ سورة المطففين: ١ ـ ٧.
٤ ـ كبائر الذنوب: ٤١٨/١.

عنهن فقال: ما نقض قوم العهد إلّا سلّط الله عليهم عدوهم، وما فشا الزنا في قوم إلّا فشا فيهم الموت وما حكم قوم بغير ما أنزل الله، إلّا وابتلوا بالفقر وضيق ذات اليد.

وما منع قوم الزكاة إلّا وحبس عنهم المطر، وما طفف قوم الكيل والميزان إلّا وابتلوا بالقحط والجفاف.

«اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُغَيِّرُ النِّعَمَ»

اغفر لي الآثام التي ترفع نعماً غمرتها علي يا الهي.

ذنوب تغير النعم

هناك من الذنوب ما تكون سبباً في تغيير النعم؛ فيحلّ مكانها البلاء والعذاب وهي كما ورد في أحاديث للامام السجاد عليه السلام:

١ ـ ظلم الناس. ٢ ـ فقدان ارادة الخير. ٣ ـ اهمال البرّ والاحسان. ٤ ـ كفران النعمة. ٥ ـ ترك الشكر.

ظلم الناس

ان ظلم الناس من الذنوب والآثام القبيحة وهو عمل شيطاني والظلم ظلم صغر أو كبر ولا يتغير قبحه؛ فالظلم مقدار ذرّة قبيح ويحاسب الانسان عليه يوم القيامة.

﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾[1].

---

١ ـ سورة الأنبياء: ٤٧.

فقدان ارادة الخير

الله سبحانه وتعالى فطر الانسان على حب الخير وأودع في نفسه ذلك ليكون سبباً لانفتاح أبواب الرحمة عليه فتتدفق النعم وتغمره آلاء الله، وما على الانسان إلّا أن يواظب على عمل الخير وإلّا يسمح لوسوسات الشيطان أن تتسلل إليه وتدمّر فيه قيم الخير.

إنّ حب المعرفة، والتواضع والحلم والسعي في قضاء حوائج الناس هي من ارادة الخير، التي ينبغي أن يهتم بتنميتها المرء حتى تصبح عادة متجذرة وطبعاً من طباعه وصفة من صفاته.

وإذا أعرض الانسان ونأى بجانبه وجانب الخير؛ فان هذا سيكون إيذاناً بسقوطه في حمأة الذنوب والمعاصي ومن ثم زوال النعم عنه وهلاكه.

نبذ الاحسان

الاحسان من الأعمال التي تحبب الانسان إلى الله عزوجل وإلى أفراد نوعه؛ إذا تجعل منه انساناً محبوباً من مجتمعه وتعلي من شأنه بين الناس اضافة إلى القربى من الله عزوجل فما من شيء يحبب المرء إلى الله وإلى الناس مثل الاحسان.

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

وعلى المحسنين ألا يكفّوا عن الاحسان إلى الناس في كل الظروف، لأن الاحسان عبادة وثوابه عظيم وجزيل وان رضا الله عزوجل يتحقق بالاحسان إلى

---

١ ـ سورة آل عمران: ١٣٤.

عبادة الله الفقراء الذين هم عياله.

ولذا فان ترك الاحسان ذنب كبير، يحرم الانسان من الفيض الالهي وهو تنكر للاخلاق الكريمة والصفات الحسنة ويهدد حياة الانسان ومستقبله بالخطر.

كفران النعمة

ان كفران النعم ينذر بعذاب من الله أليم وشديد.

﴿ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1].

ان من أقبح الذنوب وأسوأ الخلق أن يكفر الانسان بما أنعم الله عليه، وكفران النعم هو الاستغراق في اقتراف المعاصي والذنوب.

ترك الشكر

ان عرفان النعمة والشكر عليها واجب على الانسان العاقل وهي من صفات الانسان الذي يقرّ بآدميته ويحترم انسانيته.

وحقيقة الشكر هي معرفة المنعم وعرفان النعمة وهذا يتحقق من خلال الافادة منها فيما يرضي الله عزوجل الذي أفاض النعم.

فشكر نعمة القلب أن يكون قنديلاً يشع بالايمان بالله واليوم الآخر والتصديق برسالات الله وأنبيائه ورسله.

وعرفان نعمة العين أن تجيل البصر في زوايا الطبيعة وتتأمل ما خلق الله سبحانه وأن تقرأ القرآن الكريم؛ وتطلب بها العلم وإلّا تنظر بها إلى ما حرّم الله.

والشكر على نعمة الأُذن، هو الاصغاء إلى نداء الحق والحقيقة وحفظها من

---

١ ـ سورة ابراهيم: ٧.

الغيبة والنميمة والبهتان وصوت الشيطان.

وعرفان نعمة اللسان ألّا ينطق إلّا بالخير؛ خير الناس وارشاد الضالين وقراءة القرآن وأداء الصلاة وحفظه من اغتياب الناس واشاعة الفحشاء والكذب والسخرية من الآخرين.

والشكر على نعمة الشهوة الجنسية أن تصرف هذه الطاقة في ما أحل الله من الزواج واجتناب الزنا.

والشكر على نعمة القدم أن تخطو في طريق الطاعة وأن تذهب بها إلى المساجد وحضور المحافل، التي يذكر فيها اسم الله وصلة الرحم وزيادة الأصدقاء وتفقد الفقراء.

وشكر نعمة المال والثروة الانفاق على العيال، ومساعدة الفقراء والبؤساء والانفاق في شؤون الخير وأداء الزكاة والخمس والتصدّق.

فالاهمال في شكر النعم من خلال هذه الطرق يعد معصيةً ويكون سبباً في زوال النعم وحلول البلاء.

«ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِيَ ٱلذُّنُوبَ ٱلَّتِي تَحْبِسُ ٱلدُّعَاءَ»

يا الهي واغفر لي الذنوب التي تقطع الطريق على صعود الدعاء إلى السماء.

ذنوب تمنع استجابة الدعاء

يعدّ الامام السجاد عليه السلام سبعة ذنوب تمنع استجابة الدعاء:

١ ـ سوء النيّة. ٢ ـ الانطواء على صفات قبيحة. ٣ ـ النفاق. ٤ ـ سوء الظن وعدم التيقن من اجابة الدعاء. ٥ ـ التأخر في أداء فريضة الصلاة. ٦ ـ ترك الصدقة والاحسان وهما من وسائل التقرب إلى الله ٧ ـ الفحش في القول وتلويث اللسان باستخدام الكلمات البذيئة[1].

سوء النية

النية هي القصد والهدف الحقيقي والارادة وقد أوجب الاسلام على الانسان أن يبطن نوايا الخير لكل من حوله وما حوله من بشر وشجر وحيوان؛ وبشكل عام البيئة العامّة. عليه أن يهدف إلى خير المجتمع ويتمنى سعادة الجميع، وإلّا يتأخر في السعي من أجل تحقيق الخير ما أمكنه ذلك.

---

١ ـ معاني الأخبار: ٢٦٩.

ان حسن النيّة من الأهمية بحيث أصبحت مناطاً في حسن الجزاء والثواب. فمجرد قصد الخير يثاب عليه المرء وإن لم يتمكن من فعله أو القيام به.

وقد جاء في الأثر أن العبد المؤمن يسأل الله؛ فيقول اللهم ارزقني وهبني لأتصدق وأحسن وأفعل الخير؛ فيطلع الله على نيّته فيثيبه على نيّته وتكتب له حسنات بقدر ما نوى من فعل الخير[١].

كما حكى أن رجلاً جائعاً مرّ بربوة؛ فقال في نفسه لو كانت هذه الربوة طعاماً لقسّمته بين الناس؛ فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن أخبره بقبول صدقته وأن الله أثابه على حسن نيّته بقدر ثواب التصدّق بروبوة من طعام ينفقه على الناس[٢].

ان على الانسان أن يربّي نفسه على النيّة في عمل الخير ويكافح في نفسه قصد الشر لأن سوء النيّة في الانسان تلقي بظلالها السوداء على قلب المرء وروحه وتقوده إلى ارتكاب المعاصي والسقوط في الآثام.

الانطواء على صفات قبيحة

ان صفات مثل سوء الظن والنفاق، الحقد، العُجب، الرياء، التكبر، الغرور، البخل، الحرص، الطمع، الحسد، تولّي أعداء الله؛ هي ذنوب كبيرة وخطيرة ولها نتائج وخيمة في حياة الانسان في الدنيا والآخرة؛ اضافة إلى انها تمنع استجابة الدعاء يقول الامام الباقر عليه السلام:

«بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْداً هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ يُقْبِلُ بِوَجهٍ وَيُدبِرُ بِآخَرَ»[٣].

---

١ ـ محجة البيضاء: ١٠٦/٨، كتاب النيّة والصدق والاخلاص.

٢ ـ محجة البيضاء: ١٠٤/٨، كتاب النيّة والصدق والاخلاص.

٣ ـ ثواب الاعمال: ٢٦٩، عقاب من كان ذاوجهين؛ قلب سليم: ٦١.

سوء الظن

سوء الظن بالله وبأولياء الله والمؤمنين من الصفات السيئة، وبالرغم من كتمانها في القلب وعدم ظهورها فأنها يوم القيامة تعدّ من القبائح، التي يعاقب عليها الانسان إلّا إذا ختم المرء حياته بالتوبة.

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ... ﴾[١].

عن سيدنا محمّد ﷺ قال وهو على منبره:

«والذي لا اله إلّا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا اله إلّا هو لا يعذّب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلّا بسوء ظنّه وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغيبابه للمؤمنين»[٢].

ان الانسان المؤمن الذي يضمر الايمان ويظهر الخلق الكريم ويمارس العمل الصالح، يجب عليه أن يرجو رحمة ربّه ويحسن الظن بالله وأن يجتنب سوء الظن في كل حال من الأحوال.

المذنبون الذين تنفتح لهم أبواب التوبة وتتوفر لهم أرضية جبران ما فات من الذنوب، عليهم أن يحسنوا الظن بالله وقد وعدهم سبحانه بالتوبة، فحسن الظن، الرجاء والأمل بما عند الله من مغفرة واجب وإلّا حرموا من رحمة الله لأنه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون.

---

١ ـ سورة الحجرات: ١٢.

٢ ـ الكافي: ٢/٧١، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٦٧/٣٦٥، باب ٥٩، حديث ١٤.

المطلوب من الانسان أن يحسن ظنه باخوانه من أهل الايمان والاسلام ولا يحق له أبداً أن يسيء الظن بهم وأن يحملهم على محمل حسن.

فعلى سبيل المثال لو أن أحدهم رأى مؤمناً في مجلس معصية، مجلس حافل باللهو واللعب وآلات القمار ووسائل الشرب؛ فيجب عليه هنا ألّا يسيء الظن به أو يظن أنه ليس مؤمناً وأنه من أهل الفسق والفجور؛ لأنه سوء ظن وهذا ما حذّر من القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام ويؤدي إلى العقوبة الالهية، وعليه أن يوحي لنفسه قائلاً؛ هنيئاً له فقد وفقه الله أن يحضر في مجلس معصية فيعظ الجالسين وأهل المعاصي لعلّهم يتوبون عمّا هم عليه؛ فهو يؤدي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسأل الله سبحانه أن يوفقه إلى مثل ذلك؛ فيرشد الضال ويعالج المريض ويحرز الناس من أسر الشيطان وبالتالي له ما له الثواب العظيم والأجر الجزيل.

الحقد

يتوجب على المسلم أن يشعر بالمحبّة تجاه الناس جميعاً، إلّا من كان عدواً لله.

ان الحقد يحرم الانسان من صلة الرحم ومن الاحسان وفعل الخير العام.

ان الحقد يلوث الروح ويملأ القلب بالظلمات؛ فيكون فكر الانسان ظلمانياً وبالتالي يتسبب في حرمانه من رحمة الله.

قال سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«مَا كَادَ جَبرَئيلُ يَأْتِينِي إِلَّا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِتَّقِ شَحْنَاءَ ٱلرِّجَالِ وَعَدَاوَتَهُم»[1].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

١ ـ الكافي: ٣٠١/٢، باب المراء والخصومة، حديث ٥.

«رَأسُ ٱلجَهلِ مُعَاداةُ ٱلنَّاسِ»[١].

وعنه عليه السلام قال:

«مُعاداةُ الرِّجالِ مِنْ شِيَمِ ٱلجُهّالِ»[٢].

وعن الامام الصادق عليه السلام:

إيّاكَ وَعِدوَاةُ الرِّجالِ؛ فَإنَّها تُورِثُ المَعَرَّةَ وَتُبدِى العَورَةَ[٣].

العجب

ان العجب بالنفس وتضخم الذات والشعور بالنرجسية والتباهي، من الذنوب القبيحة، ومن الصفات التي لا تليق بالانسان العاقل.

الانسان عبد مملوك لله عزوجل، حياته وموته بيد الله سبحانه ورزقه يأتيه من قبل الله، وطاعة الله توفيق منه سبحانه وكل ما يعمله الانسان من خير هو من الله، فمن أين يا ترى يأتي العجب بالنفس مادام كل شيء بيد الله ؟!

مَن دَخَلَهُ ٱلعُجبُ هَلَكَ[٤].

عن أبي عبدالله الامام الصادق عليه السلام قال:

«أتى عالم عابداً فقال له: كيف صلاتك؟

فقال: مثلي يسأل عن صلاته؟! وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا.

---

١ ـ غرر الحكم: ٤٦١، حديث ١٠٥٧٠؛ ميزان الحكمة: ٨٧٤/٢، الجهل، حديث ٢٨٥٩.
٢ ـ غرر الحكم: ٤٦٢، حديث ١٠٥٧٨؛ ميزان الحكمة: ٣٥٠٨/٧، العداوة، حديث ١٢٠٣٠.
٣ ـ الاختصاص: ٢٣٠؛ ميزان الحكمة: ٣٥٠٨/٧، العداوة، حديث ١٢٠٣٧.
٤ ـ الكافي: ٣١٣/٢، باب العجب، حديث ٢.

قال: فكيف بكاؤك؟

قال: أبكي حتى تجري دموعي.

فقال له العالم: فان ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ، ان المدلّ لا يصعد من عمله شيء».

وجاء في الأثر ان سيدنا محمّد ﷺ قال:

«بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل ابليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا من موسى خلع البرنس وقام إلى موسى فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ قال: أنا ابليس، قال أنت فلا قرّب الله دارك، قال: إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من الله، قال له موسى: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم، فقال موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذ أذنبه ابن آدم استحوذت عليه! قال: إذ أعجبته نفسه، واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»[1].

الرياء

التظاهر بالعبادة وعمل الخير لاجتذاب أنظار الناس، حرام ويسبب غضب الله عزوجل.

وقد هاجم القرآن الكريم طائفة من المصلين الذين يؤدون صلاتهم رياء وتوعدهم بالعذاب.

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُم عَن صَلاتِهِمْ ساهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[2].

---

١ ـ الكافي: ٣١٣/٢، باب العجب، حديث ٥.

٢ ـ سورة الماعون: ٤ ـ ٦.

وجاء في الأثر إنّ النبي ﷺ سئل عن النجاة في أي شيء فقال ﷺ : ألّا يقوم للعبادة رياء.

وجاء في الأثر أيضاً ثلاثة يخاطبه الله يوم القيامة وليس من أعمالهم شيء... رجل قتل مع المجاهدين في سبيل الله ورجل أنفق ثروته في سبيل الله وثالث يقرأ القرآن؛ فيقول الله سبحانه للأول: ما كان قتالك في سبيلي ولكن ليقال إنّ فلاناً شجاع. وقال للثاني ما أنفقت مالك في سبيلي ولكن ليقال إنّك جواد وسخي. وقال للثالث: أردت أن يقال قارئ القرآن. ثم قال رسول الله إنّ هؤلاء لم ينالهم ثواب الله لأن ما عملوه كان رياءً.

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«إِنَّ اَللّهَ تَعالَى يَقولُ لِلْمَلائِكَةِ: إِنَّ هَذا لَم يُرِدنِي بِعَمَلِهِ فَاجْعَلُوهُ فِي سِجِّين»[1].

وجاء في الحديث الشريف ان رسول الله ﷺ قال:

«أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قيل: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء»[2].

وعنه أيضاً ﷺ:

«ان الله لا يقبل عملاً فيه ذرة من رياء»[3].

وجاء في الأثر كذلك ان شداد بن أوس قال: رأيت رسول الله يبكي، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: أخاف على أمتي الشرك، ولن يعبدوا يومئذ شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكن سيراءون بأعمالهم.

١ ـ محجة البيضاء: ١٣٩/٦ ـ ١٤١، كتاب ذم الجاه والرياء.
٢ ـ محجة البيضاء: ١٣٩/٦ ـ ١٤١، كتاب ذم الجاه والرياء.
٣ ـ محجة البيضاء: ١٣٩/٦ ـ ١٤١، كتاب ذم الجاه والرياء.

الكبر

ان التكبر سواء كان أمام الحق أو على الناس أو كان على أوامر الله والرسل والأنبياء إنّما هي حالة ابليسية وصفة شيطانية.

وقد أبلس ابليس من رحمة الله في لحظة تكبر وغرور؛ فتمرّد على أمر الله، وكان مصيره أن طرده الله وأصبح رجيماً إلى يوم القيامة ثم هو يوم القيامة من المعذبين.

وهذا هو مصير المستكبرين، فالمتكبرون بعيدون عن الله.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[1].

﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2].

أجل إنّ هذا التضخم الفارغ للذات لن يقود الانسان إلّا إلى الهاوية وبئس القرار.

الكبرياء لله وحده وهو القاهر الجبار، لأن كل ما يستطيع الانسان أن يتباهى به، هو من الله عزوجل؛ فبأي شيء يتعالى على الناس بماله أم بجماله أم بكماله؟! وكل من عند الله.

من أجل هذا فان أكبر صفة قبيحة ومن كانت فيه كان مبغوضاً من الله ومن الناس هي التكبر.

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

---

١ ـ سورة النحل: ٢٣.

٢ ـ سورة النحل: ٢٩.

«اَلعِزُّ رِدَاءُ اَللّهِ وَاَلْكِبْرُ إزَارُهُ فَمَن تَنَاوَلَ شَيْئاً مِنهُ أَكَبَّهُ اَللّهُ فِى جَهَنَّمَ»[1].

وعن الامامين الباقر والصادق عليهما السلام:

«لا يَدْخُلُ اَلجَنَّةَ مَنْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[2].

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«إنَّ فِى جَهَنَّمَ لَوَادِياً لِلْمُتَكَبِّرِينَ يُقَالُ لَهُ سَقَرُ شَكَى إلَى اَللّهِ عَزَّوَجَلَّ شِدَّةَ حَرِّهِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَأذَنَ لَهُ أَنْ يَتَنَفَّسَ فَتَنَفَّسَ فَأَحْرَقَ جَهَنَّمَ»[3].

عن عبدالأعلى قال: قلت لأبي عبدالله: ما الكبر؟

فقال:

«أعظم الكبر أن تسفه الحق وتغمض الناس، قلت: وما سفه الحق؟ قال: يجهل الحق ويطعن على أهله»[4].

الغرور

الأغترار بالمظاهر المادية وغيره يستغفل الانسان عن الحقيقة وهو أمر في غاية الخطورة والقبح أيضاً.

الذين ينكرون الحقيقة هم مرضى وأن بريق الدنيا قد خطف أبصارهم وحجب نور الحقيقة عن بصائرهم.

هذه الدنيا مهما بلغت من بريقها ومظاهرها الخدّاعة فانّها إلى زوال... الحياة

١ ـ بحار الأنوار: ٧٠/٢١٣، باب ١٣٠، حديث ٣.
٢ ـ الكافي: ٢/٣١٠، باب الكبر، حديث ٦.
٣ ـ الكافي: ٢/٣١٠، باب الكبر، حديث ١٠.
٤ ـ الكافي: ٢/٣١٠، باب الكبر، حديث ١٢.

محطة والانسان في هذه الدنيا مجرّد عابر سبيل وما أسرع أن ينتهي به الترحال إلى حفرة مظلمة تضج بالديدان تستقبل جسده، أما روحه فتنطلق بعيداً إلى عالم البرزخ حيث يجد هناك انعكاسات تجربته في الحياة الدنيا.

هؤلاء المخدوعون يتصورون الدنيا حقيقة والآخرة أوهام وخيال، من أجل هذا يتهافتون على لذائذ الحياة، يكرعون منها ويطلبون المزيد، فتراهم غارقين في المعاصي والذنوب، معرضين عن الاخلاق الكريمة والتحلّي بالصفات الحسنة الجميلة.

انهم في غفلة عن الحقيقة الكبرى وهي أن الدنيا مزرعة الآخرة، بل انهما عالمان متجاوران وما أسرع المرء أن يجد ما كسبت يداه مائلاً أمامه وحينئذ يعض على أصابعه ندماً وأسفاً.

والجهال من أهل الايمان يخدعون أنفسهم أيضاً، بأن الله عزوجل واسع الرحمة، ولا حاجة لله بعبادتهم وأن رحمته عزوجل تغمرهم غمراً وأن الله غفور رحيم، فلم هذا الحرمان من اللذائذ وإن كانت في معصية؟! وأن ذنوبنا مهما عظمت لا تساوي ذرّة في بحار رحمته جلّ شأنه!

أنهم في غفلة عن هذه الحقيقة وهي أن الشيطان وهوى النفس للانسان بالمرصاد وأنه يزوّق لهم القول فترى ظاهره برّاقاً خادعاً وباطنه اسم الزعاف.

يقول سيدنا محمّد ﷺ:

«ٱلكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِما بَعْدَ ٱلْمَوْتِ، وَٱلأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا وَتَمَنَّى عَلَى ٱللّهِ»[1].

انهم يرون نصف الحقيقة إذا صح التعبير فالله غفور رحيم، رحمان كريم يقبل

١ ـ مجموعة الورّام: ٢٤٣/١، باب محاسبة النفس.

التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ولكن الله أيضاً شديد العقاب عزيز ذوانتقام يمهل ولا يمهل.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾[١].

ان الذين يرجون رحمة ربهم لا يستغرقون في المعاصي، والذين يأملون في الغفران لا يمعنون في الذنب واقتراف الآثام.

قال الامام علي عليه السلام:

سُكرُ الغَفْلَةِ وَالغُرورِ أَبْعَدُ إفاقَةً مِن سُكْرِ الخُمُورِ[٢].

وقال عليه السلام أيضاً:

إِنَّ مِنَ الغِرَّةِ بِاللَّهِ أَن يُصِرَّ العَبْدُ عَلَى المَعْصِيَةِ وَيَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ المَغْفِرَةَ[٣].

وعن سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«لا تَغْتَرَّنَّ بِاللَّهِ وَلا تَغْتَرَّنَّ بِصَلاحِكَ وَعِلْمِكَ وَعَمَلِكَ وَبِرِّكَ وَعِبادَتِكَ»[٤].

البخل

ما أقبح بالانسان وقد أفاض الله عليه النعم والآلاء أن يبخل ويقبض يده أشدّ القبض والامساك.

الله عزوجل الذي أعدّ مائدة الوجود؛ فهي تفيض بالخير والبركات وإذا

---

١ ـ سورة البقرة: ٢١٨.

٢ ـ غرر الحكم: ٢٦٦، ذم الغفلة، ٥٧٥٠؛ ميزان الحكمة: ٤٢٦٨/٩، الغرور، حديث ١٤٨٣١.

٣ ـ مجموعة الورّام: ٧٢/٢؛ ميزان الحكمة: ٤٢٧٢/٩، الغرور، حديث ١٤٨٥٧.

٤ ـ مكارم الاخلاق: ٤٥١، الفصل الرابع؛ ميزان الحكمة: ٤٢٧٢/٩، الغرور، حديث ١٤٨٥٨.

بالانسان الذي ينهل من كل مكان وتغمره النعم من كل حدب وصوب، إذا به يبخل بالترر القليل فلا ينفق في سبيل؛ لا صدقة يقدم ولا زكاة يدفع.

إنّ ما يكسبه المرء عن طريق الحلال ليس ملكاً خالصاً له يتصرّف به كيف يشاء وإنما هو أمانه في عنقه مسؤول عن كيفية الانفاق وتصرّفه بالأموال التي رزقه الله.

انه مسؤول أمام الله لأن الانسان عبد مملوك لله؛ فكل ما يملك العبد ملك لمولاه.

ان كنز الأموال ومنع حق الله فيها واتباع الشيطان ذنب كبير يؤدي بالمرء إلى الشقاء في الدنيا والعذاب يوم القيامة.

والبخل حالة شيطانية وصفة حيوانية، لا تليق بكرامة الانسان وعقلانيته، وهو من الرذائل الاخلاقية التي ندّد بها القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ ما ءَاتاهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾[1].

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«حَرُمَتْ ٱلجَنَّةَ عَلَى ٱلمَنَّانِ وَٱلبَخِيلِ وَٱلقَتَّاتِ»[2].

وقال رسول الله ﷺ:

«خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِى مُسلِمٍ: ٱلبُخلُ وَسُوءُ ٱلخُلقِ»[3].

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

---

١ ـ سورة النساء: ٣٧.
٢ ـ وسائل الشيعة: ٤٥٢/٩، باب عدم الجواز المَنّ، حديث ١٢٤٨١.
٣ ـ بحار الأنوار: ٣٠١/٧٠، باب ١٣٦، حديث ٩.

«إِنْ كَانَ اَلخَلَفُ مِنَ اَللّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقّاً فَالْبُخْلُ لِمَاذَا؟»[1].

وعن الامام موسى بن جعفر عليه السلام :

«اَلبَخِيلُ مَنْ بَخِلَ بِمَا اَفْتَرَضَ اَللّهُ عَلَيْهِ»[2].

الحرص

ان الرغبة الشديدة والتهافت على جمع أكثر ممّا هو لازم وضروري، يعرض الانسان إلى حالات خطيرة من اختلال التوازن الفكري والنفسي، ويقود الانسان إلى انتهاك الأحكام الالهية والتجاوز على القيم الاخلاقية والاعتبارات الانسانية، ويتحول إلى نار مجنونة تفتك بأموال الناس كما تفعل بالهشيم، ولا يتورع عن الاغارة على حقوق الناس ونهبها بأية وسيلة ممكنة.

وعادة ما يتناسى الحريص ذكر الله ولا يفكر بيوم القيامة ولا يخشى عذاب الله ولا يتوجس انتقامه عزوجل بل لا يفكر بشيء سوى جمع المال فقط.

ان الله الذي أغدق نعمه ظاهرة وباطنة وملأ بها جنبات الوجود وجعل للتمتع بهذه النعم مناهج واضحة وطرقاً للرزق حلال؛ فالانسان يعمل ويكدح ويحصل على ما قدّر له من رزق وهو مكفول فلا يخرج من الدنيا حتى يستوفي رزقه.

ان ترسيخ هذا الشعور في الانسان والايمان بهذه الحقيقة يبعث على حالة الطمأنينة في القلب ويحفظ للانسان كرامته وتوازنه.

يقول سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله :

---

١ ـ بحار الأنوار: ٣٠٠/٧٠، باب ١٣٦، حديث ١.

٢ ـ الكافي: ٤٥/٤، البخل والشح، حديث ٤.

أغنَى ٱلنَّاسِ مَن لَم يَكُن لِلْحِرصِ أَسِيراً[١].

وقال ﷺ يوصي علياً ﷺ:

يَا عَلِيُّ! انهَاكَ عَن ثَلاثِ خِصَالٍ عِظَامٍ: ٱلحَسَدِ وَٱلحِرْصِ وَٱلكِذْبِ[٢].

وقد ورد كثير من الأحاديث في ذمّ الحرص والتحذير منه.

وعن أبي جعفر الباقر ﷺ:

«ما ذئبان ضاريان في غنم ليس لها راع، هذا في أولها وهذا في آخرها بأسرع فيها من حب المال والشرف (الجاه) في دين المؤمن»[٣].

وعنه ﷺ أيضاً:

«مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القزّ، كلما ازدادت من القزّ على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً»[٤].

وعن الامام الصادق ﷺ:

«أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً»[٥].

وعنه ﷺ أيضاً قال:

«في مناجاة موسى بن عمران: يا موسى ان الدنيا دار عقوبة عاقبت فيها آدم

---

١ ـ أمالي الصدوق: ٢٠، حديث ٤.
٢ ـ بحار الأنوار: ٧٠/١٦٢، باب ١٢٨، حديث ١٠.
٣ ـ الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٢.
٤ ـ الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٧.
٥ ـ الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٧.

على خطيئته وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لي، يا موسى! إنّ عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم وما من أحد عظّمها فقرّت عيناه فيها ولم يحقّرها أحد إلّا انتفع بها»[١].

الطمع

أن يمدّ الانسان عينيه إلى ما في أيدي الآخرين ويتمنى الاستيلاء عليها؛ هذا الطمع الذي يخرّب روح الانسان ويلوّث نفسه.

يقول الامام الرابع زين العابدين عليه السلام:

رَأَيْتُ اَلخَيْرَ كُلَّهُ قَدِ اجْتَمَعَ فِى قَطْعِ اَلطَّمعِ عَمّا فِى أَيدِى اَلنَّاسِ[٢].

وسأل أحدهم الامام الصادق عليه السلام:

«ما اَلَّذِى يُثْبِتُ اَلإِيمَانَ فِى اَلعَبْدِ؟ قَالَ: اَلوَرَعُ. وَاَلَّذِى يُخْرِجُهُ مِنه؟ قَالَ اَلطَّمَعُ»[٣].

وقال الامام الهادي عليه السلام:

«اَلطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ»[٤].

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«إن أَردتَ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُكَ وَتَنالَ خَيرَ اَلدُّنْيا وَاَلآخِرَةِ، فَاقْطَعِ اَلطَّمَعَ عَمَّا فِى أَيْدِى اَلنَّاسِ»[٥].

---

١ ـ الكافي: ٢/٢١٥، حديث ٩.
٢ ـ بحار الأنوار: ٧٠/١٧١، باب ١٢٩، حديث ١٠.
٣ ـ بحار الأنوار: ٧٠/١٧١، باب ١٢٩، حديث ١٢.
٤ ـ بحار الأنوار: ٦٩/١٩٩، باب ١٠٥؛ ميزان الحكمة: ٧/٣٣١٠، الطمع، حديث ١١١٨٨.
٥ ـ الخصال: ١/١٢١، حديث ١١٣؛ ميزان الحكمة: ٧/٣٣١٠، الطمع، حديث ١١١٩٧.

وعن الامام علي عليه السلام :

«مَنْ أَرَادَ أن يَعِيشَ حُرّاً أيّامَ حَيَاتِهِ فَلا يُسْكِنَ ٱلطَّمَعَ قَلْبَهُ»[١].

الحسد

وهو من الصفات التي تعدّ غاية في القبح، والحسد أن يتمنى أحدهم زوال نعمة الغير، فهو لا يتحمل أن يرى نعمة منحها الله عزوجل لشخص ما فهو يتمنى زوالها، فالحسد يعدّ مرضاً أخلاقياً خطيراً.

ولعل جذور الحسد تعود إلى التكبر والانانية وحب الجاه والبخل لأنها عوامل في ظهور الحسد في نفس الانسان.

يقول الامام الصادق عليه السلام :

«إنَّ ٱلحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلإيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلحَطَبَ»[٢].

وعنه عليه السلام أيضاً:

«آفَةُ ٱلدِّينِ ٱلحَسَدُ وَٱلعُجْبُ وَٱلفَخْرُ»[٣].

تولي أعداء الله

ان التضامن أو تولّي أو حب أعداء الله هو من الأمراض الروحية، التي تصيب القلب؛ ذلك أن القلب السليم مفطور على حب الفضيلة والخير وحب أولياء الله، والقلب السليم مفطور على معاداة أعداء الله والنفور من الرذيلة والشر.

ومن هنا فان كان القلب على غير هذه الحالة فهو دليل على اصابته بمرض

---

١ ـ مجموعة الورام: ٤٩/١، باب الطمع؛ ميزان الحكمة: ٣٣١٢/٧، الطمع، حديث ١١٢١٣.
٢ ـ الكافي: ٣٠٦/٢، باب الحسد، حديث ٢.
٣ ـ الكافي: ٣٠٧/٢، باب الحسد، حديث ٥.

نفسي خطير.

ولا يمكن علاج هذا المرض إلّا بالقرآن الكريم والحديث الشريف لأن من سمات الفرد المسلم هو تولّي أولياء الله ومعاداة أعداء الله.

قال الله عزوجل:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1].

وقال الله عزوجل في كتابه الكريم:

﴿ لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[2].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَا هُم مِنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وقد حددت سورة «المنافقون» أبرز ما في هؤلاء من أمراض وصفات وحذرت المجتمع الاسلامي من مؤامراتهم وبينت خطرهم على الحياة الاجتماعية.

ذوالوجهين والنفاق

لا غبار على قبح النفاق ودناءة ذي الوجهين الذي يقابل المؤمنين متظاهراً بأنه معهم فإذا وجد فرصة طعنهم بخنجره من الخلف، طعنة كلها غدر ودناءة وخسّة.

فهم أسوأ من الكفار وقد قال الله عزوجل: ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

---

١ ـ سورة الفتح: ٢٩.

٢ ـ سورة الممتحنة: ١.

٣ ـ سورة المجادلة: ١٤.

ومن الطبيعي أن يكون المنافق خائناً لأنه يعرف أسرار المؤمنين ثم ينقلها إلى عدوّهم.

ومن هنا يعد النفاق من الامراض الخطيرة، التي تصيب المجتمعات الإسلامية والتي يصعب علاجها. وفي رسالة جوابية للامام الرضا عليه السلام حول المنافقين قال عليه السلام:

«لَيسُوا مِن عِتْرَةِ رَسُولِ اللّهِ، وَلَيْسُوا مِنَ المُؤمِنِينَ وَلَيْسُوا مِنَ المُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الإيمَانَ وَيُسِرّونَ الكُفرَ وَالتَّكذِيبَ، لَعَنَهُمَ اللّهُ»[1].

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«مِنْ عَلامَاتِ النِّفَاقِ: قَسَاوَةُ القَلْبِ وَجُمُودُ العَيْنِ وَالإصْرَارُ عَلَى الذَّنبِ وَالحِرصُ عَلَى الدُّنيَا»[2].

وعلامة النفاق ان يكون الظاهر غير الباطن[3].

عدم التيقن باجابة الدعاء

وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في سوء الظن.

التأخر في أداء فريضة الصلاة

الصلاة من أعظم العبادات وأجملها وأكثر تعبيراً عن العبودية للحق تبارك وتعالى والخضوع له سبحانه.

---

١ ـ بحار الأنوار: ٦٩/١٧٥، باب ١٠٣، حديث ١.

٢ ـ اختصاص مفيد: ٢٢٨.

٣ ـ مصباح الشريعة: ٢٥.

والصلاة أعظم بركة على الانسان لأن الصلاة تحمي الانسان من الفحشاء والمنكر.

ولعظمة الصلاة وشأنها فقد كانت شعاراً لدعوة الأنبياء فكانوا عليهم السلام يقيمون الصلاة ويدعون أهلهم إلى اقامتها.

إنّ أداء الصلاة في أوقاتها هو من الواجبات، ومن حرم من هذه النعمة المباركة، فقد حرم ﷺ ومن شفاعة الشافعين. الصلاة طريق الأنبياء وجهاد المرسلين وهي انعكاس جلي للقوانين الالهيّة.

والصلاة بعد الاقرار بالدين هي سنام الاسلام، ولكل شيء قدره وشرفه وشرف الاسلام الصلاة.

والصلاة قلعة حصينة أمام هجمات الشياطين. وأن أحب الأعمال إلى الله الصلاة وهي خير الأعمال. وهي اخر وصايا الأنبياء وكانت الصلاة قرّة عين الرسول ﷺ وطالما سمع ﷺ يخاطب بلالاً: ارحنا يا بلال، وهي أفضل ما يتقرّب الانسان به إلى عزوجل وهي عمود الدين، وسبب المغفرة وأول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة الصلاة وأول ما ينظر في عمله ينظر في صلاته.

والصلاة لها أبلغ الاثر في تطهير الانسان من الكبر والغرور والتعالي على الآخرين وهي مدرسة التواضع.

وقبول الصلاة يتوقف على التقوى والورع عن محارم الله، والصلاة في وقتها وأداؤها في وقت الفضيلة كفضيلة الآخرة بالنسبة إلى الدنيا، وهي أحب إلى المؤمن من ماله وذرّيته.

وتارك الصلاة كافر ويحشر مع اليهود والنصارى أو المجوس والمستخف بالصلاة، بريء منه الله ورسوله.

ترك الصدقة والاحسان

الاحسان إلى الفقراء والتصدّق على المساكين والبؤساء من أسباب رضا الله تبارك وتعالى ونزول الرحمة واجابة الدعاء ودفع البلاء.

قال سيدنا محمّد ﷺ:

«ٱلصَّدَقَةُ تَمْنَعُ سَبعِينَ نَوعاً مِن أَنْواعِ ٱلبَلاءِ أَهْوَنُهَا ٱلجُذامُ وَٱلبَرَصُ»[1].

وجاء في الأثر: شافوا مرضاكم بالصدقة. والصدقة تطيل العمر وتزيد في الرزق[2].

حكاية عابد

كان رجل عابد من قوم موسى وكان صالحاً، ظل ثلاثين سنة يسأل عزوجل أن يرزقه ولداً؛ فلم يستجب دعاؤه. فانطلق إلى صومعة نبي من أنبياء بني اسرائيل وقال: يا نبي الله سل الله أن يرزقني ولداً؛ فقد مضى ثلاثون عاماً وأنا ادعوه أن يرزقني ولداً فما اجيبت دعوتي.

فدعا له النبي وقال: يا عابد اجيبت دعوتي وسيهبك الله ولداً، ولكن قضى الله أن يكون موته في ليلة عرسه فرجع العابد إلى بيته وقص على زوجته ما قال النبي؛ فقالت زوجته: سألنا الله أن يرزقنا ولداً بدعاء النبي فنتمتع بحياته حتى إذا بلغ امتحنا به وفجعنا ولكن رضيً بقضاء الله؛ فقال الرجل: لقد أصبحنا عجوزين فمن يدري أننا ندرك بلوغه ولعل الله قبضنا إليه قبل محنة فراقه.

---

١ ـ كنز العمال: ١٥٩٨٢؛ ميزان الحكمة: ٣٠٣٦/٧، الصدقة، حديث ١٠٣٥٤.

٢ ـ كنز العمال: ١٦١١٣؛ ميزان الحكمة: ٣٠٣٨/٧، الصدقة، حديث ١٠٣٦٠.

ومضت من الشهور تسعة وانجبت المرأة صبياً بهي الطلعة وتحمّلا ما تحمّلا من عبء تربيته حتى بلغ سن الرشد والكمال؛ فطلب من أبويه ان يزوّجاه؛ فراحا يتعلّلان عليه حتى يتمتعا أكثر برؤيته ولكن الفتى راح يلحّ عليهما حتى وجدا له فتاة مناسبة تليق به؛ فلما كانت ليلة عرسه وزفافه جلسا يترقبان سهم الأجل، حتى يصيبه فيحيل العرس إلى مأتم، ولكن مضت الأمور على ما يرام حتى اصبح الصباح ثم اعقبه صباح وصباح ومضى اسبوع فانطلقا إلى النبي في صومعته، واخبراه فقال: واعجباً! إنّ ما قلته لم يكن من نفسي ولكن الهمت الهاماً، فانظروا إلى ولدكما ما فعل؛ فدفع عنه القضاء والأجل.

فهبط الملاك يقرؤه من الله السلام ويقول قل لوالديه إنّ القضاء كما قلت ولكن الشاب عمل خيراً؛ فدفع الله عنه القضاء وحماه ذلك الخير... انه في ليلة عرسه كان يتناول طعامه فمرّ شيخ محتاج وطرق عليه الباب وطلب طعاماً فدعاه الشاب وقدّم إليه طعامه، وقد استطيب الشيخ الطعام فلما انتهى رفع كفيه إليّ وقال: اللهم اطل في عمره وأنا ربّ العالمين قد أطلت عمره واضفت إليه ثمانين سنة حتى يعلم الناس أنه لا يضيع في حضرتي المحسنون ولا يخيب السائلون.

الفحش والبذاءة

اللسان من نعم الله سبحانه وبدونه لا يستطيع الانسان نطقاً ولا يحير كلاماً، ويستطيع الانسان أن يقول به خيراً فهو وسيلة ارشاد ونصح، به يتفاهم الناس ويتحاور المتحاورون وينشد المنشدون.

وهو مع ذلك كالسكين فمرّة تستعمل في ما فيه نفع الناس وخيرهم ومرّة ترتكب به الجرائم، فاللسان إذا استخدم في الغيبة والنميمة والبهتان ونشر الشائعات وقول الباطل والتفوه بالبذاءات فانه سيكون أخطر من سكين في أيدي

القتلة والمجرمين وقد قيل: اللسان جِرمه صغير وجُرمه كبير.

يقول سيدنا محمّد ﷺ:

إنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدم فِي لِسَانِهِ[١].

وجاء في الأثر ان من مؤشرات شراكة الشيطان في عمل الانسان هو الفحش في الكلام عند ما لا يعبأ الانسان بما يقول أو ما يقال فيه[٢].

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«ٱلبَذَاءُ مِنَ ٱلجَفَاءِ وَٱلجَفَاءُ فِي ٱلنَّارِ»[٣].

من قال فحشاً في أخيه المسلم رفع الله من رزقه البركة وأوكله إلى نفسه[٤].

---

١ ـ كنز العمال: ٥٤٩/٣.

٢ ـ الكافي: ٢٢٣/٢ باب البذاء، حديث ١.

٣ ـ الكافي: ٣٢٥/٢، باب البذاء، حديث ٩.

٤ ـ الكافي: ٣٢٥/٢، باب البذاء، حديث ١٣.

«اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ»

اغفر لي الذنوب التي تفتح عليّ أنواع البلايا يا الهي!

ذنوب تنزل البلاء

ان الذنوب التي تنزل البلاء ثلاثة:

١ ـ عدم اغاثة المكروب. ٢ ـ خذلان المظلوم. ٣ ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

عدم اغاثة المكروبين والملهوفين

يتعرض المرء في حياته إلى حوادث مؤسفة؛ خسارة مالية تعرضه إلى الافلاس، فقدان عزيز وبلاء من البلايا تدفعه إلى الاستغاثة بإخوانه في الدين يستنجد بهم للوقوف إلى جانبه.

إلى العاطفة الانسانية والاخلاق النبيلة والشهامة تقضي أن يهب أخوته إلى نجدته والتضامن معه من أجل التخفيف عن آلامه ونصرته.

إن الذين يسمعون استغاثة الملهوف والمكروب ثم لا يهبون إلى نصرته والوقوف إلى جانبه وهم قادرون على تقديم المساعدة والعون، إن اولئك ليسوا

من الانسانية في شيء؛ فضلاً عن انتمائهم إلى الاسلام دين الله الحنيف.

يقول رسول الانسانية سيدنا محمّد ﷺ:

«مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»[١].

وسمع الامام الصادق عليه السلام يقول:

«مَنْ نفّس عن مؤمن كربه نفّس الله عنه كُرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنّة ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم»[٢].

وسمع عليه السلام كذلك يقول:

«من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده فنفّس كربته وأعانه على نجاح حاجته كتب الله عزّوجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله، يعجل له واحدة يصلح بها أمر معيشته ويدّخر له إحدى وسبعين رحمة لأفزاع يوم القيامة وأهواله»[٣].

خذلان المظلوم

المظلوم هو أكثر الناس استحقاقاً للنصرة والتضامن، ولا شيء أكد عليه السلام أكثر من مقاومة الظلم ونصرة المظلوم والدفاع عنه.

وقد أوصى الامام اميرالمؤمنين عليه السلام وهو في اللحظات الأخيرة من حياته

١ ـ الكافي: ١٦٣/٢، باب الإهتمام بأمور المسلمين، حديث ١.
٢ ـ الكافي: ١٩٩/٢، حديث ٣.
٣ ـ الكافي: ١٩٩/٢، حديث ١.

لولديه الحسن والحسين وكل من سيبلغه كتابه أي أوصى جميع الاجيال عبر الزمن بمقاومة الظالم والدفاع عن المظلومين:

«كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً»[١].

أجل ان اروع شعار اسلامي يجسّده المسلم المؤمن هو مواجهة الظالم.

قال سيدنا محمّد ﷺ:

«مَنْ أَخَذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَالِمِ كانَ مَعي فِي الجَنَّةِ مُصاحِباً»[٢].

وعن الامام علي عليه السلام:

«أَحْسَنُ العَدْلِ نُصْرَةُ المَظْلُوم»[٣].

ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضتان في غاية الاهمية وهما من الواجبات الدينية التي يتوجب على كل من تتوفر فيه شروطهما النهوض واداء المسؤولية.

كما ان تضييع هاتين الفريضتين وتركهما، معصية وذنب كبير وسبب في نزول البلاء.

ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محور الاديان الالهية.

وقد نهض الأنبياء عبر التاريخ الانساني الطويل بهذه المسؤولية الخطيرة من أجل ترشيد حركة المجتمعات الانسانية وتصحيح مسار البشرية.

---

١ ـ نهج البلاغة: ٤٢١، الحكمة ٤٧.

٢ ـ بحار الأنوار: ٣٥٩/٧٢، باب ٨١، حديث ٧٤.

٣ ـ غرر الحكم: ٤٤٦، ١٠٢١٠؛ ميزان الحكمة: ٣٣٨٤/٧، الظلم، حديث ١١٤٨٠.

ان ترك هاتين الفريضتين وعدم القيام بهما يعني ايقافاً لحركة النبوّة ومسار الدين وسيؤدي إلى اضمحلاله وبالتالي انتشار الضلال وشيوع الفساد والجهل وخراب المدن وانحطاط المجتمعات الانسانية.

يقول القرآن الكريم:

﴿ وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

ويقول أيضاً:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ... ﴾[2].

وعن رسول الله ﷺ:

«لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعروفِ وَلَتَنهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أو لَيُسَلِّطَنَّ اللّهُ عليكُم شِرارَكُم ثُمَّ يَدعُو خِيارُكم فلا يُستَجابَ لَهُم»[3].

١ ـ سورة آل عمران: ١٠٤.

٢ ـ سورة التوبه: ٧١.

٣ ـ محجّة البيضاء: ٩٩/٤، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

«اَللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا»

واغفر لي يا الهي الخطايا والذنوب جميعاً.

عندما يرتكب الانسان معصية ما ولم تترك أثراً قويّاً في القلب، يعني أنه ارتكبها عن عدم ترصد واصرار فان ذلك ذنب، لأن القلب ما يزال يحتفظ بنقائه وسرعان ما يستعيد صفاءه وقد تنقشع عنه آثار الذنب كغيمة صيف عابرة. أما إذا استحال ارتكاب الذنب إلى ملكة، يعني تكرار المعصية في أي وقت وفي أي مكان، فان ذلك يتحول إلى خطيئة ولكل من الذنب والخطيئة دور في حجب اجابة الدعاء، أي توقف فاعلية الدعاء وقد تكون الخطيئة أحياناً سبباً في نزول البلاء.

ومع كل هذا يبقى الرجاء والأمل بالغفران، لأن هذا من الواجبات الحتمية على لانسان في إلّا يدع اليأس والقنوط يتسلل إلى قلبه وعليه أن يدعو دائماً ويسأل الله السميع المجيب أن يتجاوز عن ذنوبه وخطاياه ما ظهر منها وما بطن؛ قال الله تبارك وتعالى:

﴿لاتَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنوبَ جَميعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحيمُ﴾[1].

---

١ ـ سورة الزمر: ٥٣.

«اَللّٰهُمَّ إِنّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ»

بتسبيحك وتنزيهك يا الهي اتقرب إليك.

خرائب الهجران

ان انشداد القلب إلى المادّة، إلى الحدّ الذي يستحيل إلى حجاب بين العبد وربّه، والاستغراق في الشهوات والانغماس في الملذّات والانصراف كلّياً إلى متع الحياة والانقطاع نهائياً إلى أهل الغفلة وترك العمل الصالح والاسراف في الملبس والمأكل وتبذير الأموال والتساهل في أداء واجبات الشريعة الالهية والتلوّث بالحرام؛ إن كل هذا وغيره هو من مؤشرات الهجران تلك الخرائب الموحشة التي تعكس تدهور الصلة بين الانسان وربّه وخالقه.

خرائب مخيفة ليس فيها سوى الديدان والافاعي والحيّات وليس فيها سوى حيوانات المكر والخديعة والشيطنة.. خرائب تضج من ويل الغارات والكذب والرياء والغيبة والنميمة والبهتان وقول الزور.

مثقلة بالقذارات والدناءات والزنا والسرقات والخطايا.

خرائب تحكي كيف استولت الشياطين على كنوز الانسانية وكبلتها بالسلال والاغلال، ينوء فيها ابن آدم بعبء الخطيئة ويضجّ من القتل والغرور والحرص

والشهوة والخيانة والحسد والاحقاد.

خرائب تعجّ بالشياطين من الانس والجنّ وحيوانات كاسرة، في أهاب أدمي كاذب والجميع غارق في مستنقع الرذيلة والفسق والفجور، وتتكاثف فيها الظلمات فوقها فوق بعض!

أرض الوصال

من تلك الخرائب المظلمة الغارقة في أوحال الانحطاط، يهتف العقل ينادي بالهجرة والخلاص والرحيل إلى أرض النور والمحبّة والعشق.

وينطلق صوت من اعماق الفطرة التي هي مستودع السرّ الالهي..

صوت يهتف للرحيل والهجرة إلى أرض الانسان..

والانسان إلى أرض الصدق والأمامة والحقيقة والصفاء..

إلى أرض الحب والعبادة والشرف والكرامة الانسانية..

إلى أرض الزهد والقناعة والصبر والاستقامة والتقوى والحرّية من أسر السلاسل والأغلال. قال تبارك وتعالى مباركاً الهجرة إلى الحقيقة:

﴿ وَمَن يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى ٱللَّهِ وَرَسولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ وَكانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾[1].

الذكر

ان الباء في «بذكرك» تفيد السببية فيصبح المعنى يا الهي بسبب ذكرك اتقرب إليك.

---

١ ـ سورة النساء: ١٠٠.

ومعاني الذكر ثلاثة:

١ ـ الذكر القلبي. ٢ ـ القرآن. ٣ ـ الرسول ﷺ.

الذكر القلبي

وهو مضاد للغفلة، فالغافل من يبدد عمره ويبعثر سنوات حياته في المحرمات والمعاصي والخطايا بعيداً عن العبادة، التي ذكر الله فيما الغفلة استغراق في الحرام والشقاء.

ان القلب عندما يكون معبداً للرب ينبض بذكر الله ويسبح بحمده وثنائه ويشكر الله سبحانه أن أرسل له رسلاً وانزل عليه كتاباً وسراجاً منيراً، يهدي الضال ويرشد الحائر، ويهدي إلى الخير ويبلغ بالانسان درجات الكمال.

وعندما يضيء القلب بالتقوى، فانه ينبض بحب الله تبارك وتعالى ويصبح في حالة فريدة من تلقي الاشراق والوعي ويبلغ بالمرء إلى مرحلة الوصال والقرب من المحبوب الحق..

لقد غفل قوم يونس النبي ﷺ عن ذكر الله ثم منّ الله عليهم، أن أرسل إليهم نبياً منهم يذكّرهم بآيات الله فانتبهوا بعد غفلة واستيقظوا بعد رقاد.

وكاد العذاب أن ينقض عليهم ولكنهم استفاقوا في اللحظة الأخيرة، وهبّوا إلى الفلوات يمرغون وجوههم بالتراتب ويبكون نادمين ويسألون الله العفو والمغفرة فرحمهم الله وعفا عنهم وتجاوز عن خطاياهم.

وما أكثر الذين تمادوا في المعاصي والذنوب ثم تداركتهم رحمة من الله فتابوا فاغتسلوا بينابيع التوبة وتطهروا بدموع الندم، واشرق النور على قلوبهم؛ فاهتدوا بعد ضلال وسلكوا الطريق بعد طول تخبط في الظلمات.

وما يزال التاريخ يذكر وجوهاً مشرقة في الهجرة إلى النور؛ فتلك آسية

زوجة فرعون، وفتية آمنوا وهم أصحاب الكهف وبهلول النبّاش والحرّ الرياحي و..

ولكل منهم قصة فريدة في الانتقال من الظلمات إلى النور ومن الباطل إلى الحق.

القرآن الكريم

القرآن هو الذكر. قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

والقرآن الكريم يشتمل على المعارف والاحكام التي تضمن لمن عمل بها وأخذها بقوّة خير الدنيا وسعادة الآخرة.

القرآن كتاب الحياة وفيه تفصيل وبيان كل شيء.

والقرآن يأخذ بالانسان ويسلك به طريق الكمال والهداية والصلاح.

ان التدبّر في آيات القرآن مع ما في ذلك من الثواب والأجر الجزيل؛ فانه شفاء من كل داء، فهو الدواء النابع لداء الجهل الذي يصيب القلب، ولكن القرآن يستطيع معالجة هذا المرض الخطير ويحرّره من الظلام الدامس فيستحيل القلب إلى مركز اشعاع نوراني يشع بالمعرفة والعاطفة الانسانية النبيلة. ان العمل بالقرآن هو مصدر الحسنات ودافع السيئات والملاذ في الدنيا والشفيع في الآخرة، كما ان العمل بالقرآن يكفل للمجتمع حياة هادئة مطمئنة مفعمة بالفضيلة والقيم الأخلاقية الرفيعة.

وقد أثبت التاريخ كيف انقذ القرآن الكريم العرب في شبه الجزيرة من الضلال والضياع ووضعهم في طريق التقدّم الازدهار والحضارة والمدنية؛ كما

---

١ ـ سورة الحجر: ٩.

وانقذهم من السقوط في هاوية جهنم وفتح لهم أبواب الخلود في جنات الفردوس.

يقول سيدنا محمّد ﷺ:

«فَإذَا ٱلْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ ٱلفِتَنُ كَقِطَعِ ٱللَّيْلِ ٱلمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرآنِ فَإنَّهُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ وَمَنْ جَعَلَهُ أمَامَهُ قَادَهُ إلَى ٱلجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إلَى ٱلنَّارِ»(١).

وعن الامام السجاد عليه السلام قال:

«لَو مَاتَ مَنْ بَيْنَ ٱلمَشْرِقِ وَٱلمَغْرِبِ لَمَا ٱسْتَوْحَشْتُ بَعْدَ أن يَكُونَ ٱلقُرآن مَعِي»(٢).

وكيف يستوحش الانسان ومعه القرآن هدى ونور وطريق إلى الله الرحيم الغفور.

وكيف يستوحش من معه القرآن وهو روح وريحان وروض وجنان.

يقول عليه السلام أيضاً:

«آياتُ ٱلقُرآنِ خَزَائِنُ فَكُلَّمَا فُتِحَتْ خَزَانَةٌ يَنْبَغِي لَكَ أنْ تَنْظُرَ مَا فِيها»(٣).

النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام

يقول سيدنا باقر العلوم محمّد بن علي عليه السلام في ذيل رواية بالغة الاهمية حول مفاد الآية الكريمة من قوله تعالى:

---

١ ـ الكافي: ٥٩٨/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ٢.
٢ ـ الكافي: ٦٠٢/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ١٣.
٣ ـ كافي: ٦٠٩/٢، باب في قراءة القرآن، حديث ٢.

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[١].

«وَنَحْنُ ذِكْرُ ٱللّهِ وَنَحْنُ أَكْبَرُ»[٢].

ولا ريب ان المقصود بالذكر هو ذكر النبي ﷺ وآله الاطهار عليهم السلام وهم اثنا عشر اماماً ورثوا عن النبي ﷺ ميراث الايمان والخلق العظيم.

وهم مفسرو القرآن ومن لهم القدرة على بيان احكامه. وهم كنوز الايمان ومظاهر صفات الله واسمائه، وهم عدل القرآن والثقل الذي أوصى به رسول الرحمان.

وقد تواتر عنه ﷺ قوله: يوشك أن أدعى فاجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي[٣].

ان الالتفات إلى هذه الحقيقة وهي ان تطهير القلب من الرذائل وغسله من القبائح واستحضار المفاهيم المعنوية للاسماء الحسنى والصفات المثلى للحق تبارك وتعالى وصونها من وساوس شياطين الانس والجن واداء الفرائض في وقتها والمبادرة إلى الاعمال الصالحة بشرط أن يكون كل ذلك لله سبحانه وفي سبيل الله وهذا هو الذكر، حيث لا أحد في قلب المؤمن سواه ولا يرى شيئاً إلّا ورأى الله عزوجل ولا يحب شيئاً سوى الله.

لأن المؤمن ﴿ أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾[٤] والمؤمنون ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن

---

١ ـ سورة العنكبوت: ٤٥.

٢ ـ الكافي: ٥٩٨/٢، كتاب فضل القرآن، حديث ١.

٣ ـ ورد هذا الحديث الشريف كل متواتراً في كتب الحديث لدى الفريقين.

٤ ـ سورة البقرة: ١٦٥.

ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[١].

وعند ما يبلغ الانسان هذه المرحلة يكون في مأمن من همزات الشياطين، ولا توجد بعد ذلك قوّة يمكن أن تصرف الانسان عن ربّه وخالقه لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً.

يقول مولى المتقين ويعسوب المؤمنين علي أميرالمؤمنين:

«ما رَأَيْتُ شَيئاً إلّا وَرَأيتُ اللّهَ قَبْلَهُ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ».

ومن يبلغ هذه المرحلة تغمره السكينة والطمأنينة والسلام؛ فتراه كالجبل في ثباته والندى في صفائه والريحان في عطره وعبيره وشذاه.

لأن العاشق لا يرى شيئاً سوى المعشوق ولا هم له سوى رضاه.

وهل هناك من هول أكبر من يوم عاشوراء وقد زلزلت الأرض زلزالها ولكن الحسين عليه السلام سبط النبي صلى الله عليه وآله كان يقول في قلب الاعصار المجنون:

«إلهي! رضاً بِقَضائِكَ صَبراً عَلى بَلائِكَ تَسليماً لِأَمْرِكَ لامَعبُودَ لِي سِواكَ».

---

١ ـ سورة النور: ٣٧.

« وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَىٰ نَفْسِكَ »

وهل هناك شفيع غيرك فلا شفاعة إلّا باذنك اشفع لي يا الهي.

ان هذا المقطع المؤثر من الدعاء يشير إلى هذه الحقيقة وهي:

أولاً: ان الداعي قد بلغ ذروة الانقطاع إلى الله عما سواه، وقد قطع أمله بكل شيء وبكل سبب إلّا الله عزوجل، فالقلب متجه بكلّيته إلى الله وحده وقد بلغ الايمان به حالة من الشهود والحضور بحيث لا يشعر بشيء غيره.

فالشفاعة له من عنده والشفيع الذي لا شك في قبوله الشفاعة.

ثانياً: انه يعبر عن مشاعر انسان غارق في ذنوبه وآثامه بحيث لا تنفعه شفاعة الشافعين؛ فلا شفيع له سوى الله عزوجل ولن ينجيه من مصيره البائس إلّا الله عزوجل. وفي هذا منتهى التذلل لله تبارك وتعالى.

معنى الشفاعة

الشفاعة كما يقول أهل المعرفة نصرة القوي للضعيف العاجز وهذا الانسان الضعيف العاجز ينطوي على قدر من المعرفة والايمان والعمل الصالح والاخلاق الحسنة.

ولكن ضعفه هو الذي جعله يترلق في المعصية، كما ان الذنوب التي اقترفها لم

تطفئ حبه لله والايمان به والقيام بالعمل الصالح؛ بل انه اقترف بعض الذنوب التي حالت دون وصوله إلى التكامل ومن ثم بلوغ رضوان الله ودخول الجنّة.

ولهذا ومن رحمة الله عزوجل للخاطئين والمذنبين أن جعل سبحانه الشفاعة لمن عصاه من أهل الايمان نافذة أمل كبرى للصفح يوم القيامة ودخول الجنّة.

فالشفاعة اذن يوم القيامة لا تنال الكافرين والمشركين والمعاندين والمنافقين وقد بين الله عزوجل ذلك في كتابه الكريم:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[1].

الشفاعة مظهر عظيم من الرحمة الالهية حيث تقصر بالانسان الاعمال يوم القيامة؛ فهو لا يستحق الجنّة وربّما يستحق دخول النار وهنا تأتي الرحمة الالهية بالشفاعة للمذنبين والذين ارتكبوا بعض المعاصي والخطايا والذنوب، فتشملهم آخر دفعة من الشفاعة تزحزحهم عن النار وتدخلهم الجنّة.

شروط الشفاعة

من خلال الآيات القرآنية والروايات الواردة عن ائمة الهدى عليهم السلام ان الشفاعة لا تنال إلّا من أوتي نصيباً من الايمان والعمل الصالح فتكون الشفاعة جبراً لضعفه وزخماً جديداً في روحه فينجو من النار ويدخل الجنّة.

---

١ ـ سورة المدثر: ٣٨ ـ ٤٨.

الشفعاء في الدنيا والآخرة

من خلال الآيات والروايات ان الشفعاء في الدنيا والآخرة حيث شفاعتهم سبب في الهداية والنجاة وعامل في النمو والكمال وباعث في بلوغ الانسان رحمة الله وغفرانه وعفوه كما يلي:

الايمان، العمل الصالح، التوبة، القرآن، الأنبياء، الائمة، الشهداء، المؤمنون حقا، العلماء الربانيون، لأن كل ما ذكر هو من اهتداء الكفار والمشركين ونجاتهم في الدنيا من ظلمات الكفر والشرك فببركتهم اصبحوا مؤمنين وموحدين واصبحوا بعد الجهل عارفين.

من هنا فان ما ذكرناه من عوامل النجاة في الدنيا ستكون عوامل شفاعة يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين فالشفاعة لها مساحتها ودورها في التكوين والطبيعة والتشريع وهي من أصل أصول الاسلام من انكرها خرج عن دائرة الاسلام.

شفاعة الايمان

﴿ يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ نُوراً تَمْشونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُم وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

شفاعة العمل الصالح

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحاتِ لَهُم مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

---

١ ـ سورة الحديد: ٢٨.

٢ ـ سورة المائدة: ٩.

شفاعة التوبة

عن معاوية بن وهب قال سمعت أباعبدالله الصادق عليه السلام قال:

«إذا تاب العبد توبة نصوحاً احبه الله فستر عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي (الله) إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض ان اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله عزوجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»(١).

شفاعة القرآن

«إِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرآنِ فَإِنَّهُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ وَماحِلٌ مُصَدَّق»(٢).

١ ـ الكافي: ٤٣٦/٢، باب التوبة، حديث ١٢.
٢ ـ وسائل الشيعة: ١٧١/٦، باب استحباب التفكر، حديث ٧٦٥٧.

«وَأَسْأَلُكَ بِجُودِكَ»

«أَنْ تُدْنِيَنِي مِنْ قُرْبِكَ وَأَنْ تُوزِعَنِي شُكْرَكَ وَأَنْ تُلْهِمَنِي ذِكْرَكَ»

الهي! خذني إليك حتى اكون قريباً منك وليكن اسمك في قلبي وشكرك على لساني يا رب!

وفي هذا المقطع من الدعاء يسأل أميرالمؤمنين ثلاث درجات في طريق السالكين إلى الله عزوجل:

١. الوصول إلى منزلة القرب.

٢. بلوغ مرتبة الشكر.

٣. الوصول إلى درجة الذكر.

ومن المؤكد ان بلوغ هذه المراتب الرفيعة لا يمكن تحقيقه إلّا من خلال الجود الالهي والكرم المطلق.

فمن دون الفيض الالهي الذي ينعكس في اعماق العبد شوقاً ورغبة لا يمكن أن يتقدم السالك إلى الله تبارك وتعالى خطوة واحدة.

ان جود الله سبحانه وكرمه وسخاءه هو الذي يوفق العبد لاختراق الحجب الظلمانية وطوي المراحل في بلوغ المراتب العالية وما الدعاء الذي يطلقه الداعي من اعماق قلبه إلّا نفحة حب ازلية تغمر العبد المؤمن فيوفق للدعاء.

ان دعاء عرفة لسيدنا الحسين عليه السلام سبط رسول الله صلى الله عليه وآله يزخر بهذه المعارف التي تبين الكرم والجود الالهي.

«فلك الحمد والشكر يا من أقال عثرتي ونفّس كربتي وأجاب دعوتي وستر عورتي وغفر ذنوبي وبلّغني طلبتي ونصرني على عدوّي وأن أعدّ نعمك ومننك وكرائم منحك لا أحصيها يا».

مولاي أنت الذي مننت أنت الذي أنعمت أنت الذي احسنت أنت الذي أجملت أنت الذي أفضلت أنت الذي أكملت أنت الذي رزقت أنت الذي وفقت أنت الذي أعطيت أنت الذي أغنيت أنت الذي أقنيت أنت الذي آويت أنت الذي كفيت أنت الذي هديت أنت الذي عصمت أنت الذي سترت أنت الذي غفرت أنت الذي أقلت أنت الذي مكّنت أنت الذي أعززت أنت الذي عضدت أنت الذي أيّدت أنت الذي نصرت أنت الذي شفيت أنت الذي عافيت أنت الذي اكرمت تباركت وتعاليت فلك الحمد دائماً ولك الشكر واجباً»[1].

ان هذا المقطع من الدعاء الكريم يقطر اعترافاً بالكرم والجود الالهي.

ومن يقرأ دعاء أبي حمزة الثمالي وهو من أدعية الامام السجاد عليه السلام يجد اشارة واضحة إلى هذه الحقائق الساطعة:

«سَيِّدِي أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ، وَأَ نَا الْجاهِلُ الَّذِي عَلَّمْتَهُ، وَأَ نَا الضَّالُّ الَّذِي هَدَيْتَهُ، وَأَ نَا الْوَضِيعُ الَّذِي رَفَعْتَهُ، وَأَ نَا الْخائِفُ الَّذِي آمَنْتَهُ، وَالْجائِعُ الَّذِي أَشْبَعْتَهُ، وَالْعَطْشانُ الَّذِي أَرْوَيْتَهُ، وَالْعارِي الَّذِي كَسَوْتَهُ، وَالْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتَهُ، وَالضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتَهُ، وَالذَّلِيلُ الَّذِي أَعْزَزْتَهُ، وَالسَّقِيمُ الَّذِي شَفَيْتَهُ، وَالسَّائِلُ الَّذِي أَعْطَيْتَهُ، وَالْمُذْنِبُ الَّذِي سَتَرْتَهُ، وَالْخاطِئُ الَّذِي أَقَلْتَهُ، وَأَ نَا الْقَلِيلُ الَّذِي

---

١ ـ مفاتيح الجنان/دعاء عرفة.

كَثَّرْتَهُ، وَالْمُسْتَضْعَفُ الَّذِي نَصَرْتَهُ، وَأَنَا الطَّرِيدُ الَّذِي آوَيْتَهُ»[١].

أجل لو لا هذا الكرم المطلق والجود اللانهائي ما تمكن الانسان من السير إلى الله في طريق القرب الالهي.

مقام القرب

وهو أعلى مرتبة وآخر درجة يمكن أن يبلغها السالك في طريقة إلى الله وهذا لا يتحقق إلّا من خلال العمل الصالح واجتناب كل ما هو محرّم حيث التقوى والورع شعار الانسان في كل شؤون حياته والمحافظة على استقامته في كل الظروف والاحوال ان طاعة الله والانقطاع إلى عبادته سبحانه هي التي تيسّر بلوغ العبد إلى مقام القرب الالهي حيث تتجلّى حقيقة التوحيد في كل تفاصيل حياته ويصل المرء حالة الفناء فتكون ارادته هي ارادة الله عزوجل وهذا ما يصرّح به الحديث القدسي:

«عَبدِي! أَطِعنِي حَتّى أَجْعَلَكَ مِثلِي، أقولُ لِشَيءٍ: كُنْ، فَيَكُونُ. تَقُولُ لِشَيءٍ: كُنْ، فَيَكُونُ»[٢].

وجاء في حديث آخر:

«أَنَا مَلِكٌ حَيٌّ لَا أَمُوتُ أَبَداً، عَبدِي أَطِعْنِي أَجْعَلكَ مَلِكاً حَيّاً لَا يَمُوتُ أَبَداً»[٣].

ان اهل المعرفة يعتقدون ان الهدف من جميع الطاعات والعبادات سواء كانت طاعات بدنية أو قلبية، ظاهرية أو باطنية، إنما هي الوصول إلى مقام القرب

---

١ ـ مفاتيح الجنان/دعاء أبي حمزة الثمالي.
٢ ـ انيس الليل: ١٥٢.
٣ ـ روح البيان.

الالهي، لأن العبد يقصد في كل اعماله القربة وانقياد ارادته إلى ارادة الحق تبارك وتعالى؛ يعني فناء ارادته في ارادة الرب بحيث لا تبقى ارادة إلّا ارادة الله عزوجل.

والمسالك يخطو في طريق الطاعة صوب الحق تغمره رحمة من الله وتعضده اسماؤه الحسنى واوصافه العليا ولهذا جاء في الحديث القدسي:

«مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، مَنْ أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(١).

اجل ان غاية الطاعة والعبادة هو بلوغ العبد مولاه وقرب المولى من العبد وهو ما عبّر عنه في الروايات بـ«مقام القرب».

ان أهل المعرفة والعاشقين يعتبرون كل افعال المقربين وصفاتهم قد ذابت تماماً وفنيت في افعال الله عزوجل وصفاته وهذا ما نجده في مفاد الآيات القرآنية والاحاديث القدسية والروايات المعتبرة الواردة عن سيدنا محمّد ﷺ وأهل بيته الاطهار:

«إِنَّ ٱللّٰهَ يَقولُ: لايَزَالُ عَبدٌ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَأكونُ أَنَا سَمعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِه، وَبَصَرَهُ ٱلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسانَهُ ٱلَّذِي يَنْطِقُ بِه، وَقَلْبَهُ ٱلَّذِي يَعْقِلُ بِه، فَإِذَا دَعَانِي أَجَبْتُه، وَإِذَا سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ»(٢).

وجاء في الأثر الشريف، قال النبي ﷺ:

«كَلامُ ٱلْمُتَّقِينَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْوَحْيِ مِنَ ٱلسَّماءِ، إِذَا وُجِدَتْ كَلِمَةٌ عَلَى لِسانِ بَعضِهِم

١ ـ مستدرك الوسائل: ٢٩٨/٥، باب استحباب ذكر الله، حديث ٥٩١٠؛ نفحات الليل: ٦٦.
٢ ـ كنز العمال: ١١٥٥.

فَقِيلَ لَهُ: مَن حَدَّثَكَ بِهَذِهِ؟ فَيُقولُ: حَدَّثَنِي قَلْبِي عَنْ فِكْرِي عَنْ سِرِّي عَنْ رَبِّي»[١].

ولقد بلغ سيدنا محمّد ﷺ ذروة هذا المقام. من أجل هذا روي عنه أنه قال:

«مَن رَآنِي فَقَدْ رَأى الحَقَّ»[٢].

وعنه ﷺ أيضاً قال:

«لِي مَعَ اللهِ وَقْتٌ لَا يَسَعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ»[٣].

ويلي سيدنا محمّد ﷺ في بلوغ هذه المرتبة الرفيعة وصيّه وخليفته من بعده سيدنا علي عليه السلام وقد روي عنه قوله:

«مَعْرِفَتِي بِالنُّورانِيَّةِ مَعْرِفَةُ اللَّه»[٤].

كرامات مقرّبين

١ ـ كرامة للحاج السيد علي القاضي

مرض استاذي الكبير المرحوم الحاج الشيخ ابو الفضل النجفي الخونساري وكنت اتتلمذ على يديه سنوات طويلة، فعدته وكان ذلك قبل وفاته رحمه بشهور وأنا جالس قرب فراشه طلبت منه أن يروي لي كرامة من كرامات استاذه السيد علي القاضي رحمه الله فقال:

ذات ليلة اصطحبني الاستاذ مع جمع من تلامذته ومريديه إلى مسجد الكوفة للدعاء والمناجاة وطلب الحاجات من الله تبارك وتعالى.

---

١ ـ بحر المعارف: ٤٠/١.
٢ ـ بحار الأنوار: ٢٣٤/٥٨، باب ٤٥، في رؤية النبى، حديث ١؛ نفحات الليل: ٦٦.
٣ ـ بحار الأنوار: ٣٦٠/١٨، باب ٣؛ نفحات الليل: ٦٧.
٤ ـ بحار الأنوار: ١/٢٦، باب ١٤، حديث ١؛ نفحات الليل: ٦٧.

وكنا إلى جانب استاذنا مستغرقين في العبادة والصلاة ولمّا اوشكنا على الخروج ومغادرة المسجد ظهرت لنا أفعى مخيفة وفزعنا جميعاً إلّا استاذنا المرحوم فقد كان في طمأنينة كاملة والتفت جهة الأفعى وقال: موتي.

وفجأة رأينا الافعي تتصلّب كالخشبة في مكانها فغادرنا المسجد.

وبعد خطوات فكر أحد الاصدقاء بالعودة ليتأكد فيما يبدو من موت الأفعي فوجدها ميتة، والتحق بنا وانطلقنا عائدين إلى النجف الاشرف.

فجأة التفت الاستاذ إلى تلميذه الذي عاد وقال:

لقد ماتت الأفعي لحظة قلت لها موتي فلم عدت تتفحص ذلك وتتأكد من موتها؟!

٢ ـ حكاية أخرى

حكى الميرزا طاهر التنكابني وهو من فلاسفة عصره قائلاً: خرجت من مدرسة «سبهسار» الواقعة في ميدان «بهارستان» بطهران لانجاز عمل ما فلما عبرت إلى الجانب الآخر من الشارع رأيت وجهاً ليس غريباً علي فلما دققت فيه إذا هو أحد زملائي في المدرسة فيما مضى فبادرت إليه وعانقته بشوق وسألته: ما ذا تفعل هنا؟

قال: كما ترى اتسكع!

قلت: اذن أنت ضيفي هذه الليلة لنذهب إلى حجرتي في المدرسة. ولبّى الدعوة وكان الجو بارداً فجلسنا إلى الكرسي[1].

---

١ ـ يضع الايرانيون تحت منضدة صغيرة وقصيرة القوائم موقداً ثم يغطون المنضدة بلحاف ويتحلق أفراد العائلة حول المنضدة وقد أدخلوا ارجلهم تحت اللحاف التماساً للدفء، ويقضون شطراً من الليل في تجاذب أطراف الحديث. (المترجم).

ورحنا نرتشف الشاي ونتبادل اطراف الحديث، فقال لي أثناء ذلك: هل ترغب في الذهاب معي إلى قم؟ قلت: الجو باردٌ جداً ثم من أين نحصل على من يأخذنا إلى قم؟! ولكنه اصرّ فقلت: سآتي معك. فجأة قال: وهذه قم كما ترى!!

وجدت نفسي داخل مرقد السيدة فاطمة المعصومة وحتى اطمئن إلى أن ما أراه حقيقة وضعت «تربة الصلاة» في جيبي؛ وبعد أن زرنا قال: هذه طهران فوجدت نفسي جالساً إلى الكرسي في حجرتي وكانت التربة في جيبي!

٣ ـ كرامتان لجابر الجعفي

جاء قوم إلى جابر الجعفي وكان من أصحاب الامام الصادق عليه السلام فسالوه أن يعينهم في بناء مسجدهم؟ قال: ما كنت بالذي أعين في بناء شيء يقع منه رجل مؤمن فيموت، فخرجوا من عنده وهم يبخلونه ويكذبونه؛ فلما كان من الغد اتمّوا الدراهم ووضعوا أيديهم في البناء، فلما كان عند العصر زلّت قدم البنّاء فوقع ومات فعلموا حينئذٍ ان الرجل له كرامة عند الله[١].

ويروي العلاء بن يزيد عن رجل من جعفي قال: خرجت مع جابر لما طلبه هشام حتى انتهى إلى السواد، قال: فبينا نحن قعود وراع قريب منا اذ لفتت نعجة من شائه إلى حمل، فضحك جابر، فقلت ما يضحكك أبا محمّد؟ قال: ان هذه النعجة دعت حملها فلم يجيء، فقالت له: تنح عن ذلك الموضع فان الذئب عاما أول أخذ أخاك منه.

فقلت لأعلمن حقيقة هذا أو كذبه، فجئت إلى الراعي فقلت له: يا راعي تبيعني هذا الحمل؟ فقال: لا، فقلت ولم؟ قال: لأن أمّه أفره شاة في الغنم واغزرها

١ ـ رجال الكشي: ١٧١.

درّة، وكان الذئب أخذ حملاً لها عند عام الأول من ذلك الموضع؛ فما رجع لبنها حتى وضعت هذا فدرّت؛ فقلت: صدق ثم اقبلت فلما صرت على جسر الكوفة نظر إلى رجل معه خاتم ياقوت، فقال: يا فلان خاتمك هذا البراق أرنيه. قال: فخلعه فأعطاه، فلما صار في يده رمى به في الفرات، قال الآخر: ما صنعت؟ قال: تحب أن تأخذه؟ قال: نعم قال: فقال بيده إلى الماء، فأقبل المال يعلو بعضه على بعض حتى إذا قرب تناوله وأخذه(١).

مقام الشكر

وهو من المقامات الرفيعة العالية، والتي يحرص السالكون على بلوغها ولأهمية هذه الدرجة الرفيعة فقد بلغها قليلون جداً:

﴿ وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾(٢).

ويقول المحدّث العلامة المجلسي في الشكر:

«اَلشُّكْرُ اَلاعْتِرافُ بِالنِّعْمَةِ ظَاهِراً وَبَاطِناً وَمَعْرِفَةُ اَلمُنْعِمِ وَصَرْفُها فِيمَا أُمِرَ بِهِ»(٣).

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«شُكْرُ اَلنِّعْمَةِ إجْتِنابُ اَلمَحارِمِ»(٤).

واختتم سيدنا الحسين خطابه في يوم عاشوراء الطويل قائلاً:

---

١ ـ رجال الكشي: ٤٤٥ ـ ٤٤٦، طبع دار احياء التراث.
٢ ـ سورة السبأ: ١٣.
٣ ـ بحار الأنوار: ٢٦٨/٦٤، باب ١٤، حديث ١.
٤ ـ الكافي: ٩٥/٢، باب الشكر، حديث ١٠.

«فَاجْعَلْنَا مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ»[1].

ويقسم الراغب الاصفهاني الشكر إلى ثلاثة أقسام:

قلبي، لساني وعملي.

فالقلبي معرفة المنعم والنعمة.

واللساني الاعتراف والاقرار بالنعمة.

والعملي صرفها فيما أمر به المنعم.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام: أن الله عزوجل أوحى إلى موسى عليه السلام:

«يا مُوسىٰ! اُشْكُرنِى حَقَّ شُكْرِى. فَقالَ: يَا رَبِّ! وَكَيْفَ أَشْكُرُكَ حَقَّ شُكْرِكَ وَلَيْسَ مِن شُكْرِكَ إِلّا وَأَنْتَ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ؟ قَالَ: يَا مُوسىٰ! الآنَ شَكَرْتَنِى حَيث عَلِمْتَ أَنَّ ذلِكَ مِنّي»[2].

وجاء في دعاء سيدنا الحسين يوم عرفة:

«وَلَوْ حَرَصْتُ أنا وَالعادُّونَ مِن أنامِكَ أن أُؤَدِّيَ شُكرَ واحِدَةٍ مِنْ أنعُمِكَ ما اسْتَطَعْتُ إلّا بِتَوفِيقِكَ»[3].

ويناجي داود النبي عليه السلام الله عزوجل بقوله:

«يا رَبِّ! كَيْفَ أشكُرُكَ وَالشُّكْرُ نِعمَةٌ أخرى مِنْكَ أحتاجُ إلَيها إلى شُكرٍ آخَرٍ؟ فَقالَ اللّٰهُ: يَا داوُدُ إذَا عَلِمتَ أنَّ ما بِكَ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنّي، فَقَد شَكَرْتَني».

وهذا غيض من فيض من كثير من الروايات في بيان الشكر اللساني غير ان

١ ـ الارشاد: ٢/ ٩١.

٢ ـ الكافي: ٢/ ٩٨، باب الشكر، حديث ٢٧، با كمي اختلاف؛ نفحات الليل: ٦٨.

٣ ـ مفاتيح الجنان/دعاء عرفة.

أعظم الشكر وأجلّه هو الشكر العملي من خلال تجسيد الايمان الحقيقي والقيام بالأعمال الصالحة والتحلّي بالأخلاق الكريمة والورع عن محارم الله.

عن مسمع بن عبدالملك قال: كنا عند أبي عبدالله بمنى وبين ايدينا عنب نأكله، فجاء سائل فسأله فأمر بعنقود فأعطاه؛ فقال السائل: لا حاجة لي في هذا إن كان درهم!

قال: يسع الله عليك، فذهب ثم رجع فقال: ردّوا العنقود فقال: يسع الله لك ولم يعطه شيئاً.

ثم جاء سائل آخر، فأخذ أبوعبدالله عليه السلام ثلاث حبّات عنب فناولها إيّاه فأخذها السائل من يده ثم قال: الحمد لله ربّ العالمين الذي رزقني. فقال ابوعبدالله عليه السلام مكانك فحثا ملء كفيه عنباً فناولها ايّاه، فأخذها السائل من يده ثم قال: الحمد لله الذي رزقني، قال أبو عبدالله مكانك ونادى على غلامه: يا غلام أي شيء معك من الدراهم؟ فإذا معه نحو من عشرين درهماً فيما حزرناه أو نحوها فناولها اياه فأخذها ثم قال: الحمد لله، هذا منك وحدك لا شريك لك فقال أبوعبدالله: مكانك فخلع قميصاً كان عليه؛ فقال: البس هذا، فلبسه فقال الحمد لله الذي كساني وسترني يا أباعبدالله أو قال جزاك الله خيراً، لم يدع لأبي عبدالله عليه السلام إلّا بهذا ثم انصرف، فذهب قال: فظننا انه لو لم يدعُ له لم يزل يعطيه لأنه كلما كان يعطيه حمد الله أعطاه[1].

مقام الذكر

ان الذكر الذي يُلهمه العبد بعد تطهير القلب يختلف عن الذكر الذي ورد في

---

١ ـ بحار الأنوار: ٤٢/٤٧، حديث ٥٦.

الدعاء. فالذكر الالهامي، هو أساس السعادة في الدنيا والآخرة والسبب في بلوغ الحقائق التي يقصر عن بلوغها الغافلون.

الذكر الالهامي، ذكر الحال لا ذكر القيل والقال، لأن ذكر القول هو لعب بالألفاظ وذكر الحال هو عروج القلب إلى رحاب يعيده المنال إلّا لمن أراد الوصال.

ان ذكر الحال يفتح بصيرة الانسان فيرى جمال الحق وحينئذ يهيم العبد عشقاً من أجل لقاء المحبوب ومن أجل ذلك هتف سيدنا الحسين في الظهيرة العظمى من يوم عاشوراء:

تركت الخلق طُرّاً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني بالحب ارباً لما مال الفؤاد إلى سواكا

الذكر الالهامي هو ما جعل سيدنا سيد الساجدين علي بن الحسين يناجي محبوبه ومعشوقه قائلاً:

وآنسنا بالذكر الخفي واستعملنا بالعمل الذكيّ والسعي المُرضيّ[1].

وهذا ما أشار إليه سيدنا محمّد ﷺ في قوله:

«لَا يَزَالُ الْمُؤمِنُ الَّذِى يَذكُرُ اللّهَ فِى كُلِّ حَالٍ فِى أَنْوَارٍ خَمْسَةٍ: مَدْخَلُهُ نُورٌ، وَمَخْرَجُهُ نُورٌ، وَكَلامُهُ نُورٌ، وَغَذَائُهُ نُورٌ، وَمَنْظَرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَى النُّورِ»[2].

وليس هناك شيء أحلى لأهل المعرفة والسالكين في طريق الحب الألهي من ذكر الله، وهذا لا يتيسر للعبد حتى يقطع علائقه الدنيوية ويخترق الحجب الحيوانية، ويتطهّر بالعبادات الظاهرية والباطنية ويجتنب المعاصي ويتنزّه عن الاخلاق السيئة.

---

١ ـ الصحيفة السجادية/المناجاة ١٣.

٢ ـ الخصال: ١/٢٧٧، المؤمن يتقلّب...، حديث ٢٠.

«اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ سُؤَالَ خَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خَاشِعٍ، أَنْ تُسَامِحَنِي»
«وَتَرْحَمَنِي، وَتَجْعَلَنِي بِقِسْمِكَ رَاضِياً قَانِعاً، وَفِي جَمِيعِ ٱلأَحْوَالِ مُتَوَاضِعاً»

أتذلل في حضرتك وكلّي خشوع.. أسألك العفو والرحمة والقناعة بنصيبي يا الهي!

ان الدعاء المنقوع بالدموع والخشوع، حيث القلب مفعم بالذكر وقد غمرت سكينة الليل كل الاشياء، يوشك أن يخترق الحجب ويصل حضرة الحق.

قال الله عزوجل: لنبيّه موسى بن عمران:

«يَابْنَ عِمْرَانَ! هَبْ لِي مِنْ قَلْبِكَ ٱلْخُشُوعَ، وَمِنْ بَدَنِكَ ٱلْخُضُوعَ، وَمِنْ عَيْنَيْكَ ٱلدُّمُوعَ فِي ظُلَمِ ٱللَّيْلِ، وَٱدْعُنِي فَإِنَّكَ تَجِدُنِي قَرِيباً مُجِيباً»[1].

ويصل الداعي في هذا المقطع من الدعاء إلى حالة روحية تتجسد فيها هذه المعاني السامية:

الشعور بالأخوة ومدارة الناس.

الرحمة والرأفة.

القناعة بما رزقه الله.

التواضع والخشوع والخضوع في كل ظروف حياته.

---

١ ـ بحار الأنوار: ١٤/٦٧، باب ٤٣، حديث ٢.

وعلى الداعي أن يدرك هذه الحقيقة دون أدنى شك أو ترديد:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾[١].

١ـ الشعور بالأخوة

حذر الدين السلامي الحنيف اتباعه والمؤمنين به من كل العلاقات السلبية والشاعر غير السويّة، تجاه من هم في واقع الأمر اخوته في الدين والانسانية ودعاهم إلى علاقات أخلاقية مفعمة بمشاعر الأخوة والرحمة والانسانية؛ فقد حث الجميع على أداء الحقوق والقيام بالواجبات المتبادلة معتبراً ذلك التزاماً أخلاقياً وشرعياً يتحمل منتهكها المسؤولية الكاملة؛ فيما يتعرض له من عواقب في الدنيا والآخرة.

ان ارساء آصرة الأخوة والعلاقة الروحية من ثمار تزكية النفس لأن الرذائل الأخلاقية من قبيل الغرور التكبر والأنانية والحرص والبخل والحسد سدود كبيرة، تقطع الطريق على ارساء آصرة الأخوة الإسلامية.

وقد جاء في الحديث النبويّ الشريف عن سيدنا محمّد ﷺ قوله:

«لَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ ٱللّهِ إِخْوَاناً. الْمُسلمُ أَخُ الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْرِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ»[٢].

وعنه ﷺ:

«مُدَارَاةُ ٱلنَّاسِ نِصْفُ الإِيمَانِ وَٱلرِّفْقُ بِهِم نِصْفُ الْعَيْشِ»[٣].

---

١ ـ سورة الاسراء: ٧.

٢ ـ محجّة البيضاء: ٣٢٩/٣، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

٣ ـ محجّة البيضاء: ٤٠١/٣، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة.

وعنه ﷺ أيضاً:

«رَحِمَ اَللّهُ اَمْرءً سَهْلَ اَلبَيْعِ، سَهْلَ اَلشِرَاءِ، سَهْلَ اَلإِقْتِضَاءِ»[١].

وعنه ﷺ كذلك:

«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَو تَرَكَ حَاسَبَهُ اَللّهُ حِسَاباً يَسِيراً»[٢].

وروي عن النبي ﷺ:

«إنّ رجلاً كان مسرفاً على نفسه حوسب فلم توجد له حسنة، فقيل له هل عملت خيراً قط؟ فقال: لا، إلّا أنّي كنت رجلاً أداين الناس، فأقول لفتياني سامحوا الموسرين، وأنظروا المعسرين ـ وفي لفظ آخر ـ تجاوز عن المعسر، فقال الله تعالى: فنحن أحق بذلك منك، فتجاوز الله عنه وغفر له»[٣].

والأخوة درجة عالية من العلاقات الانسانية وقد تصل في التزامتها الأخلاقية إلى أشدّ العقود الاجتماعية حساسية وهي عقد الزواج «فكذا عقد الاخوة فلأخيك عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف وذلك يجمعه ثمانية حقوق:

الأوّل في المال: قال رسول الله ﷺ:

«مثل الأخوين مثل اليدين يغسل إحداهما الاخرى».

١ ـ محجّة البيضاء: ١٨٦/٣، كتاب آداب الكسب والمعاش.
٢ ـ محجّة البيضاء: ١٨٦/٣، كتاب آداب الكسب والمعاش.
٣ ـ محجّة البيضاء: ١٨٦/٣، كتاب آداب الكسب والمعاش.

وإنّما شبههما باليدين لا باليد والرِّجل لأنّهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الأخوان إنّما تتمُّ أخوَّتهما إذا ترافقا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السرّاء والضرّاء والمشاركة في الحال والمال وارتفاع الاختصاص والاستيثار، والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب:

أدناها أن تنزله منزلة عبدك وخادمك فتقوم بحاجته من فضل مالك فإذا طرأت له حاجة وكانت عندك فضلة على حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال فهو غاية التقصير في الأخوة.

الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إيّاك في مالك ونزوله منزلتك حتّى تسمح بمشاطرته على المال؛ فقد قيل: كان أحدهم يشقُّ إزاره لأخيه نصفين.

الثالثة وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدّم حاجته على حاجتك، فهذه رتبة الصدّيقين ومنتهى درجات المتحابّين، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً، كما روي أنّه سعي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبوالحسين النوري فبادر إلى السيّاف ليكون هو أوّل مقتول؛ فقيل له في ذلك فقال: أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللّحظة؛ فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة.

فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرّتب مع أخيك فاعلم أنّ عقد الاخوة لم ينعقد بعد في الباطن وإنّما الجاري بينكما مخالطة رسميّة لا وقع لها في العقل والدّين، فقد قال ميمون بن مهران: من رضي من الإخوان بترك الإفضال

فليواخ أهل القبول وأمّا الدرجة الدّنيا فليست أيضاً مرضية عند ذوي الدين[١].

وجاء في الحديث النبويّ الشريف:

«أَمَرَنِى رَبِّى بِمُدارَاةِ ٱلنَّاسِ، كَمَا أَمَرَنِى بِأَداءِ ٱلفَرائِضِ»[٢].

وجاء أيضاً:

«ثَلاثٌ مَن لَم يَكُنَّ فِيهِ لَم يَتِمَّ لَهُ عَمَلٌ: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعاصِى ٱللّهِ، وَخُلُقٌ يُدارِى بِهِ ٱلنَّاسَ، وَحِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ ٱلجاهِلِ»[٣].

وجاء أيضاً:

«إِنَّ ٱلرِّفْقَ لَمْ يُوضَعْ عَلى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[٤].

وجاء أيضاً:

«لَو كَانَ ٱلرِّفْقُ خَلْقاً يُرَى مَا كَانَ مِمَّا خَلَقَ ٱللّهُ عَزَّ وَجلَّ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنْهُ»[٥].

وفي رواية عن اميرالمؤمنين عليه السلام:

«ثَمَرَةُ ٱلعَقْلِ مُداراةُ ٱلنَّاسِ»[٦].

«مُداراةُ ٱلرِّجَالِ مِن أَفْضَلِ ٱلأَعْمالِ»[٧].

---

١ ـ محجّة البيضاء: ٣/٣٢٢، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة، باب ٢.

٢ ـ تفسير المعين: ٣٦٥.

٣ ـ الكافي: ٢/١١٦، باب المُداراة، حديث ١.

٤ ـ الكافي: ٢/١١٩، باب الرفق، حديث ٦ وتفسير المعين: ٣٦٥.

٥ ـ الكافي: ٢/١٢٠، باب الرفق، حديث ١٣.

٦ ـ غرر الحكم: ٥٣، حديث ٤١٦.

٧ ـ غرر الحكم: ٤٤٥، حديث ١٠١٧٤.

«دَارِ النَّاسَ تَسْتَمْتِعْ بِإِخائِهِم وَالْقِهِم بِالبِشرِ تُمِتْ أَضْغَانَهُم»[١].

وجاء عن سيدنا محمّد ﷺ قوله:

«إسمَحْ يُسمَحْ لَكَ»[٢].

وروي عنه ﷺ أيضاً:

«تَخَلَّقُوا بِأَخلاقِ اللَّهِ»[٣].

٢ ـ الرحمة والرأفة

تحدثنا عن الرحمة في مطلع الكتاب، حيث تحدثنا عن الرحـمة الرحـيمية التي تشمل عباد الله المؤمنين الذين ينبغي أن يتوادّوا ويتراحموا ويتواصلوا وإلّا يظلم بعضهم بعضاً انطلاقاً من هذه القاعدة المتجذّرة:

«ارحم ترحم»[٤].

ان الانسان الذي يتساهل في أداء الواجبات والفرائض الالهية ولا يعمل بما أمر الله به ولا يجتنب المعاصي ولا يعاشر الناس بالحسنى عليه ألّا يتوقع أن يعامله الله والناس بالرأفة والرحمة. وفي موضوع الرحمة ورد كثير من الروايات الهامة في كتب الحديث القيمة نشير إلى بعضها:

قال رسول الله ﷺ:

---

١ ـ غرر الحكم: ٤٤٥، حديث ١٠١٨٠.
٢ ـ محجّة البيضاء: ١٨٦/٣، كتاب آداب الكسب والمعاش، باب ١.
٣ ـ بحار الأنوار: ١٢٩/٥٨.
٤ ـ انيس الليل: ١٦٦.

«إنَّ لِلّهِ تَعالى مائَةَ رَحْمَةٍ أنزَلَ مِنها رَحمةً واحِدَةً بينَ الجِنِّ وَالانسِ وَالطَّيرِ وَالبَهائمِ وَالهَوامِّ، فَبِها يَتَعاطَفُونَ، وَبِها يَتَراحَمُونَ، وَآخَرَ تِسعاً وَتِسعينَ رَحمةً يَرحَمُ اللّهُ بِها عِبادَهُ يَومَ القِيامَةِ»[١].

قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَومَ القيامَة لِلمؤمنين: هل أحْبَبْتُمْ لِقائي؟ فَيَقُولونَ: نَعَمْ يا رَبَّنا. فَيَقولُ: لِمَ؟ فَيَقولونَ: رَجَوْنا عَفْوَك وَمَغْفِرَتَكَ. فَيَقُولُ: قَدْ أوجَبْتُ لَكُم مَغْفِرَتي»[٢].

قال رسول الله ﷺ:

«يَقولُ اللّهُ يَومَ القيامَةِ: أخْرِجُوا مِنَ النّارِ مَن ذَكَرَني يَوماً أو خافَني في مَقامٍ»[٣].

قال رسول الله ﷺ:

«اللّهُ تَعالَى أرحَمُ بِعَبْدِهِ المُؤمنِ مِنَ الوالِدَةِ الشَّفيقَةِ بِوَلَدِها»[٤].

قال رسول الله ﷺ:

«اَلرّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللّهُ. إرْحَمُوا مَن فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّماءِ»[٥].

وجاء في الأثر ان موسى بن عمران عليه السلام سأل ربّه وهو يناجيه: أي خصالي

١ ـ محجّة البيضاء: ٨/٣٨٤، كتاب ذكر الموت وما بعده، باب ٨.
٢ ـ محجّة البيضاء: ٨/٣٨٤، كتاب ذكر الموت وما بعده، باب ٨.
٣ ـ محجّة البيضاء: ٨/٣٨٤، كتاب ذكر الموت وما بعده، باب ٨.
٤ ـ محجّة البيضاء: ٨/٣٨٥، كتاب ذكر الموت وما بعده، باب ٨.
٥ ـ مستدرك الوسائل: ٩/٥٥، باب استحباب التراحم، حديث ١٠١٨٧.

رضيتها يا رب؟ قال: لما كنت ترعى غنم شعيب وكان الوقت قيظاً وقد فرّت ماعز فذهبت وراءها حتى وجدت في أمرها نصباً حتى إذا أدركتها قلت لها لقد اجهدت نفسك واياي ثم حملتها على عاتقك وعدت بها إلى غنمك فمن أجل رحمتك بها ورأفتك اصطفيتك وأرسلتك[١].

وجاء في الأثر:

قال رجل للنبي ﷺ: احب ان يرحمنى ربى. قال:

«إرحَم نَفْسَكَ وَارحَمْ خَلقَ اللّهِ يَرْحَمْكَ اللّهُ»[٢].

وروي عن رسول الله ﷺ:

«تَعَرَّضُوا لِرَحْمَةِ اللّهِ بِما أمَرَكُم بِهِ مِنْ طاعَتِه»[٣].

وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أبْلَغُ مَا تُسْتَدَرُّ بِهِ الرَّحْمَةُ أنْ تُضْمِرَ بِجَمِيعِ النّاسِ الرَّحْمَةَ»[٤].

وعنه عليه السلام أيضاً:

«بِالْعَفْوِ تَنْزِلُ اَلرَّحْمَةُ»[٥].

وعنه عليه السلام أيضاً:

رَحْمَةُ اَلضُّعَفاءِ تَسْتَنْزِلُ اَلرَّحْمَةَ[٦].

---

١ ـ انيس الليل: ١٦٦.
٢ ـ تفسير المعين: ٥٨٠.
٣ ـ مجموعة الورّام: ١١٩/٢؛ تفسير المعين: ٥٨٠.
٤ ـ غرر الحكم: ٤٥٠، حديث ١٠٣٤٤؛ تفسير المعين: ٥٨٠.
٥ ـ غرر الحكم: ٢٤٦، حديث ٥٠٥٣؛ تفسير المعين: ٥٨٠.
٦ ـ غرر الحكم: ٤٤٩، حديث ١٠٣٣٣؛ تفسير المعين: ٥٨٠.

٣ ـ القناعة والرضا بما رزقه الله

يتجلّى الله عزوجل في عوالم الغيب والشهادة بعلمه وحكمته وعدله وبرحمته؛ فالعالم كله قائم على رحمته وباراداته؛ فهو فاطر كل شيء وخالق كل شيء وواهب كل شيء.

خلق الاشياء وقدر لها رزقها وكل شيء عنده بمقدار.

﴿وَما مِن دآبَّةٍ فِي ٱلأَرضِ إِلّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا...﴾[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾[2].

إن الله الكريم المطلق خلق الناس وهيّأ لهم أرزاقهم من خلال الكسب الحلال، زراعة وتجارة وصناعة وأعمال ايجابية أخرى هي حصيلة العقل والفكر والقوى البشرية التي منحها الله عزوجل عباده.

وقد أوجب الله تبارك وتعالى على عباده طلب الرزق الحلال وعدّه عبادة كبرى، حيث يجهد الانسان ويتعب ويتحمل المشاق ليكسب قوته بعرق جبينه، فالعمل من مفاتيح الرزق الحلال ومن الفرائض التي أوجبها الله تبارك وتعالى على العباد.

وقد ورد في ذلك العديد من الروايات عن سيدنا محمّد ﷺ وآله الأطهار:

قال سيدنا محمّد ﷺ:

---

١ ـ سورة هود: ٦.

٢ ـ سورة الاسراء: ٣٠.

«طَلَبُ ٱلحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»[١].

«طَلَبُ ٱلحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ ٱلفَرِيضَةِ»[٢].

«طَلَبُ ٱلحَلَالِ جِهادٌ»[٣].

وتدخل في طلب الرزق ونيل البركات عوامل أخلاقية وعبادية كثيرة، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف:

«دُمْ عَلَى ٱلطَّهَارَةِ يُوَسَّعْ عَلَيكَ فِى ٱلرِّزْقِ»[٤].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام:

«مُواسَاةُ ٱلأَخِ فِى ٱللّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَزِيدُ فِى ٱلرِّزْقِ»[٥].

وعنه عليه السلام أيضاً:

«اِسْتِعمالُ ٱلأَمَانَةِ يَزِيدُ فِى ٱلرِّزْقِ»[٦].

وقال الامام الباقر عليه السلام:

«عَلَيْكَ بِالدُّعاءِ لِإِخْوانِكَ بِظَهْرِ ٱلغَيْبِ فَإِنَّهُ يَهِيلُ ٱلرِّزْقَ»[٧].

وقال الامام الصادق عليه السلام:

---

١ ـ جامع الاخبار: ١٣٩، الفصل ٩٩؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢١١.
٢ ـ كنز العمال: ٩٢٠٣؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢١٢.
٣ ـ كنز العمال: ٩٢٠٥؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢١٤.
٤ ـ كنز العمال: ٤٤١٥٤؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩٤.
٥ ـ الخصال: ٥٠٤/٢، حديث ٢؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩١.
٦ ـ مشكاة الانوار: ١٢٨، الفصل السادس؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩٢.
٧ ـ بحار الأنوار: ٣٨٦/٩٠، باب ٢٦، حديث ١٧؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٩٣.

«مَنْ حَسَّنَ بِرَّهُ أَهْلَ بَيْتِهِ زِيدَ فِی رِزْقِهِ»(١).

وعنه عليه السلام أيضاً:

«حُسْنُ الْخُلُقِ يَزِيدُ فِی الرِّزْقِ»(٢).

ومن هنا يعدّ العمل جهاداً وعبادة، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ أَكَلَ مِن كَدِّ يَدِهِ نَظَرَ اللّهُ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ ثُمَّ لَا يُعَذِّبُهُ أَبَداً»(٣).

وعن صلواتُ الله عليه وآله:

«مَن أَكَلَ مِنْ كَدِّ يَدِهِ كَانَ يَومَ الْقِيامَةِ فِی عِدادِ الأَنْبِياءِ وَيَأْخُذُ ثَوابَ الأَنْبِياءِ»(٤).

وعن الامام الرضا عليه السلام:

«إِنَّ الَّذِی يَطْلُبُ مِنْ فَضْلٍ يَكُفُّ بِهِ عِيالَهُ أَعْظَمُ أجراً مِنَ الْمُجاهِدِ فِی سَبِيلِ اللّهِ»(٥).

وقال سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«اَلعِبَادَةُ عَشَرَةُ أَجْزاءٍ تِسْعَةُ أَجْزاءٍ فِی طَلَبِ الحَلَالِ»(٦).

ان الرزق هو مائدة الوجود الكبرى حيث قسّم الرزاق رزقه الوفير فكل يأتيه

---

١ ـ بحار الأنوار: ٤٠٧/٦٦، باب ٣٨، حديث ١١٧؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٨٥.
٢ ـ مشكاة الأنوار: ٢٢١، الفصل الاول؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٦/٥، الرزق، حديث ٧١٨٧.
٣ ـ جامع الاخبار: ١٣٩، الفصل ٩٩؛ ميزان الحكمة: ٢٠٦٠/٥، الرزق، حديث ٧٢١٧.
٤ ـ جامع الاخبار: ١٣٩، الفصل ٩٩؛ ميزان الحكمة: ٢٠٦٠/٥، الرزق، حديث ٧٢١٨.
٥ ـ الكافي: ٨٨/٥، باب من كدّ، حديث ٢؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢٠٤.
٦ ـ جامع الاخبار: ١٣٩، الفصل ٩٩؛ ميزان الحكمة: ٢٠٥٨/٥، الرزق، حديث ٧٢٠٢.

رزقه على قدر؛ فهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

ان اغداق النعم على العباد يعود إلى حكمته عزوجل ولكل رزقه فلا يظن من انعم الله عليه وأغدق عليه انه محبوب اثير عند الله؛ ولا يتصور الذي يعيش في ضيق وفي جشب ان ذلك من غضب الله فكلاهما امتحان واختبار؛ فالذي اوتي من النعم يتعيّن عليه الشكر والذي لا يملك قوته عليه أن يصبر والله سبحانه يجزي الشاكرين والصابرين. وشكر النعمة يكون بالانفاق على البائس والفقير فيدفع بذلك عن نفسه بلاء الدنيا وأهوال يوم القيامة.

أما من كان في ضيق من العيش فيصبر لأنّ الاستقامة والصبر طريق يؤدي بالمرء إلى الجنة ورضوان من الله أكبر.

ان السعة والضيق في الرزق كلاهما اختبار للانسان ينظر هل يشكر ويصبر أم يكفر؟

يقول سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام:

«وَقَدَّرَ الْأَرْزاقَ فَكَثَّرَها وَقَلَّلَها وَقَسَّمَها عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرادَ بِمَيْسُورِها وَمَعْسُورِها وَلِيَخْتَبِرَ بِذلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِن غَنِيِّها وَفَقِيرِها»(1).

ومن جانب آخر على المؤمن أن يرضى بما قسم الله له من الرزق وإلّا يتعرض على نصيبه لأن تقسيم الرزق يأتي ضمن تقدير للمصلحة الهي وهذا ما يجهر به مولى الموحدين أميرالمؤمنين عند ما يناجي الله عزوجل قائلاً:

«أَنْ تُسامِحَنِي وَتَرْحَمَنِي وَتَجْعَلَنِي بِقِسْمِكَ راضِياً قانِعاً».

---

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ٩١، وتعرف بخطبة بالأشباح.

وتساءل نجله الامام الحسن المجتبى سبط رسول الله ﷺ قائلاً:

«كَيْفَ يَكونُ ٱلمُؤمِنُ مُؤمِناً وَهُوَ يَسْخَطُ قِسمَه وَيُحَقِّرُ مَنْزِلَتَهُ وَٱلحاكِمُ عَلَيْهِ ٱللّٰهُ»(١).

ويسأل سيدنا محمّد ﷺ جبريل عن الرضا فيقول الأمين:

«ٱلرّاضِي لَا يَسْخَطُ عَلى سَيِّدِهِ أَصَابَ مِنَ ٱلدُّنْيا أَمْ لَمْ يُصِبْ وَلَا يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلعَمَلِ»(٢).

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«إِرْضَ بِما قَسَمَ ٱللّٰهُ لَكَ تَكُنْ غَنِيّاً»(٣).

ويقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام:

«مَنْ رَضِيَ مِنَ ٱللّٰهِ بِمَا قَسَمَ لَهُ ٱسْتَراحَ بَدَنُهُ»(٤).

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«مَنْ لَمْ يَرْضِ بِمَا قَسَمَ ٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ إِتَّهَمَ ٱللّٰهَ تَعالَى فِي قَضائِهِ»(٥).

ويفسّر الامام علي عليه السلام الحياة الطيبة بالقناعة في قوله تعالى:

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾(٦).

---

١ ـ مشكاة الأنوار: ٣٤، الفصل السابع؛ ميزان الحكمة: ٢٠٩٠/٥، الرضا، حديث ٧٢٩٥.
٢ ـ بحار الأنوار: ٣٧٣/٦٦، باب ٣٨، حديث ١٩.
٣ ـ الخصال: ١٦٩/١، حديث ١٢٢؛ ميزان الحكمة: ٢٠٩٢/٥، الرضا، حديث ٧٣١٢.
٤ ـ بحار الأنوار: ١٣٩/٦٨، باب ٦٣، حديث ٢٧؛ ميزان الحكمة: ٢٠٩٢/٥، الرضا، حديث ٧٣١٥.
٥ ـ بحار الأنوار: ٢٠١/٧٥، باب ٢٣، حديث ٣٤.
٦ ـ سورة النحل: ٩٧.

ويوصينا عليه السلام قائلاً:

«إنْتَقِمْ مِن حِرْصِكَ بِالْقُنوعِ كَما تَنْتَقِمُ مِن عَدُوِّكَ بِالْقِصاصِ»[١].

ووفقاً لمعطيات ثقافة أهل البيت عليهم السلام ان الحرص والطمع لا يزيدان في الرزق ولا يزيدان في الثروة الحلال بل انهما يضطران الانسان للتورط في الحرام.

والحرام يضعف اسس الايمان ويقضي على الاصول الاخلاقية ويدمّر حياة الانسان في الدنيا والآخرة ويقضي على سمعة الانسان فيما القناعة بالحلال وبما قسم الله تبارك وتعالى هو الكنز الحقيقي الذي يمكن أن يصبح الانسان به غنياً هذا الكنز الذي لا ينفد أبداً.

يقول رسول الانسانية وخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله:

«خِيارُ أُمَّتِي ٱلقانِعُ وَشِرارُهُم ٱلطّامِعُ»[٢].

ويروي الامام الباقر عليه السلام قائلاً:

«أَكَلَ عليٌّ مِن تَمْرٍ دَقَلٍ ثُمَّ شَرِبَ عَلَيْهِ ٱلماءَ ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى بَطْنِهِ وَقالَ: مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ ٱلنّارَ فَأَبْعَدَهُ ٱللّهُ ثُمَّ تَمَثَّلَ»:

فَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نَالا مُنْتَهَى ٱلذَّم أَجْمَعاً[٣]

ويقول الامامان الباقر والصادق عليهما السلام:

«مَنْ قَنِعَ بِمَا رَزَقَهُ ٱللّهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى ٱلنَّاسِ»[٤].

١ ـ غرر الحكم: ٣٩١، حديث ٨٩٨١.
٢ ـ كنز العمال: ٧٠٩٥؛ ميزان الحكمة: ٥٠٥٤/١٠، القناعة، حديث ١٧١٤١.
٣ ـ كنز العمال: ٨٧٤١؛ ميزان الحكمة: ٥٠٥٤/١٠، القناعة، حديث ١٧١٤٣.
٤ ـ الكافي: ١٣٩/٢، باب القناعة، حديث ٩.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«إقنَعْ بِمَا قَسَمَ اَللّهُ لَكَ، وَلا تَنْظُر إلى مَا عِنْدَ غَيْرِكَ، وَلا تَتَمَنَّ مَا لَسْتَ نَائِلَهُ، فَإنَّهُ مَن قَنِعَ شَبِعَ، وَمَنْ لَمْ يَقْنَع لَمْ يَشْبَعْ، وَخُذْ حَظَّكَ مِن آخِرَتِكَ»(١).

ويقول الامام علي عليه السلام:

«كَيْفَ يَسْتَطِيعُ عَلى صَلاحِ نَفْسِهِ مَنْ لا يَقْنَعُ بِالْقَلِيلِ؟»(٢).

٤ ـ التواضع في جميع الاحوال

التواضع في طليعة القيم الاخلاقية النبيلة والتي تمهد للانسان طريقه إلى المقامات الروحية الرفيعة.

ويمكن أن نكتشف قيمته من خلال تضرع الامام في دعائه وهو يطلب من الله أن يرزقه نعمة التواضع لما لها من أثر انساني كبير.

والتواضع يكون أمام الحق وأمام الخلق والتواضع للحق هو في تنفيذ الاحكام الالهية سواء في الشؤون الدنيوية أو الاخروية وأن تكون عبادته نابعة من صميم القلب، بحيث تخف الجوارح للقيام بالأعمال العبادية وانجازها في نشاط وحيوية وخلوص نيّة.

والتواضع أمام الخلق هو إلّا يشعر المرء انه أفضل من إخوانه المؤمنين فيتعالى عليهم وينظر إليه نظرة فيها شيء من الاحتقار. ومشاعر التواضع تجاه الناس تتجسد في طريقة تعامله وتسامحه مع الآخرين كما تتجسد أيضاً في الاحترام الكامل لهم والاحسان والتودد إليهم.

---

١ ـ الكافي: ٢٤٣/٨، حديث ٣٣٧.

٢ ـ غرر الحكم: ٢٣٨، حديث ٤٨٠٦.

القرآن والتواضع

القرآن الكريم يدعو المؤمنين ليس إلى التواضع أمام الحق فحسب بل والتواضع للناس المؤمنين ومن خلال كثير من الآيات التي خاطبت النبي ﷺ تكتشف قيمة التواضع الاخلاقية.

فالنبي ﷺ الذي هو سيد الخليقة وآخر الأنبياء في تاريخ البشرية وهو حبيب الله عزوجل نجد القرآن الكريم يخاطبه قائلاً:

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

كما تعبر هذه الآية عمن سمو التواضع الذي يوصل الانسان إلى أعلى مرتبة يمكن أن يبلغها بشر؛ قال تعالى:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

ونجد القرآن الكريم نفوراً من الاستكبار والمستكبرين في كثير من الآيات:

﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾[3].

﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[4].

---

١ ـ سورة الحجر: ٨٨.

٢ ـ سورة القصص: ٨٣.

٣ ـ سورة النحل: ٢٣.

٤ ـ سورة الزمر: ٦٠.

التواضع في الروايات

روي عن سيدنا محمّد ﷺ قوله:

«مَا لِي لَا أَرَى عَلَيْكُم حَلَاوَةَ ٱلعِبَادَةِ؟ قَالُوا: وَمَا حَلَاوَةُ ٱلعِبَادَةِ؟ قَالَ: ٱلتَوَاضُعُ»[1].

وقال أميرالمؤمنين يصف تواضع قوم سابقين:

«وَلَكِنَّهُ سُبْحانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّواضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدودَهُم، وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرابِ وُجوهَهُم، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُم لِلْمُؤمِنِينَ»[2].

وقال عليه السلام أيضاً:

«عَلَيْكَ بِالتَّواضُعِ فَإِنَّهُ مِن أَعْظَمِ ٱلعِبَادَةِ»[3].

وروي عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

«ٱلتَواضُعُ أَنْ تَرضَى مِنَ ٱلمَجْلِسِ بِدونِ شَرَفِكَ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلى مَن لاقَيْتَ، وَأن تَتْرُكَ ٱلمِراءَ وَإنْ كُنْتَ مُحِقاً. وَرَأْسُ ٱلخَيْرِ ٱلتَّواضُعُ»[4].

وجاء في الحديث النبويّ الشريف:

«إِنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ عَبْداً مَن تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ»[5].

---

١ ـ مجموعة الورّام: ٢٠١/١، بيان فضيلة التواضع؛ ميزان الحكمة: ٦٨٤٦/١٤، التواضع، حديث ٢١٨٢٥.

٢ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢، ومن خطبة له تسمى القاصعة.

٣ ـ بحار الأنوار: ١١٩/٧٢، باب ٥١، حديث ٥.

٤ ـ بحار الأنوار: ١٢٣/٧٢، باب ٥١، حديث ٢٠.

٥ ـ بحار الأنوار: ١٨١/٧٤، باب ٧، حديث ١٥.

وجاء عنه عليه السلام أيضاً:

«إِنَّ ٱلتَّوَاضُعَ يَزِيدُ صَاحِبَهُ رِفْعَةً. فَتَوَاضَعُوا يَرْفَعكُمُ ٱللّٰهُ»[1].

يرى علماء الأخلاق أن صفة التكبر من الصفات القبيحة جداً وهي حالة شيطانية ناشئة عن الاحساس بالحقارة.

أما التواضع فهو الجادّة الوسط التي ترتفع بالانسان إلى انسانيته فلا يكون ذليلاً ولا يكون طاغياً مستكبراً والتواضع كما تحاول الروايات تحديده هو تذلل الانسان لله عزوجل فهو محور العبودية وانصاف الناس في المعاملة وانتهاج العدالة واحترام حقوق الآخرين.

تواضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عرف سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله بخلقه الجم وأدبه العظيم، فكان يقوم ويقعد مع المساكين والفقراء وما دخل عليه أحد إلّا نهض له حتى وإن كان طفلا.

وكان أكثر أُنسه بالبؤساء يتفقدهم ويسأل عنهم.

وكان مركبه بسيط يحلب نعجته بنفسه ويغسل ثيابه ويأكل مع خادمه وكان مع الناس كأحدهم.

تواضع أميرالمؤمنين عليه السلام

كان الامام علي كسيده وابن عمه محمّد صلى الله عليه وآله في خلقه وتواضعه.

قال ابن عباس رضي الله عنه:

«دخلت على أميرالمؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي: ما قيمة هذا

---

١ ـ كافي: ١٢١/٢، باب التواضع، حديث ١؛ ميزان الحكمة: ٦٨٥٦/١٤، التواضع، حديث ٢١٨٧٢.

النعل؟ فقلت لا قيمة لها! فقال ﷺ: والله أحبّ إليّ من إمرتكم، إلّا أن أقيم حقاً أو لأدفع باطلاً، ثم خرج فخطب الناس»(١).

وكان الامام سلام الله عليه يرقع ثوبه بيده.

تواضع سليمان النبي ﷺ

أوتي سليمان الحكيم ﷺ ملكاً لم يؤته أحد قبله ولا بعده سخر الله الرياح والجن وعلمه منطق الطير وكانت مملكته من أعظم الممالك ولم تبطره السلطة ولم يغرّه السلطان؛ كطغاة التاريخ بل عاش حياته متواضعاً في غاية التواضع.

وجاء في قصص سليمان النبي ﷺ:

ان نملة دبّت على سليمان فحملها ورمى بها، فوقعت النملة فقالت: ما هذه الصولة وما هذا البطش؟ أما علمت أني أمة من أنت تعبده؟ فغشي على سليمان، فلما أفاق قال أئتوني بها، فأتوه بها فسألها، فقالت له: جلدي رقيق وبدني ضعيف وأخذتني ورميتني؛ فقال لها سليمان: اجعليني في حلّ فإني لم أقصد ذلك؛ فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلّا بذلته له.

قال: قد فعلت ذلك؛ قالت: أنت في حل(٢).

---

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

٢ ـ قصص الأنبياء للثعالبي: ٢٩٦، دارالرائد العربي لبنان.

«اَللّٰهُمَّ وَأَسأَلُكَ سُؤَالَ مَنِ اشْتَدَّتْ فَاقَتُهُ»

ها أنا يا الهي بائس فقير عصف به البؤس وأذلّته الحاجة.

المالك الحقيقي الله

على الداعي وهو يترنم بهذا المقطع من الدعاء، أن يرى بعين البصيرة حقيقتين:

الأولى: انه لا مالك في الوجود إلّا الله عزوجل؛ فهو نبغ الفيض وهو الغني المطلق.

الحقيقة الثانية: إنّ هويّة الانسان وذاته الحقيقية هي الفقر المطلق شأنه في ذلك شأن جميع مفردات الوجود الأخرى في عوالم الغيب والشهادة.

إنّ الله سبحانه هو الذي خلق الخلق وهو غني عنهم وهو الذي قدر أرزاقهم وما وجود الخلائق إلّا رشحة فيض من وجوده تبارك وتعالى ونفحة رحمة من رحمته المطلقة وما أمره في الخليقة إلّا كرمش من بصر يقول للشيء كن فيكون.

كل مفردات الوجود كانت في ظلمات العدم و«كن» هي وحدها التي أضاءت لهم رحاب الوجود، وستنطفئ لأمره إن قال: «لا تكن» تنطفئ لتعود إلى ديار العدم والفناء.

ولولا رحمته سبحانه ما كان هذا الوجود، فكيف للانسان أن ييأس من رحمته وقد وسعت كل شيء؟!

ان حاجة الكائنات إلى لطفه ورحمته وغناء عنها دليل على رحمته ولطفه ومحبته المطلقة ودليل على الفقر المطلق الذي تتصف به الكائنات.

انه هو الخالق المصور والرزاق ذو الطول وهو الودود الرحيم الكريم وهو الغفور المحيي لا شريك له في الخلق والرزق وكل الوجود مملكته.

وهو مالك الملك رب العالمين مدبّر أمور الخلائق أجمعين.

وأولئك الذين يشعرون بغناهم ويتطالون بجاههم وثرائهم لا يدركون ارتباطهم بنبع الفيض؛ قد اسكرتهم النعم وتلبستهم حالة من الشيطان يتقلبون في اللذائذ غافلين وما يشعرون انهم يأكلون ثمار اشجار الغفلة المرّة قد عميت بصائرهم عن رؤية الرحمة المطلقة. وقد حرموا من الحضور في رحاب رب الوجود ربّ الأرباب حيث الكائنات تتضرع في حضرته وتطلب منه وتسأله وتشكر وتتغنى بوحدانيته.

أمّا الغافلون فهم في غيّهم سادرون قد استحالت حياتهم إلى غابة مظلمه لا تسمع فيها سوى أصوات حيوانات مسعورة يغير بعضها على بعض ويأكل بعضها بعضاً في غفلة عن مالك السموات والأرض رب العالمين.

وقد تحدث القرآن عن الغني المطلق الفياض ذي الرحمة الجامع لكل صفات الكمال سبحانه وتعالى:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

---

١ ـ سورة آل عمران: ١٨٩.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَإِلَيْهِ ٱلمَصِيرُ ﴾[١].

﴿ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢].

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾[٣].

وتحدّث الكتاب العزيز عن الانسان فوصفه قائلاً:

﴿ يا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلغَنِيُّ ٱلحَمِيدُ ﴾[٤].

بل هو الفقر المطلق... انه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقه وأفاض عليه نعمه التي لا تحصى.

ومن أجل هذا ينهض الانسان الذي عرف ربّه؛ ينهض في منتصف الليل يناجي خالقه وربّه فيرفع كفيه إلى الله قائلاً: اللهم وأسألك سؤال من اشتدت فاقته...

أجل لا فاقة أشدّ من فاقة كل الكائنات إلى الله الغني المطلق الذي له ملك السماوات والأرض.

---

١ ـ سورة المائدة: ١٨.

٢ ـ سورة الحديد: ٢.

٣ ـ سورة الفتح: ١٤.

٤ ـ سورة فاطر: ١٥.

«وَأَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ حَاجَتَهُ»

وها قد نزلت بي النوائب وعصف بي البلاء أسألك يا الهي أن تساعدني.

الله سبحانه خلق الانسان وهيأ له سبل الحياة وفتح أمامه طرق العيش وهذه مائدة الوجود حافلة بكل النعم الالهية وهذا نهر الحياة يتدفق جارياً تعترض المياه صخور ولكن المياه تظل تجري وتسير وهكذا قدّرها الله عزوجل.

وبالرغم من أن رزق الانسان مكفول في هذه الحياة، حيث يجد كل رزقه المقسوم؛ ولكن الله عزوجل يحب أن يسمع صوت عبده يطلب منه ويسأله ويقول حاجته؛ حتى لا ينسى الانسان ويغفل عن هدفه وغايته في رحلة الحياة.

يا الله يا رحمن يا رحيم يا مفتاح اللطف والخير والبركة ويا حلّال المشكلات، افتح أمامي الطريق... طريق الحياة وأبعد عني غصص الحياة... أنت يا رب خلقتني وربّيتني، برحمتك وكرمك ساعدني واقض اللهم حاجاتي يا نبع الفيض ومصدر الرحمة.

وعندما تنساب كلمات الانسان المؤمن منقوعة بدموعه مفعمة بصوت متهدّج، حينئذ تتجسد معاني العبودية لله، التي تحقق للانسان أرقى وأسمى أنواع الحرّية، لأنه عندما يعبد الله وحده ويسأل من الله وحده ولا يخشى شيئاً سوى الله وحده، حينئذ يكون قد استنشق نسائم الحريّة والكرامة الانسانية.

وما دام الله هو الخالق الرازق وهو مالك كل شيء وما دام قد قطع على نفسه الاستجابة عند الدعاء، فلم الهواجس واليأس وقد قال عزوجل:

﴿ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(١).

أجل هو الحبيب الذي يشفق على عباده ويغمرهم برحمته.

جاء في الحديث القدسي الشريف:

«أيأمل عبدي في الشدائد غيري؟ والشدائد بيدي ويرجو سواي؟ وأنا الغني الجواد وأبواب الحوائج عندي، وبيدي مفاتيحها وهي مغلقة؛ فما لي أرى عبدي معرضاً عني وقد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني؛ فاعرض عني وسأل في حوائجه غيري، وأنا الله لا اله إلّا أنا ابتدئ بالعطية من غير مسألة؛ أفأسئل فلا أجود؟ أليس الجود والكرم لي؟ أليس الدنيا والآخرة بيدي؟ فلو أن كلّ أهل السماوات والأرض سألني مثل السماوات والأرض وأعطيته ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة فيا بؤساً لمن أعرض عني وسأل في حوائجه وشدائده غيري»(٢).

---

١ ـ سورة غافر: ٦٠.

٢ ـ أنيس الليل: ١٩٦.

« وَعَظِّمْ فِيمَا عِنْدَكَ رَغْبَتَهُ»

ليس هناك ما هو أعظم من الحب الالهي حيث تضطرم الحقيقة في أعـماق البشر فتتأجّج شعلة العشق.

الامام علي حينما يتغنّى بهذ الدعاء يعفر وجـهه بـالتراب مـتضرعاً إلى الله سبحانه ويتوسل إليه بالحب الذي يضطرم لهيبه في الأعماق.

ولو أردنا ان نستعرض ما ادخر الله عزوجل لعبده ممّا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب انسان للزمنا في ذلك عشرات المجلدات وينتهي عمر الانسان وتبقى كلمات الله لا تنتهي، وهذا غيض من فيض الآيـات والنـصوص المقدسة.

ثواب الأعمال

خلق الله الانسان وفرض عليه أداء العبادات من صلاة وصوم وحج وزكاة وجهاد في سبيل الله وخدمة الناس وأداء الحقوق الاجتماعية والواجبات وجعل لكل ذلك ثواباً جزيلاً وأجراً كبيراً، وقد قطع الله عزوجل الوعد على نـفسه أنـه يجري العاملين.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِـالْكِتَابِ وَأَقَـامُوا ٱلصَّـلَاةَ إِنَّـا لَانُـضِيعُ أَجْـرَ

ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[٣].

وقد أشار القرآن الكريم في حديثه عن الأجر إلى انواع من الثواب:

١ ـ أجر عظيم. ٢ ـ أجر كريم. ٣ ـ أجر غير ممنون. ٤ ـ أجر كبير. ٥ ـ أجر مضاعف.

قال تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٤].

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[٦].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٧].

﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ بِما صَبَروا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةِ

---

١ ـ سورة الأعراف: ١٧٠.
٢ ـ سورة التوبة: ١٢٠.
٣ ـ سورة الهكف: ٣٠.
٤ ـ سورة آل عمران: ١٧٢.
٥ ـ سورة الحديد: ١٨.
٦ ـ سورة الفصّلت: ٨.
٧ ـ سورة فاطر: ٧.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١].

هكذا ثواب الله لمن آمن وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين ثواب لا يزول ونعيم دائم لا ينتهي وكيف لا يكون كذلك والله سبحانه هو الغني السخيّ ذوالجود الكريم.

وقد تحدثت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام عن الثواب الالهي يقول سيدنا علي عليه السلام:

«ثَوابُ عَمَلِكُم أَفْضَلُ مِن عَمَلِكُم»[٢].

«ثَوابُ ٱلصَّبرِ أَعْلَى ٱلثَّوابِ»[٣].

«إِنَّ أَعْظَمَ ٱلمَثوبَةِ مَثوبَةُ ٱلإنْصَافِ»[٤].

«ثَوابُ ٱلجِهادِ أَعْظَمُ ٱلثَّوابِ»[٥].

ويقول الامام الباقر عليه السلام:

«ٱلنَّائِمُ بِمَكَّةَ كَالْمُجْتَهِدِ فِى ٱلبُلدانِ، وَٱلسَّاجِدُ بِمَكَّةَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِى سَبِيلِ ٱللّهِ، وَمَن خَلَّفَ حَاجّاً فِى أَهْلِهِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِهِ حَتّى كَأَنَّهُ يَسْتَلِمُ ٱلحَجَرَ»[٦].

ويقول سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

---

١ ـ سورة القصص: ٥٤.
٢ ـ تفسير المعين: ٢٩٩.
٣ ـ غرر الحكم: ٢٨١، فضيلة الصبر، حديث ٦٢٤٠؛ تفسير المعين: ٢٩٩.
٤ ـ غرر الحكم: ٣٩٤، الانصاف و مدحه، حديث ٩١٠٦؛ تفسير المعين: ٢٩٩.
٥ ـ غرر الحكم: ٣٣٣، الفصل ٣ فى الجهاد، حديث ٧٦٦٣؛ تفسير المعين: ٢٩٩.
٦ ـ محجة البيضاء: ١٥٣/٢، كتاب اسرار الحجّ، باب ١.

ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[٣].

وقد أشار القرآن الكريم في حديثه عن الأجر إلى انواع من الثواب:

١ ـ أجر عظيم. ٢ ـ أجر كريم. ٣ ـ أجر غير ممنون. ٤ ـ أجر كبير. ٥ ـ أجر مضاعف.

قال تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٤].

﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[٦].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٧].

﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةِ

---

١ ـ سورة الأعراف: ١٧٠.
٢ ـ سورة التوبة: ١٢٠.
٣ ـ سورة الهكف: ٣٠.
٤ ـ سورة آل عمران: ١٧٢.
٥ ـ سورة الحديد: ١٨.
٦ ـ سورة الفصّلت: ٨.
٧ ـ سورة فاطر: ٧.

وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقونَ ﴾(١).

هكذا ثواب الله لمن آمن وعمل صالحاً وقال أنني من المسلمين ثـواب لا يزول ونعيم دائم لا ينتهي وكيف لا يكون كذلك والله سبحانه هو الغني السـخيّ ذوالجود الكريم.

وقد تحدثت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام عن الثواب الالهي يقول سيدنا علي عليه السلام:

«ثَوابُ عَمَلِكُم أَفْضَلُ مِن عَمَلِكُم»(٢).

«ثَوابُ الصَّبرِ أَعْلَى الثَّوابِ»(٣).

«إنَّ أَعْظَمَ المَثوبَةِ مَثوبَةُ الإنْصَافِ»(٤).

«ثَوابُ الجِهادِ أَعْظَمُ الثَّوابِ»(٥).

ويقول الامام الباقر عليه السلام:

«النَّائِمُ بِمَكَّةَ كَالْمُجْتَهِدِ فِى البُلدانِ، وَالسَّاجِدُ بِمَكَّةَ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِى سَبِيلِ اللّهِ، وَمَن خَلَّفَ حاجّاً فِى أَهْلِهِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِهِ حَتّى كَأَنَّهُ يَسْتَلِمُ الحَجَرَ»(٦).

ويقول سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

---

١ ـ سورة القصص: ٥٤.
٢ ـ تفسير المعين: ٢٩٩.
٣ ـ غرر الحكم: ٢٨١، فضيلة الصبر، حديث ٦٢٤٠؛ تفسير المعين: ٢٩٩.
٤ ـ غرر الحكم: ٣٩٤، الانصاف و مدحه، حديث ٩١٠٦؛ تفسير المعين: ٢٩٩.
٥ ـ غرر الحكم: ٣٣٣، الفصل ٣ فى الجهاد، حديث ٧٦٦٣؛ تفسير المعين: ٢٩٩.
٦ ـ محجة البيضاء: ١٥٣/٢، كتاب اسرار الحجّ، باب ١.

«رِباطُ يَومٍ فِى سَبِيلِ اَللّهِ خَيْرٌ مِن اَلدُّنيَا وَمَا عَلَيهَا»(١).

يقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«حَرسُ لَيلَةٍ فِى سَبِيلِ اَللّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلُ مِن أَلْفِ لَيلةٍ يُقامُ لَيلُها وَيُصامُ نَهارُها»(٢).

«إنَّ اَلعَبْدَ إذا تَخَلَّى بِسَيِّدِهِ فِى جَوفِ اَللَّيْلِ اَلمُظْلِمِ وَناجَاهُ، أَثْبَتَ اَللّهُ اَلنُّورَ فِى قَلبِه»(٣).

وقال سيدنا علي عليه السلام:

«قِيامُ اَللَّيلِ مَصَحَّةٌ اَلبَدَنِ وَرِضَى اَلرَّبِّ وَتَمَسُّكٌ بِأَخلاقِ اَلنَّبِيّينَ وَتَعَرُّضٌ لِرَحْمَتِهِ»(٤).

وقال سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«إنَّ اَلعَبْدَ لَيُؤمَرُ بِهِ إلَى اَلنَّارِ يَومَ اَلقِيامَةِ فَيُسحَبُ فَيقُولُ اَلمُؤمِنونَ وَاَلمُؤمِنَاتُ: يَا رَبِّ هَذَا اَلَّذِى كَانَ يَدْعُو لَنَا فَشَفِّعْنَا فِيهِ. فَيُشَفِّعُهُمُ اَللّهُ. فَيَنْجُو»(٥).

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً:

«أَلَا مَن تَعَلَّمَ اَلقُرآنَ وَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ فَأَنَا لَهُ سَائِقٌ إلَى اَلجَنَّةِ وَدَليلٌ إلَى

---

١ ـ تفسير المعين: ١٩٣.
٢ ـ تفسير المعين: ١٩٣.
٣ ـ مستدرك الوسائل: ٢٠٧/٥، باب ٢٨، حديث ٥٧٠٨؛ تفسير المعين: ٤٥٩.
٤ ـ وسائل الشيعه: ١٥٠/٨، باب ٣٩، حديث ١٠٢٧٥.
٥ ـ الكافي: ٥٠٧/٢، باب الدعاء للاخوان، حديث ٥؛ روضة الواعظين: ٣٢٧/٢.

ٱلجَنَّةِ»(١).

الجنّة

من الحقائق عند الله وأهل المعرفة هو الشوق إذ جعل الله عزوجل الجنة ثواباً لمن آمن به وأطاعه، وعمل بأحكامه... فجزاء المؤمنين المحسنين الجنة خالدين فيها أبداً. من أجل هذا نجد في القرآن الكريم دعوة أكيدة وحثاً على الذهاب إلى الجنّة في الآخرة، التي هي المستقبل الحقيقي للانسان:

﴿ وَسارِعوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَـرْضُهَا ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلأَرْضُ أُعِدَّت لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

﴿ سابِقوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمآءِ وَٱلأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءامَنُوا بِاللّهِ وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللّهِ يُـؤْتِيهِ مَـن يَشآءُ وَٱللّهُ ذُو ٱلفَضْلِ ٱلعَظِيمِ ﴾(٣).

ان الجنة لا يستحقها إلّا المؤمنون العاملون للصالحات المتقون وهي محرّمة على الكافرين العصاة الخاطئين الذين استغرقوا في المعاصي والذنوب فهؤلاء لا يدخلون الجنّة.

﴿ وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلونَ ٱلجَنَّةَ يُرْزَقونَ فيهَا بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾(٤).

---

١ ـ تفسير المعين: ٤٩٦.
٢ ـ سورة آل عمران: ١٣٣.
٣ ـ سورة الحديد: ٢١.
٤ ـ سورة المؤمن: ٤٠.

﴿ وَٱلْمُؤْمِنونَ وَٱلْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُم أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرونَ بِٱلْمَعْروفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسولَهُ أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزيزٌ حَكيمٌ * وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنينَ وَٱلْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهارُ خالِدينَ فِيها وَمَساكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلعَظيمُ ﴾[1].

جاء عن زين العابدين سيدنا علي بن الحسين عليه السلام أنه قال:

«إعْلَمُوا أَنَّهُ مَنِ اشْتاقَ إِلَى الجَنَّةِ سارَعَ إِلى الحَسَناتِ وَسَلا عَنِ الشَّهَواتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النّارِ بادَرَ بِالتَّوبَةِ إِلَى اللّهِ مِن ذُنوبِهِ وَراجَعَ عَنِ المَحارِمِ»[2].

ويقول الامام علي عليه السلام:

«ثَمَنُ الجَنَّةِ العَمَلُ الصَّالِحُ»[3].

وعن الامام الباقر عليه السلام:

«عَشرٌ مَن لَقِيَ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: شَهادَةُ أن لا إِلٰهَ إِلّا اللّٰهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، وَالإقرارُ بِما جاءَ مِن عِنْدِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإقامُ الصَّلوةِ، وَإيتاءُ الزَّكاةِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضانَ، وَحَجُّ البَيْتِ، وَالوَلايَةُ لِأَوْلِياءِ اللّهِ، وَالبَراءَةُ مِن أَعْداءَ اللّهِ، وَاجْتِنابُ كُلِّ مُسْكِرٍ»[4].

---

١ ـ سورة التوبة: ٧١ ـ ٧٢.
٢ ـ بحار الأنوار: ١٣٩/٧٥، باب ٢١، حديث ٣.
٣ ـ غرر الحكم: ١٥٤، حديث ٢٨٧٦؛ ميزان الحكمة: ٧٩٤/٢، الجنة، حديث ٢٥٣٨.
٤ ـ الخصال: ٤٣٢/٢، حديث ١٦؛ ميزان الحكمة: ٧٩٦/٢، الجنة، حديث ٢٥٤٨.

رحمة الله

وتحدث القرآن الكريم بشكل واسع عن رحمة الله لعباده، ودعا الناس جميعاً إلى نيل رحمته عزوجل من خلال التوسل بالايات والعمل الصالح والتوبة عن الذنوب وتقوى الله تبارك وتعالى:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا بِاللّهِ وَٱعْتَصِمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُم فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ ﴾[1].

﴿ وَإِذا جآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنونَ بِآياتِنا فَقُل سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾[2].

﴿ فَقُل رَبُّكُمْ ذُورَحْمَةٍ واسِعَةٍ ﴾[3].

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[4].

التوافر على أمور تحددها الأحاديث التالية:

يقول الامام الباقر عليه السلام:

«تَعَرَّض لِلرَّحْمَةِ وَعَفْوِ ٱللّهِ بِحُسْنِ ٱلمُراجَعَةِ، وَاسْتَعِنْ عَلَى حُسْنِ ٱلمُراجَعَةِ بِخَالِصِ ٱلدُّعَاءِ وَٱلمُناجَاتِ فِي ٱلظُّلَمِ»[5].

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: احب أن يرحمني ربي.

قال صلى الله عليه وآله:

---

١ ـ سورة النساء: ١٧٥.

٢ ـ انعام: ٥٤.

٣ ـ انعام: ١٤٧.

٤ ـ سورة الاعراف: ١٥٦.

٥ ـ بحار الأنوار: ١٦٢/٧٥، باب ٢٢، حديث ١.

«إِرْحَم نَفْسَكَ وَارْحَمْ خَلْقَ اللّهِ يَرْحَمْكَ اللّهُ»(١).

وقد سبق أن تحدثنا عن رحمة الله عندما شرحنا المقطع الأول من الدعاء الكريم:

«اللّهُمَّ إِنّي أَسْأَ لُكَ بِرَحْمَتِكَ الّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ».

ولكي نستطيع نفهم هذه الحقيقة، ينبغي التوقف عند بعض المفاهيم حول عفو الله تبارك وتعالى.

عفو الله عزوجل

العفو بمعنى غض النظر وصرف النظر عن الجزاء والعقوبة بسبب الذنب ومحو الآثار المترتبة على السيئات.

وقد فتح الله عزوجل أبواب عفوه للتائبين العائدين من الذين عصوه في لحظة ضعف بشري ثم شعروا بالندم وطلبوا من ربهم المغفرة ولذا أكد الله سبحانه هذه الحقيقة في صريح آياته البينات قال تبارك وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفوراً ﴾(٢).

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«أَمْرُهُ قَضاءٌ وَحِكْمَةٌ، وَرِضاهُ أَمانٌ وَرَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ وَيَعْفُو بِحِلْمٍ»(٣).

وسأل أعرابي رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً:

١ ـ كنز العمال: ٤٤١٥٤؛ ميزان الحكمة: ٤/٢٠٠٤، الرحمة، حديث ٧٠٠٤.
٢ ـ سورة النساء: ٤٣.
٣ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

يا رسول اللّه! من يحاسب الخلق يوم القيامة؟ قال: اللّه عزوجل. قال: نجونا ورب الكعبة. قال: وكيف ذاك يا أعرابي؟ قال: لأن الكريم إذا قدر عفا[١].

وقال الامام علي عليه السلام:

«مَنْ تَنَزَّهَ عَن حُرُماتِ ٱللّهِ سارَعَ إلَيْهِ عَفْوُ ٱللّهِ»[٢].

١ ـ مجموعة الورّام: ١/٩.
٢ ـ بحار الأنوار: ٧٥/٩٠، باب ١٦، حديث ٩٥.

«اَللَّهُمَّ عَظُمَ سُلْطَانُكَ»

ما أوسع مملكتك يا رب!

ان الملكة الحقيقية هي مملكة الله أما الممالك الأخرى فهي ممالك اعتبارية، وسلطة الله هي السلطة المطلقة الحقيقية وهي وحدها السلطة الخالدة والسلطان الأبدي الذي لا حدود فيها للمكان والزمان.

سلطان الله يمتد إلى كل عالم... وحكمه مبسوط في جميع العوالم من غيب وشهود وهو وحده الملك علام الغيوب الجميع يحتاج إليه، خاضع في حضرته، وله سبحانه الحجة البالغة على من سواه ودليله ساطع وبرهانه قاطع.

العقل والنبوّات والرسالات وأولياؤه هم حججه إلى يوم القيامة على من عصاه وتمرّد عليه.

«وَعَلَا مَكَانُكَ»

ما أرفع شأنك يا رب!

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1].

هكذا قال الله عن ذاته المقدسة، فهو الكمال المطلق المنزه عن كل شيء وهو الجمال المطلق ذو الجلال. صفاته عين ذاته وذاته عين صفاته وأسماؤه الحسنى أسماؤه وصفاته العليا صفاته وقيام جميع الأشياء بقوميته والكائنات في قبضته وكل الأشياء في سعة رحمته.

أوصافه لا تحدّه وقوّته فوق جميع القوى ولا قوّة ذاتية إلّا قوّته وعظمته أعظم من كل المقدرات ولا قدرة إلّا قدرته وله السطوة تعالى شأنه.

وعلا مكانك تبارك وتعالى.

---

١ ـ سورة الشورى: ١١.

« وَخَفِيَ مَكْرُكَ »

وهل يمكن الهروب من سطوتك يا رب؟

المكر في غير الله بمعنى الخديعة والحيلة وهي مختصة بالانسان، الذي يخادع ويحتال ولكن عندما تستخدم هذه المفردة مع الله عزوجل فيتحول معناها إلى العقوبة والجزاء الالهي، الذي لا يمكن الفرار منه والنجاة فأولئك العصاة السادرون في غيّهم وضلالتهم والذين هم مستغرقون في خطاياهم، لا يهمهم إلّا التمتع بلذائذهم الهابطه ولا يتورعون عن ارتكاب أي فعل محرّم مستكبرين في الأرض بغير حق؛ قد ماتت ضمائرهم وانطفئت بصيرتهم وخمد صوت العقل في وجدانهم. يحسبون أنفسهم في أمان من عقوبة الله وجزائه ولكنهم في الحقيقة مستدرجون قد أمهلهم الله الذي يمهل ولا يهمل...

تتدفق عليهم النعم فيها فيما يتقلبون وبها يتمتعون فتتفاقم غفلتهم، وينسون ربّهم؛ يرتكبون المعاصي تلو المعاصي فلا هم يكفّون ولا إلى ربّهم يرجعون ولا يتذكروه فيستغفرون.

يقول سيدنا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام:

«إِذَا أَرادَ اَللّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَأَذْنَبَ ذَنْباً أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ وَيُذَكِّرُهُ اَلإِسْتِغْفارَ، وَإِذَا أَرادَ بِعَبْدٍ شَراً فَأَذْنَبَ ذَنْباً أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ لِيُنْسِيَهُ اَلاستِغْفارَ وَتَمَادَى بِها وَهُوَ قَولُه ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لايَعْلَمونَ[1] ﴾»[2].

---

١ ـ اعراف: ١٨٢.

«وَظَهَرَ أَمْرُكَ»

أوامرك هي القاهرة يا الهي!

وما أمر الله عزوجل إلّا كلمح بالبصر، فشيء ما هو في مكنون الغيب في ديار العدم؛ فجأة يسطع في رحاب الوجود، هذا أمره سبحانه «التكويني» يقول للشيء كن! فيكون.

وأمر آخر له تبارك وتعالى «تشريعي» حيث القرآن الكريم احكامه سبحانه التشريعية نزلت على قلب رسوله محمّد ﷺ في كتابه العزيز القرآن الكريم وفيه بيّن الله عزوجل الحلال والحرام، الحق والباطل، طريق الجنة وطريق النار فهو حجته سبحانه على البشر إلى يوم القيامة.

«وَغَلَبَ قَهْرُكَ»

وأنت يا الهي الغالب على كل شيء

وقد تحدثنا عن ذلك في مطلع الكتاب فارجع إليه إن شئت.

---

٢ ـ نفحات الليل: ٨١.

«وَلَا يُمْكِنُ ٱلْفِرَارُ مِنْ حُكُومَتِكَ»

وهل يوجد مكان في غير مملكتك يا رب؟!

الله عزوجل محيط بكل شيء فكل شيء تحت قدرته؛ مبدأ كل شيء وإليه معاد كل شيء؛ فإلى أين يمكن الفرار من حكومة الله؟!

جاء في الأثر ان رجلاً قال لسيدنا الحسين: يا بن رسول الله أنا رجل لا صبر لي على المعصية فقال سيدنا الحسين: أفعل خمسة أشياء واذنب ما شئت:

ـ لا تأكل من رزق الله وأذنب ما شئت.

ـ اخرج من مملكة الله وحكمه وأذنب ما شئت.

ـ اطلب مكاناً لا يراك فيه الله وأذنب ما شئت.

ـ وإذا جاءك ملك الموت فادفعه عنك وأذنب ما شئت.

ـ وإن ساقك ملائكة العذاب إلى النار فلا تدخل فيها وأذنب ما شئت، واطرق الرجل برأسه إلى الأرض مفكّراً، ثم رفع رأسه وانصرف وقد عقد عزمه على التوبة والاستقامة.

أجل يمكن الفرار من الله ولكن كيف؟ لا يوجد طريق للفرار إلّا إليه... إلّا الله وهذا أعظم ما يقوم به الانسان من أجل خلاصه والنجاة في الآخرة.

ذلك أن الفرار إلى الله يعني الفرار من الأهواء النفسية، والتحرر من سيطرتها من خلال العبودية لله سبحانه ووضع رضا الله عزوجل نصب العين.

«ٱللَّهُمَّ لَا أَجِدُ لِذُنُوبِي غَافِراً، وَلَا لِقَبَائِحِي سَاتِراً»

«وَلَا لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِيَ ٱلْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ»

من يغفر الخطايا ومن يستر الانسان غيرك يا الهي!

غفران الذنوب

الغافر والغفور من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ومعنى هذا ان الله عزوجل يتجاوز عن الذنوب عند ما يتوب العبد ويعود إلى رشده.

فعلى المذنب ان ينتبه إلى صفة الغفور؛ هذه الحقيقة الكبرى التي تبعث على الأمل والرجاء في عودة العاصي والمذنب وقبوله في رحمة الله الواسعة.

ان اليأس من رحمة الله... من غفرانه من أكبر الذنوب وقد عدّها القرآن كفراً قال تعالى:

﴿إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِن رَوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ﴾[1].

وقد بشّر القرآن عباد الله برحمة الله الواسعة وغفران الذنوب جميعاً:

﴿قُل يا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ

---

١ ـ سورة يوسف: ٨٧.

ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[١].

وهناك باقة من الآيات الكريمة المباركة تبشرنا بالرحمة والمغفرة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾[٢].

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٣].

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٤].

﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٥].

أجل إنّ من يتوب إلى الله يتوب الله عليه فاذا تاب الانسان واجتنب الكبائر ولم يصرّ على الصغائر وقضى ما عليه من صلاة وصيام وردّ ما عليه من المظالم ووفى بحقوق الناس فان توبته هذه هي توبة حقيقية وإن الله عزوجل يقبل توبته.

يقول سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«أَمَّا عَلَامَةُ ٱلتَّائِبِ فَأَرْبَعَةٌ: ٱلنَّصِيحَةُ لِلّهِ فِي عَمَلِهِ، وَتَرْكُ ٱلبَاطِلِ، وَلُزُومُ ٱلحَقِّ وَٱلحِرْصُ عَلَى ٱلخَيْرِ»[٦].

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح على

١ ـ سورة الزمر: ٥٣.
٢ ـ سورة النساء: ٢٣.
٣ ـ سورة النساء: ٢٥.
٤ ـ سورة المائدة: ٣٩.
٥ ـ سورة الانفال: ٦٩.
٦ ـ تحف العقول: ١٨؛ ميزان الحكمة: ٦٣٨/٢، التوبة، حديث ٢١٢٦.

عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة، ولا ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة»[١].

ستار العيوب

من صفات الحق تبارك وتعالى انه ستار العيوب؛ يذنب العبد ويعصيه والله يستر عليه فلا يطلع عليه أحد سواه.

ان الله يحفظ لهم كرامتهم أمام الناس ويترك لهم باب التوبة والعودة إليه مفتوحة في كل وقت.

يقول سيدنا محمّد ﷺ:

مَن تَابَ، تَابَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَأُمِرَتْ جَوارِحُهُ اَنْ تَسْتُرَ عَلَيْهِ، وَبِقاعُ ٱلأَرْضِ أَنْ تَكْتُمَ عَلَيْهِ، وَأُنْسِيَتِ ٱلحَفَظَةُ مَا كانَتْ تَكْتُب عَلَيهِ[٢].

ويقول معاوية بن وهب: سمعت الامام الصادق عليه السلام يقول:

إِذَا تَابَ ٱلعَبدُ ٱلمُؤمِنُ تَوبَةً نَصوحاً اَحَبَّهُ ٱللّٰهُ فَسَتَرَ عَلَيهِ فِى ٱلدُّنيا وَٱلآخِرةِ. قُلتُ: فَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيْهِ؟ قَال: يُنْسِى مَلَكَيْهِ مَا كَتَبا عَلَيهِ مِنَ ٱلذُّنوبِ... فَيَلْقَى ٱللّٰهَ حِينَ يَلْقاهُ وَلَيسَ شَىْءٌ يَشْهَدُ عَلَيهُ بِشَىْءٍ مِنَ ٱلذُّنوبِ[٣].

تحول السيئات إلى حسنات

من صفات الله تبارك وتعالى الرحمة والمغفرة؛ يذنب العبد ويعصي ثم يتوب

---

١ ـ نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٥.
٢ ـ بحار الأنوار: ٢٨/٦، باب ٢٠، حديث ٣٢.
٣ ـ الكافي: ٤٣٠/٢، باب توبه، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٢٨/٦، باب ٢٠، حديث ٣١.

إلى الله ؛ فيتوب الله عليه ويغفر له ثم يبدّل الله سيئاته إلى حسنات .

﴿ إِلَّا مَنْ تابَ وَءامَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفوراً رَحِيماً ﴾[1].

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلحَسَناتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّئَاتِ... ﴾[2].

وحول هذا الموضوع (تبدل السيئات إلى حسنات) كتب الكثير من المسائل العلمية والفلسفية والعرفانية ، مع الاشارة إلى أن قسماً من الكتابات تعدّ في الحقيقة ذوقية .

فقد جاء في «تفسير نمونه»[3] وهو من تأليف مجموعة من المفسرين عدّه تفاسير منها :

١ ـ عندما يتوب الانسان ويؤمن بالله تشهد أعماقه تحولات جوهرية تشمل كل وجوده وهذا التحول الكبير في نفسه يبدل سيئات أعماله إلى حسنات بحيث لو كان قاتلاً فانه سوف يكون مدافعاً عن حقوق المظلومين وسيواجه الظالمين .

ولو كان زانياً فانه سيصبح عفيفاً وهذا توفيق الهي يحدث للانسان في ظلال الايمان .

٢ ـ التفسير الآخر هو أن الله بلطفه وكرمه وفضله وانعامه بعد أن يتوب على عبده يمحو سيئاته ويثبت له مكانها حسنات .

وقد جاء في الأثر عن أبي ذر رضي الله عنه انه يحشر بعضهم يوم القيامة فيأمر الله أن

---

١ ـ سورة الفرقان : ٧٠ .

٢ ـ سورة هود : ١١٤ .

٣ ـ تفسير باللغة الفارسية ترجمت بعض أجزائه إلى العربية تحت عنوان : « التفسير الأمثل » . المترجم .

تعرض صغائر ذنوبهم وتستر كبائرها، فيقال له أنك فعلت في اليوم الفلاني الذنب الفلاني فيقرّ بذلك ونفسه تضطرب من الكبائر التي سيسأل عنها.

ثم يأمر الله عزوجل أن تبدل سيئاته حسنات، فيقول يا رب إنّ لي ذنوب كبيرة ولا أراها.

يقول أبوذر ان رسول الله تبسّم حتى رؤيت اسنانه ثم تلا قوله تعالى:

﴿ فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ[١] ﴾[٢].

٣ ـ والتفسير الثالث: ان مراد القرآن الكريم من السيئات هي ليست أعماله بل الآثار السيئة التي طرأت على روحه ونفسه؛ فاذا تاب الانسان وآمن وعاد إلى الله تزول عن روحه آثار السوء وهذا معنى تبديل السيئات بالحسنات[٣].

---

١ ـ سورة الفرقان: ٧٠.

٢ ـ نور الثقلين: ٣٣/٤.

٣ ـ تفسير نمونه (التفسير الأمثل): ١٦٠/١٥.

« لَاإِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ »

لا إله سواك منزه أنت في سماواتك وأرضك.

ان جملة لا إله إلّا الله يعبر عنها بالتهليل وسبحانك تسبيح وبحمدك حمد وثناء على الله عزوجل.

فمن هلّل بها من كمل قلبه وعمل بها باخلاص وخلوص نيّة وصدق وأبطل ما يعبد من دون الله يكون موحداً حقيقياً وسيتفيأ ظلال الايمان الوارفة في الدنيا والآخرة، يحبّه الله وتحبه الملائكة ويحشر مع الأنبياء والصديقين والشهداء.

ان حقيقة التهليل لا تتجلّى في أعماق الانسان إلّا من خلال المعارف القرآنية ومعرفة الأنبياء وبخاصّة سيدنا محمّد ﷺ وآل بيته الكرام عليهم السلام فهم انعكاس لأسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهذا يتطلب تزكية للنفس وتطهيراً للروح من كل أنواع الشرك والرجس؛ حيث يتألق القلب ويصبح كالمرآة؛ فيتلقى حينئذ الاشراق والنور الذي يشعّ من نور السموات والأرض.

أجل يحقق الانسان ذلك بطي المسافات في طريق الحب الالهي منشداً:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

حينئذ يتجلّى جمال المعشوق في سماء النفس الانسانية فتهتف كل خلايا الانسان «لا إله إلّا الله» «لا مؤثر إلّا الله» و«لا حول ولا قوة إلّا بالله».

وهل في رحاب الوجود غير الله رزاق وحلّال مشكلات وغفار الذنوب والسيئات؟!

وفي هذا المقطع من الدعاء يصل الانسان إلى التذلل في حضرة الله عزوجل فيعبّر عن فقره ومسكنته واقرار بذنوبه ومعاصيه ويقول انه لم يجد من يغفر الذنوب غيره ولا من يستر عليه العيوب سواه ثم يهتف من صميم وجوده: لا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك.

ثمن الجنة

ان من يهلل الله بالمعرفة والاخلاص لساناً وعملاً ما يعني انه ينفي كل معبود غير الله كل طاعة لغيره سبحانه ثم يعفر خده بالتراب وجبهته فانه بذلك قد أعدّ ثمن الجنة وزحزح نفسه عن العذاب.

يقول الامام الرضا عليه السلام:

«لا إلهَ إلّا اللّهُ حِصْنى فَمَنْ دَخَلَ حِصنى أمِنَ مِنْ عَذابى»(١).

وقال سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله:

«مَا جَزَاءُ مَن أَنْعَمَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِالتَّوحيدِ إِلَّا الْجَنَّةَ»(٢).

وعنه صلواته الله عليه وآله:

«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ اَنَّ اَللّهَ حَقٌّ دَخَلَ الجَنَّةَ»(٣).

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

١ ـ التوحيد للصدوق: ٢٤؛ بحار الأنوار: ٥/٣، باب ١، حديث ١٤.
٢ ـ توحيد الصدوق: ٢٢؛ بحار الأنوار: ٥/٣، باب ١ حديث ١٢.
٣ ـ توحيد الصدوق: ٢٩؛ بحار الأنوار: ٩/٣، باب ١، حديث ٢٠.

«قَوْلُ لَا إِلهَ إِلَّا اَللّهُ ثَمَنُ اَلجَنَّةِ»[١].

وعن الامام الصادق عليه السلام :

«مَن قَالَ لَا إِلهَ إِلَّا اَللّهُ مُخْلِصاً دَخَلَ اَلجَنَّةَ، وَإِخلاصُهُ أَنْ تَحْجُزَهُ لَا إِلهَ إِلَّا اَللّهُ عَمَّا حَرَّمَ اَللّهُ عَزَّ وَجَلَّ»[٢].

وعلى أية حال فان التوحيد هو طوق النجاة الذي يخلّص الانسان من الشقاء الأبدي؛ فعند ما يدرك الانسان ان الله عزوجل هو المعبود ولا معبود سواه وكل ما في الوجود هو ملك له عزوجل؛ ثم أقرّ بعبوديته لله سبحانه وآمن بالرسول والأنبياء والكتب الالهية وأقرّ بخاتميه سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله وبالأئمة الأوصياء من آله؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ومن تمسك بحبل الله والتزم بأحكام الاسلام والشريعة الالهية؛ فقد نجا، ذلك ان الدين عند الله الاسلام.

وفي دنيا التوحيد الحق فان كل عمل للخير هو عمل ايجابي يسجل للمرء فيه حسنات وكل عمل سلبي يصدر بسبب غفلة فبامكان المرء تداركه بالتوبة والندم وتجديد الميثاق فيغفر الله له ان الله هو التواب الرحيم.

أما في خارج دائرة التوحيد فلا أهمية لأي عمل ايجابي ولا يغفر للمرء فيه أي عمل سلبي مهما صغر.

وحتى المذنبين من أهل التوحيد والذين يستحقون النار، بسبب ما اقترفوه؛ فان الله سينجيهم من النار ببركة التوحيد، وقد جاء في كثير من الروايات ما يؤيد ذلك.

---

١ ـ التوحيد الصدوق: ٢١؛ وسائل الشيعه: ٢١٠/٧، باب ٤٤، حديث ٩١٤٠.

٢ ـ توحيد صدوق: ٢٧؛ بحار الأنوار: ١٩٧/٩٠، باب ٥، حديث ٢١.

كما ورد في الأثر ان الله عزوجل يعذر كثيراً من أهل الكبائر من فارقوا الحياة بلا توبة؛ فلما سيقوا إلى النار وقذفوا في هاوية الجحيم صاحوا: لا اله إلّا الله فارتدّت عنهم السنة النار لكلمة التوحيد.

فيأتي الخطاب من الله عزوجل يا نار لا تمسي جباههم فقد سجدوا لي، ولا تحرقي قلوبهم فقد ظمأت من أجلي.

فيمكثون ردحاً من الزمن ثم يهتفون باسم النبي ﷺ ليشفع لهم، فيشفع لهم النبي ﷺ فيخرجون من النار وعلى جباههم مكتوب: **عتقاء الرّحمان من النّار.**

التسبيح والحمد

التسبيح هو تنزيه الله عزوجل من كل عيب ونقص وهو في الحقيقة اعتراف كامل بالكمال المطلق لله سبحانه.

سئل النبي ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال:

«تنزيه الله من كل عيب»[١].

ان الله سبحان الله تعني تعظيم جلاله وتنزيهه من كل شرك، لأنه ليس كمثله شيء.

وقد أكد القرآن الكريم على ان كل شيء في الوجود من الذرّة إلى المجرّة يسبح بحمد الله:

﴿ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ وَلَكِن لا تَفْقَهونَ تَسبيحَهُم ﴾[٢].

---

١ ـ ميزان الحكمة: ٢٣٦٢/٥ التسبيح، حديث ٨٢٤.

٢ ـ سورة الإسراء: ٤٤.

ولعل التسبيح في هذا المقطع من الدعاء مرتبة يصلها العبد بعد اقرار كامل قد سبق بالعصيان والخطأ وهما يمنعان الانسان من بلوغ القرب الالهي يعني سقوط في ظلمات النأي عن المحبوب.

وهنا يأتي التسبيح والتحميد كأفضل وسيلة للنجاة من الظلمات واذن فان النوح والبكاء والاخلاق في قول: سبحانك وبحمدك سيكون سبباً في الخلاص من الظلمات كما نجا يونس النبي ﷺ فيما مضى.

لقد كان يونس في ظلام الليل في ظلمات البحر وفي ظلمات أعماق الحوت:

﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وجاء في تفسير «*منهج الصادقين*» ان رسول الله ﷺ قال:

«مَا مِنْ مَكْرُوبٍ يَدْعُو بِهذا ٱلدُّعاءِ إِلَّا ٱسْتُجِيبَ لَهُ»[2].

ويروي المحدث المجلسي عن سيدنا محمّد ﷺ:

«كَانَ رَسولُ ٱللهِ ﷺ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَسرُّهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ عَلى هَذِهِ ٱلنِّعْمَةِ. وَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ أَمْرٌ يَغْتَمُّ بِهِ، قَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلّهِ عَلى كُلِّ حَالٍ»[3].

---

١ ـ سورة الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨.

٢ ـ انيس الليل: ٢٢٦.

٣ ـ بحار الأنوار: ٦٨/٣٣، باب ٦١، حديث ١٤.

«ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِي، وَسَكَنْتُ إِلَىٰ قَدِيمِ ذِكْرِكَ لِي وَمَنِّكَ عَلَيَّ»

لم أنصف نفسي وكنت جاهلاً... لم أنكر الحقيقة بل غررت بنفسي وسكنت إلى لطفك القديم بي.

ظلم النفس

كل شيء في الوجود يهتف باسمك ويشير إليك يا رب... لقد عرفتك ولكني لم آت إليك ولم التفت إلى أحكامك لم أضع جبهتي على التراب في حضرتك ولم أمدّ كفي نحوك... كنت عنك يا الهي غافلاً وهذا ظلم عظيم أنزله بنفسي!

النبوّات عبر التاريخ الطويل أعرفها جميعاً... الأنبياء جاءوا من أجل اسعاد البشر وأنت يا الهي أرسلتهم إلينا، أرسلتهم من أجل سعادة البشر... أرسلتهم من أجل هدايتهم وانقاذهم من وساوس الشيطان واغواء ابليس. اعترف يا الهي انني لم اصغ إلى صوت الرسل... لم أتأمل في كلمات الأئمة الطاهرين...

أجل استغرقت في الثقافات الأجنبية التي تأتي من مصادر لانعرفها لم أجعل نفسي تتشرّب ثقافة أهل البيت تركتها تتلوث بثقافات ليست انسانية صافية... وهكذا ظلمت نفسي.

وهذا القرآن الكريم الذي أنزلته علينا يا رب وفيه ما فيه من تفصيل كل شيء

وبيان كل شيء هذا الكتاب الذي ينساب في تلاوته كنهر وفيه من الثالئ كالبحر؛ هذا الكتاب الكريم وضعته وراء ظهري ولم التفت إلى ما فيه من الكنوز السماوية والانسانية...

وهذا ظلم فادح أنزلته بنفسي... يا رب وقد نصبت لنا اناساً طاهرين يدلّونا الطريق ويعرّفونا سواء السبيل وهم ميراث سيدنا محمّد ﷺ جعلتهم يا الهي عدلاً للقرآن يفسرونه لنا ويقرأوه لنا؛ ويبينون لنا الحق من الباطل والغث من السمين والصالح من الطالح.

وكم يا الهي تحملوا من أجلنا صنوف العذاب وظلم الطغاة ولكنهم ظلّوا يقاومون من أجلنا ويبيّنون لنا الأحكام... أحكامك يا الهي وربي وسيدي... وكانوا لنا خير معلم وأفضل هاد ونعم العون...

وهذا يا الهي كتاب «*نهج البلاغة*» الذي هو شعاع من كتابك قد سما في بلاغته وتألق في معانيه، التي هي جزء من معاني كتابك العزيز... حتى قيل: انه دون كلامك وفوق كلام المخلوقين.

وهذه يا الهي «*الصحيفة السجادية*» زبور آل رسولك وحبيبك ونبيك الذي اصطفيته، وفيها يا رب من الكلمات النورانية والمناجاة الالهية والمعاني التي ترتفع بالانسان إلى قربك وجوارك...

أجل يا رب وكتب غير ذلك ألفها أولياؤك وصنّفها عبادك الصالحون من الذين عرفوا الطريق فسلكوه ودعوا الناس إليه.

لكني يا الهي ضربت صفحاً عن جميع ذلك فقد خطفت بصري مجلّات براقة وأخذت لبّي كلمات مزوّقة أجل خدعني زخرف القول عن سماع كلامك وأخذني الضجيج بعيداً عن الاصغاء لصوتك... وهذا يا الهي ظلم عظيم ظلمت به نفسي.

الجهل هو الذي يكمن وراء الخطيئة

ولو لا جهلي يا الهي لم اقترف ذنباً ولم اكتسب اثماً ولم ارتكب معصية... مستنقع الجهل يا رب أقعدني عن المسير إليك.

انها سحب الغباء والغفلة غطت على بصيرتي فلم أر جمال وجهك، ولو اني رأيت جمالك يا الهي وسيدي لأدركت قبح ما أنا أفعله بنفسي... ولو أني يا خالقي ويا دليلي اكتشفت صراطك ما انزلقت قدمي في الهاوية إلى حيث جحيم فراقك والبعد عن ظلالك... انه الجهل يا سيدي قادني إلى ما قادني من هذا المصير.

الاعتراف بالذنب

الهي أنت الذي غمرتني برحمتك مذ كنت جنيناً في بطن أمي... ما أنا يا سيدي وما شأني وقد كنت نطفة من ماء مهين فصيرتني انساناً سويّاً وجعلت لي عقلاً افكر به ويدين اعمل بهما وقدمين امشي عليهما، ومنحتني يا رب قلباً ينبض بالعاطفة النبيلة.

أجل ياسيدي جئت إلى الدنيا ضعيفاً لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً فوجدت حضناً دافئاً وغذاء شهياً لبناً سائغاً ووجدت صدراً حنوناً وعيوناً تحرسني وتفيض علي بنظرات كلها رحمة ورأفة وقلوباً تزخر بالعاطفة وكل ذلك يا سيدي مصدره منك ومنشأه من عندك جلّت ارادتك وعظمت قدرتك وتسامى مجدك...

غمرتني يا الهي بالنعم وأفيضت عليّ يا واسع الكرم.

الهي فما الذي فعلته قبال احسانك وما الذي عملته جواباً على كرمك غير الاستغراق في الغفلة والجهل واقتراف الذنوب فكأني لا أعرفك وكأنك لا تراني ولا تعلم بحالي... ولكن أبت رحمتك إلاّ أن تمهلني وحلمك إلاّ أن يستع للعصاة

مثلي، وكنت يا الهي تغمرني برحمتك وتوسع علي برزقك فلعلي أصمد في غفلتي وأعود إلى رشدي وأتذكر ميثاقك علي... فيا الهي ها أنا أتوب إلى نفسي وأقرّ بظلمي واعترف بجهلي... أجل يا رب ظلمت نفسي وقد سمعت يا سيدي من أوليائك أن الاقرار نجاة والاعتراف خلاص.

يقول الامام الباقر عليه السلام:

«وَاَللّهِ مَا يَنْجُو مِنَ الذَّنْبِ إِلَّا مَنْ اَقَرَّ بِهِ»[1].

وقال عليه السلام أيضاً:

«لَا وَاَللّهِ مَا أَرادَ اَللّهُ مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَصْلَتَيْنِ: اَنْ يُقِرُّوا لَهُ بِالنِّعَمِ فَيَزِيدَهُم، وَبِالذُّنُوبِ فَيَغْفِرَها لَهُمْ»[2].

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام:

«اَلمُقِرُّ بِالذَّنْبِ تائِبٌ»[3].

وعنه عليه السلام أيضاً:

«شافِعُ اَلمُذْنِبِ إِقْرارُهُ وَتَوْبَتُهُ إِعْتِذارُهُ»[4].

اعتراف الشاب

حكى منصور بن عمار قال: خرجت ذات ليلة من منزلي ومررت بمنزل

---

١ ـ بحار الأنوار: ٣٦/٦، باب ٢٠، حديث ٥٦.

٢ ـ الكافي: ٤٢٦/٢ باب الاعتراف بالذنوب، حديث ٢؛ ميزان الحكمة: ٦٤٢/٢، التوبة، حديث ٢١٥٣.

٣ ـ مستدرك الوسائل: ١١٦/١٢، باب ٨٢، حديث ١٣٦٧١؛ ميزان الحكمة: ٦٤٤/٢، التوبة، حديث ٢١٥٥.

٤ ـ غرر الحكم: ١٩٥، حديث ٣٨١١؛ ميزان الحكمة: ٦٤٤/٢، التوبة، حديث ٢١٥٦.

فتناهى لي صوت مناجاة شاب يقول متضرعاً: «الهي لم أعصك يا إلهي وأنا قاصد لمخالفتك فقد غلبني هواي وخدعني الشيطان فظلمت نفسي وتعرّضت لسخطك علي».

فاقتربت من شق في الباب وقرأت بصوت مسموع:

﴿ يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءامَنُوا قُوٓا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلحِجارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ ٱللّهَ ما أَمَرَهُم وَيَفْعَلونَ مَا يُؤْمَرونَ ﴾[١].

فسمعت أنّه ترتفع خلفي.

فلما كان الغد مررت بذلك المنزل فرأيت عجوزاً تبكي وتقول كان ابني يبكي كل ليلة من خشية الله وفي الليلة الفائة كان يناجي ربّه فسمع صوتاً يقرأ آيات العذاب فصرخ وبكى ثم غشي عليه وفارقت روحه بدنه.

قلت لها أنا: من فعل ذلك، وقد عرجت روحه إلى عالم البقاء فدعيني اغسّله؟ قالت: هو ذاك فافعل، فرفعت عن وجهه قطيفة فوجدت على صدره مكتوب بخط أخضر نحن غسلنا هذا الفتى بماء التوبة[٢].

عاقبة المذنب التائب

كان عبدالواحد بن زيد من زمرة الفسّاق والفجّار؛ فمرّ ذات يوم بمجلس يوسف بن الحسين وكان يعظ الناس وكان من العبّاد الزهاد فسمعه يقول والناس يصغون: «دَعَاهُم بِلُطْفِهِ كَأَنَّهُ مُحتاجٌ إِلَيْهِم».

١ ـ سورة التحريم: ٦.
٢ ـ انيس الليل: ٢٣٣.

فرمى عبدالواحد جبّة كانت عليه وأعول كالمرأة وانطلق يجري صوب المقبرة.

وفي تلك الليلة سمع يوسف بن الحسين في الرؤيا هاتفاً يقول له: أدرك الشاب التائب!

يعني بشّره بالمغفرة... وراح يوسف يبحث عن الشاب حتى وجده بعد ثلاثة أيام في المقبرة وكان يعفر وجهه بالتراب ويناجي ويبكي، فلما وقعت عينا الشاب على يوسف قال: أرسلوك قبل ثلاثة أيام فتأتيني الآن قال هذا ثم لفظ انفاسه وسلّم روحه إلى واهب الروح.

«ٱللَّهُمَّ مَوْلَاىَ كَمْ مِنْ قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ»
« وَكَمْ مِنْ فَادِحٍ مِنَ ٱلْبَلَاءِ أَقَلْتَهُ، وَكَمْ مِنْ عِثَارٍ وَقَيْتَهُ»
« وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ لَسْتُ أَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ»

أنت يا رب سترت عيوبي، وما أكثرها. ودفعت عني المشكلات وما أجلّها. وحرستني من العثار. ودفعت عن طريقي كل مكروه. وكنت تنشر ثنائي وترفع اسمي عالياً بين الناس وأنا لا استحق ذلك أبداً.

ان لذكر كلمة مولاي في حالة دعاء وانابة ممتزجة بالانين وفي قلب الليل وقد تكاثفت الظلمات في تلك الساعات المفعمة بالسكينة من ليلة الجمعة المباركة أن لها لذّة ما بعدها لذّة ومن أجل هذا قال موسى بن عمران يناجي ربّه:

«إنّ لِي فِي كَشكُولِ الفَقرِ مَا لَيسَ فِي خَزَائنِكَ.

فجاء النداء: وما ذا فيه يا موسى؟

قال: ربّا مثلك».

ان من أعظم النعم على الانسان ستر العيوب وعلى الانسان أن يدرك أن الذي يستر العيوب في الدنيا يستر العيوب في الآخرة. وان الله الذي حفظ للانسان كرامته أمام الناس يحفظ له سمعته أمام المؤمنين يوم القيامة.

وقد جاء في الحديث الشريف عن سيدنا محمّد ﷺ قال:

«مَا سَتَرَ عَلَى عَبدٍ فِى الدُّنيَا إلّا سَتَرَ عَلَيهِ فِى الآخِرَةِ»[١].

وقد ورد في الأثر عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ: ان جبرئيل نزل عليه بهذا الدعاء من السماء ونزل عليه ضاحكاً مستبشراً فقال: السلام عليك يا محمّد ﷺ قال: وعليك السلام يا جبرئيل، فقال: ان الله عزوجل بعث إليك بهدية، فقال: وما تلك الهدية يا جبرئيل؟ قال: كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بها، قال: وما هن يا جبرئيل؟ قال: قل:

«يَا مَن أَظهَرَ ٱلجَمِيلَ وَسَتَرَ ٱلقَبِيحَ، يَا مَن لَم يُؤاخِذ بِالجَرِيرَةِ وَلَم يَهتِكِ ٱلسِّترَ، يَا عَظِيمَ ٱلعَفوِ يَا حَسَنَ ٱلتَّجاوُزِ، يَا وَاسِعَ ٱلمَغفِرَةِ يَا بَاسِطَ ٱليَدَينِ بِالرَّحمَةِ، يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجوَى وَمُنتَهَى كُلِّ شَكوَى، يَا كَرِيمَ ٱلصَّفحِ، يَا عَظِيمَ ٱلمَنِّ، يَا مُبتَدِأً بِالنِّعَمِ قَبلَ اسْتِحقَاقِهَا، يَا رَبَّنَا وَيَا سَيِّدَنَا وَيَا مَولاَنَا وَيَا غَايَةَ رَغْبَتِنَا، أسأَلُكَ يَا اللّهُ أن لاَ تُشَوِّهَ خَلقِى بِالنَّارِ».

فقال رسول الله ﷺ لجبرئيل: ما ثواب هذه الكلمات؟ قال: هيهات هيهات انقطع العمل لو اجتمع ملائكة سبع سماوات وسبع أرضين على ان يصفوا ثواب ذلك إلى يوم القيامة ما وصفوا من كل جزء جزئاً واحداً فاذا قال العبد:

« يَا مَن أَظهَرَ ٱلجَمِيلَ وَسَتَرَ ٱلقَبِيحَ» ستره الله ورحمه في الدنيا وجمله في الآخرة وستر الله عليه ألف ستر في الدنيا والآخرة، وإذا قال «يَا مَن لَم يُؤاخِذ بِالجَرِيرَةِ وَلَم يَهتِكِ ٱلسِّترَ» لم يحاسبه الله يوم القيامة ولم يهتك ستره يوم تهتك الستور، وإذا قال: « يَا عَظِيمَ ٱلعَفوِ» غفر الله له ذنوبه ولو كانت خطيئته مثل زبد البحر، وإذا قال: « يَا حَسَنَ ٱلتَّجاوُزِ» تجاوز الله عنه حتى السرقة وشرب الخمر

١ ـ مجموعة الورّام: ١٨٩/١.

وأهاويل الدنيا وغير ذلك من الكبائر، وإذا قال: «يَا وَاسِعَ الْمَغفِرَةِ» فتح الله عزوجل له سبعين باباً من الرحمة فهو يخوض في رحمة الله عزوجل حتى يخرج من الدنيا، وإذا قال: «يَا بَاسِطَ الْيَدَيْنِ بِالرَّحمَةِ» بسط الله يده عليه بالرحمة، وإذا قال: «يَا صَاحِبَ كُلِّ نَجوَى وَمُنتَهَى كُلِّ شَكوَى» أعطاه الله من الأجر ثواب كل مصاب وكل سالم وكل مريض وكل ضرير وكل مسكين وكل فقير وكل صاحب مصيبة إلى يوم القيامة، وإذا قال: «يَا عَظِيمَ الْمَنِّ» أعطاه يوم القيامة منيته ومنية الخلائق، وإذا قال: «يا كريم الصفح» أكرمه الله تعالى كرامة الأنبياء، وإذا قال: «يَا مُبْتَدِأً بِالنِّعَمِ قَبلَ اسْتِحقَاقِهَا» أعطاه الله من الأجر بعدد من شكر نعماه، وإذا قال: «يَا رَبَّنَا وَسَيِّدَنَا» قال الله تبارك وتعالى: أشهدوا ملائكتي أن قد غفرت له وأعطيته من الأجر بعدد من خلقته في الجنة والنار والسماوات السبع والأرضين السبع والشمس والقمر والنجوم وقطر الأمطار وأنواع الخلق والجبال والحصى والثرى وغير ذلك والعرش والكرسي، وإذا قال: «يَا مَولَانَا» ملأ الله قلبه من الايمان، وإذا قال «يَا غَايَةَ رَغْبَتِنَا» أعطاه الله يوم القيامة رغبته ومثل رغبة الخلايق، وإذا قال: «أسأَلُكَ يَا اللّهُ أن لَا تُشَوِّهَ خَلقِي بِالنَّارِ» قال الجبار جل جلاله: استعتقني عبدي من النار اشهدوا ملائكتي ان قد أعتقته من النار واعتقت أبويه وأخوانه وأهله وولده وجيرانه، وشفعته في ألف رجل ممن وجبت لهم النار وأجرته من النار، فعلمهن يا محمّد المتقين، ولا تعلمهن المنافقين فانها دعوة مستجابة لقائلهن إن شاء الله تعالى، وهو دعاء أهل البيت المعمور حوله إذا كانوا يطوفون به[1].

جدير ذكره هنا انه لا ينبغي أن نتعجب لعظم ذلك الثواب العظيم لقراءة هذا الدعاء ذلك ان الكرم والجود الالهي لا حدود له ورحمته ولطفه لا نهاية له

---

١ ـ عدّة الداعي: الخاتمة.

وخزائنه عزوجل لا تنفد أبداً.

ان علياً عليه السلام وهو يقول «كَم مِن قَبِيحٍ سَتَرْتَهُ» يذكر البلايا التي دفعها سبحانه من زلازل وطوفان وصواعق محرقة وحرائق وجفاف وقحط ومصائب ونوائب كما يذكر نعمة الله عزوجل في صونه وحمايته من الأنزلاق في مهاوي الاثم والمعصية وما يعقب ذلك من زوال الصفات الحسنة وذبول شجرة الاخلاق الكريمة... ويذكر آلاء الله سبحانه ولطفه واحسانه اذ وفقه لرؤية النور وحفظ قلبه من سحب الذنوب، وما من عليه من ستر العيوب، ثم جعل له اسماً يذكره الناس بخير ويشيرون إليه بالثناء والرضا والاحترام. ولم يكن كل هذا عن استحقاق لذلك وإنما رحمة من الله الذي ستر عيوبه ونشر فضائله.

«اَللَّهُمَّ عَظُمَ بَلَائِي، وَأَفْرَطَ بِي سُوءُ حَالِي»

«وَقَصُرَتْ بِي أَعْمَالِي، وَقَعَدَتْ بِي أَغْلَالِي»

يا رب ولقد ساءت أحوالي ولا تنهض بي يا الهي أعمالي وها أنا مكبل يا رب بأغلالي!

وفي هذا المقطع دلالات على وصول حالة الداعي إلى الاحساس بعمق الفاجعة التي يعيشها؛ فهو قد اصبح أسير ذنوبه وصريع خطيئته وقد ادرك أنه لا نجاة له ممّا هو فيه إلّا باللجوء إلى القادر الحكيم والعالم والطبيب الذي سيشفيه ممّا يعانيه من انشداد إلى الأرض ومن كل ما يثقله ويقعد به عن التسامي والسير إلى المحبوب.

معنى البلاء

السالكون يعرفون دلالات «اَللَّهُمَّ عَظُمَ بَلَائِي» فهي:

١ ـ الذنب والمعصية

قيل ان المراد من البلاء هو الذنب والمعصية فالذنب اعظم واكبر الامراض.. والمعاصي امراض خطيرة وإذا لم يتدارك الانسان نفسه بالتوبة ويبادر إلى التكفير

عن ذنوبه بالاعمال الصالحة فان قلبه سيموت وإذا مات القلب فان علاقة الانسان بالله والمعاد ستنقطع وإذا انقطعت علاقة الانسان بالله والقيامة فسيكون مصيره الشقاء الأبدي والحرمان من رحمة الله.

يقول الامام السجاد علي بن الحسين عليه السلام :

«وأمَاتَ قَلبِى عَظيمُ جِنايَتى»[1].

فأجاب شكو ذنوبي.

سؤال و جواب

روي أن عثمان بن عفان دخل على عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له: ما تشتكي؟

قال: ذنوبي.

قال: ما تشتهي؟

قال: رحمة ربي.

قال: أفلا ندعوا الطبيب؟!

قال: الطبيب امرضني.

قال: أفلا نأمر بعطائك؟

قالك منعتنيه وأنا محتاج وتعطينيه وأنا مستغن!

قال: يكون لبناتك؟

قال: لا حاجة لهن فقد امرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فإني سمعت رسول

١ ـ الصحيفة السجادية: مناجاة التائبين.

الله ﷺ يقول: من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً[١].

مع أوس القرني

حكى هرم بن حيان قال: سمعت بشفاعة أويس فتمنيت لقاءه، فجئت الكوفة وانطلقت أسأل عنه حتى وجدته يتوضأ قال لي: يا بن حيان ما الذي جاء بك؟

قلت: استئناساً بك.

قال: ما اظن من يعرف الله يأنس بغيره.

قلت له: أوصني.

قال: يابن حيان! إن نمت فاحسب الموت تحت وسادتك وان استيقظت فظن الموت أمامك..

يابن حيان لا ستصغر ذنبك وانظر إلى عظمة من تعصي فمن استصغر ذنبه استصغر ربّه!!

٢ ـ النأي عن مقام القرب

وقيل ان المراد من البلاء النأي عن مقام القرب الالهي وهو مقام لا يتحصّل إلّا بالايمان والعمل الصالح والتخلّق بالأخلاق الحسنة حيث يحظى الانسان برضا الله عزوجل وهو مقام يجعل الانسان جليساً للانبياء والصدّيقين والشهداء يوم القيامة وحسن أولئك رفيقاً.

ان النأي والابتعاد عن هذا المقام يؤدي بالانسان إلى الانسلاخ عن آدميته وانسانيته ومن ثم السقوط في هاوية الشياطين والحيوانات الكاسرة التي لا

---

١ ـ تفسير مجمع البيان: سورة الواقعة.

تعرف غير البطش والقتل والافتراس، وحيث لا يوجد سوى الظلم والفجور والانحطاط والسقوط في بؤرة المعصية والأثم والفساد.

وأولئك الذين يتحركون صوب مقام القرب تغمرهم فيوضات خاصّة تجعلهم في حيوية ونشاط؛ قلوبهم مملوءة بالشوق والحب والعشق الالهي فهم بذكر الله مستغرقون وفي خدمته منهمكون.

أولئك في سير معنوي لا يلتفتون إلى شيء سوى لقاء المحبوب، والوصول إلى أحضان المعشوق قد امتلأت قلوبهم بالفيض الربوبي وغمرتهم حالة من الوجد الربّاني. ولقد كان يوسف الصديق مثالاً على الحب الالهي أحب الله فأحبه الله وأجتباه وأفاض عليه فانفتحت عليه من خلال الرؤى والاحلام أبواب المستقبل فحلّق نحو سماوات العلا وقد قذفوا به نحو غيابات الجبّ، ومادروا انهم يقذفون به نحو سماوات الحبّ.

وذلك القصر الذي هوى بزليخا نحو السقوط البشري المريع أحاله يوسف الصديق إلى عش دافئ مغمور بالحب الالهي؛ فعرج به نحو السماء إلى حيث القرب الالهي وذلك ما ينشده الانسان المؤمن.

٣ ـ الجهل

وقيل أن أعظم البلاء هو الجهل فهو أساس كل بلاء وشقاء وحرمان، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«اَلجَهْلُ داءٌ وَعَياءٌ»[1].

---

١ ـ غرر الحكم: ٧٣، حديث ١٨٤؛ ميزان الحكمة: ٨٦٨/٢، الجهل، حديث ٢٧٩٨.

«اَلجَهْلُ اَدْوَأُ الدَّاءِ»[١].

«اَلجَهْلُ مُميتُ اَلأَحْياءِ وَمُخَلِّدُ اَلشَّقاءِ»[٢].

«اَلجاهِلُ لَا يَعْرِفُ تَقْصِيرَهُ وَلَا يَقبلُ مِنَ النَّصِيحِ لَهُ»[٣].

«اَلجاهِلُ مَيِّتٌ وَإنْ كَانَ حَياً»[٤].

«اَلجاهِلُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُها، وَشَجَرَةٌ لَا يَخْضَرُّ عُودُها، وَأَرْضٌ لَا يَظْهَرُ عُشْبُهَا»[٥].

وقال في دعاء له:

«أَنَا اَلجَاهِلُ عَصَيْتُكَ بِجَهْلِى، وَارْتَكَبتُ اَلذُّنُوبَ بِجَهْلِى، وَسَهَوتُ عَنْ ذِكْرِكَ بِجَهْلِى، وَرَكَنْتُ إِلَى اَلدُّنْيَا بِجَهْلِى»[٦].

سوء الحال

المراد من سوء الحال هو الأخلاق الرذيلة التي هي من أخطر الأمراض وأشدّ فتكاً بروح الانسان وهي من أشدّ الحجب الظلمانية كثافة لأن سوء الأخلاق يمنع من وصول اشعة الفيض وكسب السعادة وتحقيق رضا الله.

﴿كَلَّا إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبونَ﴾[٧].

---

١ ـ غرر الحكم: ٧٣، حديث ١٠٩٥؛ ميزان الحكمة: ٨٦٨/٢، الجهل، حديث ٢٧٩٩.
٢ ـ غرر الحكم: ٧٥، حديث ١١٦٤؛ ميزان الحكمة: ٨٦٨/٢، الجهل، حديث ٢٨٠٢.
٣ ـ غرر الحكم: ٧٥، حديث ١١٥٢؛ ميزان الحكمة: ٨٧٠/٢، الجهل، حديث ٢٨١٧.
٤ ـ غرر الحكم: ٧٥، حديث ١١٦٣؛ ميزان الحكمة: ٨٧٠/٢، الجهل، حديث ٢٨١٨.
٥ ـ غرر الحكم: ٧٤، حديث ١١٢٣؛ ميزان الحكمة: ٨٧٠/٢، الجهل، حديث ٢٨٢٢.
٦ ـ بحار الأنوار: ٢١٩/٩٤، اليوم التاسع و العشرون.
٧ ـ سورة المطففين: ١٥.

وهذا تأكيد الهي على تزكية النفس من الصفات الرذيلة وتجميلها بالصفات الحسنة حيث يتوقف على ذلك مصير الانسان؛ من أجل هذا قال الله عزوجل:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾(١).

وقال سيدنا محمّد ﷺ:

«خَصلَتَانِ لا يَجْتَمِعانِ فِى مُؤْمِنٍ: اَلبُخلُ وَسُوءُ الخُلْقِ»(٢).

وقال سيدنا علي عليه السلام:

«لَا وَحْشَةَ أَوْحَشُ مِن سُوءِ الخُلْقِ»(٣).

وقال عليه السلام أيضاً:

«سُوءُ الخُلْقِ شَرٌّ قَرِينٍ»(٤).

وقال سيدنا محمّد ﷺ:

«إِنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ مِن سُوءِ خُلقِهِ أَسْفَلَ دَرَكِ جَهَنَّمَ»(٥).

التقصير في العمل

الانسان الذي يرنو إلى السعادة وبلوغ الكمال الروحي ودخول الجنّة عليه أن ينظم أعماله في ضوء القرآن الكريم وآياته البينات وثقافة أهل البيت عليهم السلام ويجب أن يقوم بكل ذلك في أخلاص ونية صادقة.

---

١ ـ سورة الشمس: ٩ ـ ١٠.

٢ ـ شرح نهج البلاغه: ٣٣٧/٦؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥٠٩٧.

٣ ـ غرر الحكم: ٢٦٥، حديث ٥٧٢٢؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥٠٩٨.

٤ ـ غرر الحكم: ٢٦٤، حديث ٥٦٩٧؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥٠٨٩.

٥ ـ محجة البيضاء: ٩٣/٥، كتاب رياضة النفس؛ ميزان الحكمة: ١٥٣٦/٤، الخلق، حديث ٥١٠١.

فالاعمال العارية من حُلل المعرفة ولا تنسجم مع ارادة الحق ولم تكن مفعمة بالحب والشوق أو كان للكسل وعدم الرغبة ظلال قاتمة عليها تمنع من وصول نور الاخلاص ويعبث بها البخل والحسد والاطماع والتكبر والغرور فكيف يمكن لمثل هذه الاعمال أن توصل صاحبها إلى شاطئ النجاة وتنقذه من الغرق في بحر الظلمات؟

من أجل هذا كان أميرالمؤمنين يتأوه في قلب الليل وهو يناجي ربّه ومحبوبه قائلاً:

«آه مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدَ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ!»[1].

وقد جاء في سيرة أويس القرني انه قال في شطر من الليل: هذه ليلة ركوع فيبقى راكعاً حتى مطلع الفجر فإذا حلّت الليلة التالية قال هذه ليلة سجود فيبقى ساجداً حتى الفجر. فقال له رجل: كيف تطيق ذلك تقضي الليل الطويل راكعاً أو ساجداً؟!

قال: ومتى كان الليل طويلاً؟ ليت الزمان من الازل إلى الأبد ليلة واحدة فأمضيه في سجدة واحدة!!

السلاسل والأغلال

يقول أهل البصيرة في تفسير: وقعدت بي أغلالي: لعل المراد من الاغلال الذنوب وبخاصّة الكبائر لأنها تشدّ الانسان إلى الأرض وتقعد به عن القيام بالطاعات والعبادة وتقذف به في هاوية الحرمان من الفيض الالهي. جاء في الأثر

١ ـ المناقب: ١٠٣/٢، فصل في السابقة بالزهد؛ عدة الداعي: ٢٠٩؛ بحار الأنوار: ١٥٦/٨٤، باب ٦، حديث ٤١.

ان أحدهم شكى إلى أميرالمؤمنين عليه السلام انه كان يؤدي الفريضة والنافلة ثم سلب التوفيق إلى ذلك منه! فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام :

«أَنْتَ رَجُلٌ قَدْ قَيَّدَتْكَ ذُنُوبُكَ»[١].

ولعل المراد من الاغلال تلك الروابط التي تشدّ الانسان إلى الحياة الدنيا بكل ما فيها من كثافة وطين وادران؛ لأن كل ذلك يعيق من حركة الانسان صوب الكمال المنشود.

ولعل المراد من الأغلال هي الملاهي التي تستغفل الانسان عن مهمته الحقيقية، فاذا هو مستغرق فيها منصرف بوجوده إليها معرضاً عمّا أُريد له من تحصيل الكمال.

وقد جاء عن سيدنا محمّد صلى الله عليه وآله قوله:

«مِن حُسْنِ إسلامِ اَلمَرْءِ تَركُ مَا لاَ يَعْنِيهِ»[٢].

١ ـ الكافي: ٣/٤٥٠، باب صلاة النوافل، حديث ٣٤.

٢ ـ بحار الأنوار: ١/١٥٠، باب ٤، علامات العقل.

«وَحَبَسَنِي عَنْ نَفْعِي بُعْدُ آمَالِي»

يا الهي آمالي المحلّقة في الأوهام هي التي تمنعني عن التوجه إليك.

الآمال البعيدة

الأمل نعمة كبرى أنعم الله بها على الانسان ولولاه لاستحالت الحياة إلى عبء لا يطاق.

ولولا الامل الذي تتوقد شعلته في النفس الانسانية لاصبحت الحياة خامدة بعد حراك ورماد تذروه الرياح.. فلا عمل ولا نشاط ولا حركة ولا حيوية وإنما يأس وقنوط وظلمات من الخمول يتراكم بعضها فوق بعض.

جاء في الأثر:

بينما عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يثير الأرض قال عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة. فقال عيسى عليه السلام: اللهم اردد إليه الأمل!

فقام فجعل يعمل[1].

ويتضرع الامام السجاد عليه السلام إلى الله عزوجل قائلاً:

---

١ ـ ميزان الحكمة: الأمل حديث ٦٧٥.

«اَسْأَلُكَ مِنَ الآمَالِ أَوفَقُها»(١).

الأمنيات خضراء والطموحات المشروعة من قبيل كسب العلم والرقي في الدرجات العلمية والتكامل الاخلاقي هي أمنيات ايجابية تساعد الانسان على تحقيق سعادته في الدنيا والآخرة، كما أن تقديم الخدمات للناس كبناء المدارس والمستشفيات، والمساجد وشق الطرق وتأسيس المكتبات والحوزات العلمية هي من مؤشرات الايمان.

غير ان المطلوب إلّا يكون همّ الانسان منصباً على الشؤون المادّية فقط، بحيث ينسى حياته الروحية؛ لأن الاهتمام بالحياة الماديّة يجعل المرء يعيش جفافاً في الروح، ممّا يعرّضه إلى هزّات روحية وازمات نفسية تنغص عليه حلاوة العيش.

من هنا يتوجب على الانسان أن يعيش الأمل المشروع الذي يؤمّن سعادته في الدنيا والآخرة؛ وقد ورد في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ما ينبغي على الانسان المؤمن التفكير في المستقبل فهناك اخطار جادّة من بعض الآمال الكاذبة والأوهام الخادعة يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«الأَمَلُ كَالسَّرَابِ يَغِرُّ مَن رَآهُ وَيُخْلِفُ مَنْ رَجَاهُ»(٢).

«اَلأَمَلُ خَادِعٌ غَارٌّ ضَارٌّ»(٣).

---

١ ـ بحار الأنوار: ١٥٥/٩١.، باب ٣٢، حديث ٢٢.
٢ ـ غرر الحكم: ٣١٢، حديث ٧٢٠٧؛ ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٨٣.
٣ ـ غرر الحكم: ٣١٣، حديث ٧٢٤٥، ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٨٤.

«اَلأَمانِيُّ تُعْمِي عُيونَ اَلبَصائِرِ»(١).

«اَلأَمَلُ سُلْطانُ اَلشَّياطِينِ عَلى قُلوبِ اَلغافِلينَ»(٢).

وجاء في مناجاة سيدنا موسى بن عمران عليه السلام:

«يَا مُوسَى! لَا تُطَوِّلْ فِي اَلدُّنْيا أَمَلَكَ فَيَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَاَلقاسِي اَلقلبِ مِنِّي بَعيدٌ»(٣).

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام:

«أَعوذُ بِكَ مِن دُنيا تَمْنَعُ خَيرَ اَلآخِرَةِ، وَمِنْ حَياةٍ تَمْنَعُ خَيرَ اَلمَماتِ، وَمِن أَمَلٍ يَمْنَعُ خَيْرَ اَلعَمَلِ»(٤).

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«مَنْ أَيْقَنَ أَنَّهُ يُفارِقُ اَلأَحْبابَ وَيَسْكُنُ اَلتُّرابَ وَيُواجِهُ اَلحِسابَ وَيَسْتَغْنِي عَمّا خَلَّفَ وَيَفْتَقِرُ إِلَى ما قَدَّمَ، كانَ حَرِيّاً بِقِصَرِ اَلأَمَلِ وَطُولِ اَلعَمَلِ»(٥).

إن الآمال العريضة والبعيدة لها آثار خطيرة في حياة ومصير الانسان، وقد تحرم الانسان من تلقي الفيض الالهي.

فالانسان مذ يفتح عينيه في هذه الحياة وهو ينطوي على قابلية التلقي.. تلقي الفيض الالهي وأمطار الرحمة فتتفتح في وجوده ورود الايمان وازهار الاخلاق الكريمة والعمل الصالح ولكن الآفات المدمّرة من قبيل الغفلة والتكبر والحرص والآمال العريضة السابحة في الأوهام أن كل هذا يلحق اضراراً فادحة بأغراس

---

١ ـ غرر الحكم: ٦٥، حديث ٨٦٠؛ ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٨٥.
٢ ـ غرر الحكم: ٣١٢، حديث ٧٢٠٦؛ ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٨٦.
٣ ـ الكافي: ٣٢٩/٢، باب القسوة، حديث ١؛ ميزان الحكمة: ١٨٨/١، الأمل، حديث ٧١٨.
٤ ـ اقبال: ٣٩٠؛ ميزان الحكمة: ١٨٦/١، الأمل، حديث ٦٩٠.
٥ ـ بحار الأنوار: ١٦٧/٧٠، باب ١٢٨، حديث ٣١.

الايمان والاخلاق ويطيح بالشجرة الطيبة للعمل الصالح.

﴿وَٱلبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَٱلَّذِى خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً﴾[1].

إنّ الآمال العريضة البعيدة هي كخيوط العنكبوت أو كشرنقة دودة القزّ، تعرقل وتعيق الانسان عن سيرة في الطريق إلى الله وتحقيق الغاية المنشودة وهي التكامل الانساني والرقي الأخلاقي.

وحقاً أن الآمال الكاذبة تغتال الانسان لأنه يبعثر سنوات عمره في محاولة تحقيقها.. انها كالسراب يحسبه الظمآن ماء وهو مجرّد موجات خيال وخداع..

كم من الآمال التي تبدو من بعيد حياة ملوّنة وسعادة وهي مجرّد سراب في سراب.

وما أكثر الذين يتصوّرون سعادتهم في جمع المال ثم تراهم يلهثون وراء الثراء حتى إذا تكدسّت الاموال في ارصدتهم وبنوا القصور الفخمة وركبوا السيارات الفارهة وجدوا أنفسهم يشعرون بالكآبة والفقر الروحي والأمراض النفسية!

أجل انهم اغتالوا أرواحهم وشطبوا على قلوبهم وضمائرهم واصبحوا يعيشون حياة حيوانية خالية من كل القيم الانسانية، يقول سيدنا محمّد ﷺ:

«اِنَّ اَخْوَفَ مَا اَخافُ عَلَيْكُم خَصْلَتَانِ: اِتّبَاعُ ٱلهَوَى وَطُولِ ٱلأَمَلِ، أَمَّا اَتّباعُ ٱلهَوَى، فَيَصُدُّ عَنِ ٱلحَقِّ؛ وَأَمَّا طُولُ ٱلأَمَلِ، فَيُنْسِى ٱلآخِرَةَ»[2].

إنّ على الانسان العاقل أن ينتبه إلى نفسه قبل فوات الأوان وأن يبادر إلى

---

١ ـ سورة الأعراف: ٥٨.

٢ ـ الكافي: ٥٨/٨، حديث ٢١؛ بحار الأنوار: ١٠٦/٢، باب ١٥، حديث ٢.

الخلاص من نير الأهواء النفسية ومن شرنقة الغرائز الحيوانية.

عليه أن يتأمل في مصير الغابرين وهذا القرآن الكريم فيه نبأ الذين سادو ثم بادوا... وهذه كتب التاريخ تتحدث عن الماضين من أجيال البشر... وهذه المقابر تعكس قصّة الانسان وتهتف من خلال صمتها بالكثير الكثير من العظات والعبر.

حكاية

حكى عطار النيسابوري: ذهب الحسن البصري ذات يوم إلى النهر فرآه حبيب الأعجمي وكان من الزهاد والعباد واقفاً على الشاطئ فقال للبصري ما وقوفك هنا وما تنتظر؟

قال: انتظر قارباً اعبر به إلى الجانب الآخر.

قال حبيب: يا معلّم انا تعلمت منك لو أن الناس اخرجوا الحسد من قلوبهم وأعرضوا عن طول الأمل وأطفأوا نار حب الدنيا في نفوسهم لمشوا على الماء... قال حبيب ذلك ثم وضع رجله في الماء ومشى فسقط الحسن مغشياً عليه فلما أفاق قيل له: ما جرى لك؟

قال تلميذي يتعلّم عندي والساعة ينبؤني ثم مشى على الماء، لو قامت القيامة وجاء النداء ان اعبر على الصراط فماذا افعل. ثم التفت إلى حبيب: من أين لك هذا المقام؟

قال: يا حسن أنا أجلي قلبي وأنت تسوّد قرطاسك.

فقال الحسن البصري:

«عِلْمِي يَنْفَعُ غَيْرِي وَلَمْ يَنْفَعْنِي».

«وَخَدَعَتْنِي ٱلدُّنيَا بِغُرُورِهَا»

لقد خدعتني هذه الدنيا بغرورها الأمنيات وبريق الأوهام.

هذه الدنيا تزخر بالحقائق والاباطيل... تموج بقطرات الندى وهي بحر يتلاطم بأمواج السراب البعيدة.

وما على الانسان إلّا أن ينظر إليها نظرة تأمل يسبر غورها فيستخرج لآلئ الحقيقة من بين أصدافها الغارقة في بحر الحياة...

الانسان الواعي الذي يعرف قصّة الحياة هو الذي يتمكن أن يقود قاربه في وسط البحر بحر الحياة متجهاً نحو شاطئ الحقيقة وساحل الأمان.

أما الانسان المغلوب على أمره... الانسان الذي ترك لأهوائه أن تسيطر عليه وترك صوت العقل والضمير جانباً فسوف يتخبط في رحلته وسوف تتكاثف عليه الظلمات حتى لا يستطيع بعد ذلك أن يرى الطريق.

لقد خدعه ما يحمل من متاع برّاق خدّاع... ولم يعد يفكر بان ما يحمله سوف يغرق قاربه فيهوي في الاعماق المظلمة.

الانسان في هذه الدنيا مجرّد عابر سبيل انه مسافر مهما بدت له الدنيا خدّاعة ومهما وسوس الشيطان يوحي له انها دار الخلود... هذه الحقيقة بكل وضوح كالشمس في الظهيرة العظمى...

هذه هي الحقيقة يكفي أن ينظر الانسان وراءه قليلاً ليرى كم خلف سنيناً

طويلة وراءه انه يتقدّم في العمر؛ كم من الناس يعرفهم كانوا ذات يوم أحياؤها هم الآن في عالم الموتى...

وهذه المقابر المسوّرة حيث الصمت الكامل... عالم من الموتى لا يفصلنا عنه سوى شبر من التراب؛ وها هو التاريخ يقف كشيخ طاعن في السن يروي للأجيال قصص الغابرين.

أين فرعون وقارون ونمرود وأين كل الذين ملأوا الدنيا ذات يوم ضجيجاً وعجيجاً؟!

أين أولئك الذين قادوا الحروب ودوّخوا العالم؟!

أجل اين قوافل الاجيال البشرية؟!

بل أين حضارات البشر؟ حضارات سادت ثم بادت وأصبحت أثراً بعد عين!!

يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم؟!

ولكن يا حسرة على العباد. يا حسرة على الانسان الذي يخدعه الوهم ويغتال عقله الخيال! تملأ سمعه أصوات الضجيج فلا يصغي إلى صوت النبوّات.

الأنبياء والأولياء والأئمة الطاهرون اكتشفوا سرّ الحياة الانسانية وادركوا أحابيل الشيطان... عرفوا الطريق إلى الله تبارك وتعالى رأوا النور بقلوبهم النقية. ودعوا الناس إلى اقتفاء الأثر... دعوهم ليستفيدوا من تجاربهم؛ ان طريق الأنبياء هو وحده الطريق الذي يؤدي إلى السعادة في الحياة الدنيا والخلود الأخضر في الآخرة.

يقول أميرالمؤمنين ﷺ وكأنه يخاطب الانسانية جمعاء:

«ايها الناس! كل أمرئ لاقٍ ما يفرّ منه في فراره... الأجل مساق النفس والهرب منه موافاته».

وقال في اللحظات الأخيرة من حياته:

«أنا بالأمس صاحبكم وأنا اليوم عبرة لكم وغداً مفارقكم... وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً... وستعقبون منّي جثةً خلاء... ساكنة بعد حراك.. وصامته بعد نطق.. ليعظكم هدوّي وخفوت اطراقي... وسكون اطرافي...».

ان من تخدعه الدنيا سيشقي في الآخرة، وعلى الانسان إلّا يعرض صفحاً عن طريقه الحقيقي نحو الله عزوجل؛ فيبتغي فيما آتاه الله من النعم الدار الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا؛ والدنيا مزرعة الآخرة.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«مَن زَهِدَ فِى ٱلدُّنْيَا أثبَتَ ٱللّهُ ٱلحِكمَةَ فِى قَلْبِهِ، وَأَنطَقَ بِها لِسانَهُ، وَبَصَّرَهُ عُيوبَ ٱلدُّنيا وَداءَها وَدَواءَها، وَأَخرَجَهُ مِنَ ٱلدُّنيا سَالِماً إِلَى دارِ ٱلسَّلامِ»[١].

ويقول لقمان الحكيم لابنه:

«يا بُنَيَّ! إنَّ ٱلدُّنيا بَحْرٌ عَميقٌ، قَد غَرِقَ فِيها عَالَمٌ كَثيرٌ، فَلْتَكُنْ سَفِينَتُكَ فيهَا تَقْوَى ٱللّهِ، وَحَشْوُهَا ٱلايـمَانَ، وَشِراعُـهَا ٱلتَّـوَكُّـلَ، وَقَـيِّمُهَا ٱلعَـقْلَ، وَدَلِـيلُهَا ٱلعِـلْمَ، وَسُكّانُهَا ٱلصَّبرَ»[٢].

أجل عند ما تكون الدنيا بحراً عميقاً متلاطم الأمواج فما أجمل وأروع ان تكون للانسان في رحلته عبر هذا البحر سفينة.

فسفينة هي التقوى.. تقوى الله وحده سفينة لا تهاب أحداً ولا تخشى إلّا الله، وقودها الايمان العميق، وشراعها التوكل على الله فهناك من يهدي هذه السفينة، عند ما يكون ربّان السفينة العقل بكل محاسباته المنطقية، وعند ما يكون الدليل هو

١ ـ وسائل الشيعه: ١٠/١٦، باب ٦٢، حديث ٢١٨٢٧.
٢ ـ الكافي: ١٥/١، كتاب العقل والجهل، حديث ١٢.

العلم الذي يضيء الطريق أمام الانسان وعندما يكون الصبر هو المسافر عبرها يتحمل ويقاوم دون ملل وكلل أو ضجر وتراجع.

ويقول سيدنا محمّد ﷺ:

«كُن فِي ٱلدُّنيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو كَأَنَّكَ عابِرُ سَبيلٍ، وَعِد نَفسَكَ فِي أصحَابِ ٱلقُبورِ»(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام لصاحبه:

«يَابْنَ جُنْدَبٍ! إنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُجَاوِرَ ٱلجَليلَ فِي دارِهِ، وَتَسْكُنَ ٱلفِردَوْسَ فِي جِوارِهِ، فَلْتَهُنْ عَلَيْكَ ٱلدُّنيا»(٢).

من خلال ميراث أهل البيت عليهم السلام فان الدنيا المذمومة التي حذّر منها القرآن الكريم والروايات هي الدنيا التي تقضي على مستقبل الانسان في الآخرة، الدنيا التي تصادر كرامة الانسان وتجعل منه ما هو أسوأ من الحيوان بكثير وإلّا فان الدنيا هي مزرعة الآخرة والدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون؛ ومعيار النجاح هو الايمان والعمل الصالح.

من أجل هذا حذّر الأئمة من أهل البيت من حبّ الدنيا لأنه رأس كل خطيئة وكانوا يدعون إلى الحب الالهي إلى حب الله وحده لا شريك له لا اله إلّا هو الواحد لا أحد.

هذه الدنيا مجموعة من الأوهام... مجرّد خيالات وأباطيل، ولا شيء سوى الله هو الحق والحقيقة.

والدنيا لا تساوي شيئاً وأن امتلأت ذهباً لأنها زائلة وما المستقبل إلّا في الآخرة لأنها خالدة.

---

١ ـ بحار الأنوار: ٩٩/٧٠، باب ١٢٢، حديث ٨٦.

٢ ـ تحف العقول: ٣٠٣؛ بحار الأنوار: ٢٨١/٧٥، باب ٢٤، حديث ١.

« وَنَفْسِي بِخِيَانَتِهَا وَمِطَالِي »

آه من نفسي انها تخونني... تخدعني وتماطلني في الانقياد...

ترويض النفس. السيطرة عليها ترشيدها هو المطلوب في تجربة الانسان في الحياة الدنيا... وأنه لمن الصعب أو المستحيل ادراك حقيقتها...

النفس إذا لم تروّض تستحيل إلى حيوان جموح صعب، تفعل ما تشاء وتورد الانسان إلى منزلقات خطيرة قد لا يستطيع الخلاص منها أو النجاة.

«الهوى» هذه المفردة التي تتداعى في أذهاننا مع آلاف الرغبات والميول النفسية.

فـ« هوى » فعل يعني السقوط من أعلى إلى أسفل سقوط سلبي يتضمن معنى الهلاك.

وهي فعل يعني الافراط في الحب سواء كان في الامور المادّية أو المعنوية.

و «الهوس» يعني التحطم، الفساد السقوط الحائر، هذا لغوياً ومعناها في علم النفس، حركة مضطربة تحدث في النفس الانسانية تجعل من الانسان مضطرباً فاقداً لحالة الطمأنينة والهدوء والتوازن وحيث تموج في النفس احاسيس ومشاعر مختلفة من قبيل الحبّ والبغض والحقد والغضب والنفور، وانسان في هكذا حالة نفسية لا يمكن له أن يخطو في طريق التكامل خطوة واحدة.

لأن من شروط السير في طريق الكمال هو الطمأنينة وسيطرة العقل على مقاليد الامور في مملكة الانسان، لأن انقياد الهوى للعقل شرط أكيد في عملية السير واستمرار هذه العملية نحو الأمام في طريق واضح وخط مستقيم.

من أجل هذا يأتي التأكيد على مراقبة الأطفال لأن الانسان في هذه السن معرّض لسيطرة الأهواء والهوس؛ فيستلزم تنمية الاخلاق القويمة تربيته على مسار يكفل له التقدم والنمو؛ المرأة أيضاً أنها معرضة لذلك فهي كائن يموج بالعاطفة والاحاسيس وهكذا خلقها الله عزوجل، لحكمة بالغة في بناء المجتمع الانساني ولذا ما ينبغي فعله هو ترشيد العاطفة في ما يخدم الانسانية واشاعة الحياة الدافئة.

الله عزوجل خلق الانسان وأودع أسرار الفطرة فيه... الفطرة الانسانية مستودع السرّ الالهي بما يحقق آدمية الانسان وتفوقه على الحيوان.

وخلق الله عزوجل العقل ليكون مرشداً لحركة الانسان فهو مركز المحاسبات المنطقية... وجعل الله تبارك وتعالى للانسان الضمير ليكون القانون الأخلاقي الذي يساعده على معرفة النبيلة. ومنحه جل شأنه الارادة ليحيا تجربته الانسانية مستقلاً بقراره... ومنحه تبارك وتعالى القلب مركز العاطفة الانسانية ومركز الحب والجزء الذي يتلقى الأنوار الالهية والوعي الكامل للحياة...

وخلق جلّت قدرته الاهواء النفسية لتكون الوقود الذي يغذي مسيرة الانسان فهناك آلاف الرغبات وأمواج الأمل الذي يجعل الانسان في نشاط دائم وحركة مستمرة والمطلوب من الانسان إلّا يسمح للهوى النفساني ان يتسلل إلى مركز القيادة وهو العقل... لان الأهواء لا تعرف الطريق... العقل وحده الذي يجب أن يرتبع على عرش القيادة وتكون الأهواء وقوداً للحركة فقط لا قائداً أهوج يجهل المسار الحقيقي الذي يؤدي بالانسان إلى الهدف المنشود وشطآن الأمان.

من هنا قيل من عرف نفسه فقد عرف ربّه وانه لمن الضروري أن يعرف الانسان نفسه التي بين جنبيه.

أوصاف النفس

هناك أوصاف للنفس ينبغي معرفتها:

١ ـ النفس الأمارة. ٢ ـ النفس الدسّاسة. ٣ ـ النفس السفيهة. ٤ ـ النفس المسّولة. ٥ ـ النفس المرتهنة. ٦ ـ النفس الهوائية. ٧ ـ النفس المتحسرة.

وهذه الآيات تشير إلى ذكرها بالترتيب.

﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾[١].

﴿ وَقَد خَابَ مَنْ دَسَّاها ﴾[٢].

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبراهِيمَ إِلّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾[٣].

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾[٤].

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٥].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلجَنَّةَ هِيَ ٱلمَأْوَىٰ ﴾[٦].

---

١ ـ سورة يوسف: ٥٣.
٢ ـ سورة الشمس: ١٠.
٣ ـ سورة البقرة: ١٣٠.
٤ ـ سورة يوسف: ١٨.
٥ ـ سورة المدثر: ٣٨.
٦ ـ سورة النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾[١].

يقول الشيخ البهائي في كتابه القيم «*الأربعين*»: ان المراد من النفس في الروايات هي القوى الحيوانية كالشهوة والغضب.

ويقول الغزالي في كتابه «*مدارج القدس*»:

«**يُطلَقُ النَّفسُ عَلَى الجَامِعِ للصِّفاتِ المَذْمُومَةِ المُضَادَّةِ لِلْقُوَى العَقْلِيَّةِ**».

ويرى الحكماء الالهيين جهاد النفس في ما يرتبط بالبدن وأوصافه البهيمية والسبعية والشيطانية وفي ما عدا ذلك فان النفس هي العقل ولها صفات الملائكة وبها يعبد الله عزوجل وبها يدخل الجنة.

ومن هنا يأتي جهاد النفس وكبح حالاتها البهيمية والسبعية والشيطانية للسيطرة عليها.

ولجم الحيوانات التي تعربد في أعماقها.

وفي قول رسول الله ﷺ:

«**أعدى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ**»[٢].

قال الحكماء: ان القاعدة هي انك ان احسنت إلى عدوّك صار صديقاً إلّا النفس فانك متى أحسنت إليها تصبح أكثر شراهة وطالبت بالمزيد.

فمن اتبع هواه انفصل عن عقله وكانت حياته جنوناً: وسئل بهلول عن عدد المجانين في المدينة.

---

١ ـ سورة الزمر: ٥٦.
٢ ـ عدة الداعي: ٣١٤؛ بحار الأنوار: ٦٤/٦٧، باب ٤٥، حديث ١.

فقال : وهل يمكن احصاؤهم ولكن سلوني عن عدد العقلاء !

آراء أميرالمؤمنين عليه السلام في اصلاح النفس

تتضمن كلمات أميرالمؤمنين عليه السلام المبثوثة في الكتب وبخاصّة « *نهج البلاغة* » و« *غرر الحكم* » آراء هامّة للغاية في اصلاح النفس :

«إذَا رَغِبتَ فِى صَلاحِ نَفْسِكَ فَعَلَيْكَ بِالإقتِصادِ وَٱلقُنوعِ وَٱلتَّقَلُّلِ»(١).

«صَلاحُ ٱلنَّفْسِ مُجاهَدَةُ ٱلهَوَى»(٢).

«سَبَبُ صَلاحِ ٱلنَّفْسِ ٱلعُزُوفُ عَنِ ٱلدُّنْيَا»(٣).

«دَواءُ ٱلنَّفْسِ ٱلصَّومُ عَنِ ٱلهَوَى»(٤).

«سَبَبُ صَلاحِ ٱلنَّفْسِ ٱلوَرَعُ»(٥).

«إنَّ تَقْوَى ٱللّهِ دَواءُ دَاءِ قُلوبِكُم.. وَطَهُورِ دَنَسِ أنْفُسِكُم»(٦).

«آفَةُ ٱلنَّفسِ ٱلوَلَهُ بِالدُّنْيَا»؛.

«رَأسُ ٱلآفَاتِ ٱلوَلَهُ بِاللَّذَّاتِ»(٧).

«طوُبَى لِمَن عَصَى فِرْعَوْنَ هَواهُ وَأَطاعَ مُوسَى عَقْلَه».

---

١ ـ غرر الحكم : ٢٣٧ ، اصلاح النفس ، حديث ٤٧٦٦ .
٢ ـ غرر الحكم : ٢٤١ ، مخالفة الهوى ، حديث ٤٨٨١ .
٣ ـ غرر الحكم : ١٣٦ ، الدّنيا آفة النفس ، حديث ٢٣٨٦ .
٤ ـ غرر الحكم : ٢٣٥ ، مراقبة النفس ، حديث ٤٧١٨ .
٥ ـ غرر الحكم : ٢٧١ ، صلاح الدين بهما ، حديث ٥٩١٢ .
٦ ـ نهج البلاغة : ٣١٢ ، خطبة ١٩٨ ، من خطبة له (ع) ينبه على احاطة علم اللّه .
؛ ـ غرر الحكم : ١٣٦ ، الدنيا آفة النفس ، حديث ٢٣٨٥ .
٧ ـ غرر الحكم : ٣٠٣ ، ذم اللذة ، حديث ٦٩٢٣ .

أجل هناك صراع حقيقي ومعركة داخل الوجود الانساني؛ هناك صوت يدعو إلى الحقيقة وهناك زعيق يصرخ لاتباع الهوى؛ وعلى الانسان أن ينصر العقل في صراعه مع الأهواء النفسية...

ان موسى العقل يقاوم عربدة فرعون وملأه ويجب على الانسان أن ينصر موسى في صراعه ضد الفراعنة أن يكون مثلاً هارون إذ آزر أخاه وآزر الحق في صراعه المرير ضد الباطل.

﴿ سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهارُونَ ﴾[1].

﴿ إِنَّهُما مِن عِبادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

ان على الانسان أن يقوم بحملة تطهير كاملة لازالة الادران والأوساخ.

«طَهِّرُوا أَنْفُسَكُم مِن دَنَسِ الشَّهَواتِ، تُدرِكُوا رَفِيعَ الدَّرَجاتِ»[3].

أجل أن من يريد الرقي في سلم الكمال الانساني محلّقاً بحرية بعيداً عن سجن الطبيعة؛ بكل طينها وادارنها، عليه أن يطهر نفسه من كثافات المادّة وصدأ الشهوات الحيوانية حتى يمكن للروح أن تتخفف من كل ما يشدّها إلى الأرض؛ وحينئذ يمكنها التحليق في عالم مفعم بالصفاء والنقاء؛ في عالم يزخر بالطمأنينة والسلام.

يقول الحكماء انه يمكن للانسان أن يزكي نفسه من خلال طريق من هذه الطرق الاربعة:

---

١ ـ سورة الصافات: ١٢٠.

٢ ـ سورة الصافات: ١٢٢.

٣ ـ غرر الحكم: ٣٤٠، تهذيب النفس، حديث ٤٨٥١.

١ ـ تعلم الأدب من عديمي الأدب.
٢ ـ معاشرة أهل الأدب.
٣ ـ البحث عن عيوب النفس من خلال الاصدقاء الحقيقيين.
٤ ـ اقصاء العيوب التي يسمع بها من خلال اشارة الأعداء.

المطال

ان أخطر شيء على النفس هو ما تمارسه من مطال وتسويف فهناك لو اصغى الانسان إلى ما يجري في أعماقه جدل حول الاصلاح الحقيقي... هناك وعي كامل لما يرتكبه الانسان من أخطاء، وكأن العقل باعتباره مركز المحاسبات المنطقية يوم بمناقشة الاعمال والأفعال البشرية ويقوم بتطبيقها على معايير دقيقة؛ فيظهر خطؤها أو صوابها، وهنا يأتي دور الضمير الذي يقوم بإجراء الأحكام فإن كانت الاعمال خاطئة تعرضت الروح إلى لوم شديد وتقريع ما يدعى بعذاب الضمير، حيث يجد الانسانه نفسه متهماً ومداناً على تصرفه الخاطئ، وان كان صواباً وخيراً أصدر الضمير كقانون أخلاقي أشارات الارتياح التي تظهر على وجه الانسان فتشرق البسمة فوق الشفاه وعلى الجبين فيما تتألق أنوار مشعّة في العينين.

«يَا سَيِّدِي فَأَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ أَنْ لَا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعَائِي سُوءُ عَمَلِي وَفِعَالِي

يا الهي! هذه أعمالي البائسة تستحيل إلى حجب تحول دون وصول دعائي إليك.

يا الهي الرحيم اتضرع إليك إلّا تجعل سيئات أعمالي حاجباً بيني وبينك.

انقطاع طريق الدعاء

الذنوب والمعاصي حجاب يضرب على الانسان ويحول بينه وبين ربّه إذا لم يتدارك الأمر بالتوبة والندم والاستغفار وإذا لم يفعل ذلك لا سمح الله، فان الانسان سيعيش حالة من الحرمان من الفيض الالهي.

ان انسداد طريق الدعاء وحرمان العبد من الاجابة مؤشر على طرده من ساحة الله عزوجل.

يقول عاشق الهي: لو حرمت من الدعاء لكان اشق علي من حرمان الاجابة.

وفي هذا المقطع من الدعاء يتضرع الداعي إلى ربّ العزة إلّا تحول الذنوب والمعاصي دون وصول الدعاء إلى الله عزوجل؛ وجاء في الأثر ان أميرالمؤمنين مرّ مع بعض اصحابه على شاب قد ادار وجهه إلى الحائط وكان يقسم على الله عزوجل بعزّته فقال أميرالمؤمنين: انه أقسم على الله بما يضمن الاجابة.

أجل ان الله الرحيم القدير قادر على ازالة الحجب التي يصنعها العبد بذنوبه ومعاصيه ويفتح عليه الطريق.

إنّ الله الذي قال للنار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم، ومنع السكين من ذبح اسماعيل، قادر على ابطال آثار الذنوب والمعاصي في قطع الطريق على دعـاء الانسان وقضاء حاجاته.

« وَلَا تَفْضَحْنِي بِخَفِيِّ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرِّي »

الهي ولا تفضحني، لا تهتك سترك الذي سترتني به وأنت تعرف أسراري.

الستر

على الانسان أن يدرك ان الله عالم الغيب والشهادة، مطلع على كل شيء، لا يعزب عن علمه مثقال شيء في السماوات والأرض، يعلم ما جرى في الغابر والحاضر ويعلم ما في المستقبل وما سيجري من حوادث في ضمير الغيب كل شيء حاضر عنده...

يعلم خطرات الانسان وأسراره ونواياه وما يمرّ في خاطره من أفكار.

نستطيع أن نخفي أخطاءنا عن الناس عن الوالدين... عن أولادنا، ولو اطلعوا على حقيقتنا كما هي، لطردنا المجتمع ونبذنا أصدقاؤنا وأهلونا... الله وحده الذي يعلم ما نخفي، نعصيه فيستر علينا، ونرتكب الذنوب فلا يفضحنا ان العبد في هذا المقطع من الدعاء يتضرع إلى الله ويتوسل إليه أن يستر عليه ولا يفضحه ويهتك أسراره... والله عزوجل هو ستار العيوب.

وعلى الداعي وهو يتوسل إلى الله ويتضرع إليه أن يتيقن ويتأكد بان الله عزوجل لا يفضح عباده التائبين... حتى يوم القيامة يأتي النداء اني احاسب

عبدي فلان حتى لا يطلع من في المحشر على ذنوبه وحتى لا يفتضح أمره فيخجل.

يقول الامام الرابع سيد الساجدين وزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في دعائه المعروف «دعاء أبي حمزة الثمالي».

«سَتّارُ الْعُيُوب، غَفّارُ الذُّنُوب، عَلّامُ الْغُيُوب، تَسْتُرُ الذَّنْبَ بِكَرَمِكَ وَتُؤَخِّرُ الْعُقُوبَةَ بِحِلْمِكَ».

ان بعض الناس من عباد الرحمن الذين اتصفوا بالاخلاق الحسنة والفضائل يسترون على غيرهم عيوبهم وقد نشعر بالدهشة لاؤلئك البشر الذين بلغوا شأواً عجيباً في سترهم على عيوب الآخرين، فكيف بالله عزوجل وهو الستّار؟!

جاء في قصص الأنبياء أن يعقوب عليه السلام طلب من ابنه يوسف عليه السلام أن يقص ما جرى عليه يوم تآمر اخوته عليه فقال يوسف الصديق:

﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[1].

حكاية

روي أن أبا عبدالرحمن حاتم بن يوسف المعروف بالأصم كان من أعيان خراسان وكان عالماً ورعاً تقياً وقيل انه عرف بالأصمّ لأنه كان يتظاهر بالصمم بعد حادثة وقعت وهي أن امرأة جاءت إليه تسأله عن بعض المسائل فخرجت من معدتها الريح فشعرت بالخجل الشديد ولكن الرجل أعرض فأشار إلى أذنه متظاهراً بالصمم وانه لم يسمع سؤالها ولم يفهم ما أرادت وطلب منها أن تتكلم بصوت مرتفع ليسمع ففرحت المرأة وحمدت الله عزوجل ان ستر عليها ولم

---

١ ـ سورة المائدة: ٩٥.

يفضحها أمام الرجل؛ وقد ظل العالم منذ لك الحين يتظاهر بـالصمم إلى رحـلت المرأة عن الدنيا.

ولما توفي الاصمّ رآه رجل صالح في عالم الرؤيا وسأله عن حاله: ما فعل الله بك؟

قال: عفا الله عن جميع ذنوبي لأني تظاهرت بعدم سماع ما يسمع.

« وَلَا تُعَاجِلْنِي بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ مَا عَمِلْتُهُ فِي خَلَوَاتِي »

« مِنْ سُوءِ فِعْلِي وَإِسَائَتِي، وَدَوَامِ تَفْرِيطِي وَجَهَالَتِي، وَكَثْرَةِ شَهَوَاتِي وَغَفْلَتِي »

وامهلني يا الهي ولا تعاقبني بسبب ذنوبي وما فعلته في خلوتي.. اعترف يا رب بجهلي وتهافتي على الشهوات واعترف بانني كنت غافلاً يا رب!

يستفاد من المعارف الالهية انه لو عجلت العقوبة، ما ترك على الأرض دابّة ولكنها رحمة الله وسعت كل شيء؛ وان الله عزوجل يمهل عباده ويفتح أبواب التوبة لعودة من ينيب ويكفّر عن ذنوبه ويقضي ما أوجب الله عليه من فرائض.

وربّما تؤخر العقوبة من أجل مؤمن يخرج من صلب العبد الآبق، وربّما يرفع العذاب والانتقام الالهي؛ لبكاء الاطفال ودعوات خالصة من عاشق ودموع تجري من عيون ساهرة في منتصف الليل أو لتوبة نصوح؛ وإذا بالعذاب الذي كان قاب قوسين أو أدنى يرتفع وتنزل رحمة الله.

ان الاستغراق في المعاصي بلا وازع ولا حياء؛ قد يعجل في العقوبة ولكن الدعاء والتضرع إلى الله والعزم على اصلاح ما فسد يوقف نزول العذاب وهذا ما حصل لقوم يونس فقد كاد العذاب أن يحيل حاضرتهم إلى أثر بعد عين لولا أن تداركتهم رحمة من الله بدعاء وتوبة وندم.

ويجب أن نلتفت إلى هذه الحقيقة وهي أن العقاب الالهي قد يحصل في الدنيا ويكون بصورة قحط وجفاف يضرب أطنابه، وربما جاء على شكل بلايا سماوية،

أو يعمّ الغلاء في الاسعار أو اختفاء الثقة في المجتمع أو على شكل مسخ باطني، فيستحيل الناس إلى ذئاب وخنازير ترتدي أهاب انسان كاذب فتقسوا القلوب وتصبح كالحجارة أو أشدّ قسوة.

يقول سيدنا محمد في حديث له مع وصيّه علي عليه السلام وهو يكشف له عمّا سيحصل من بعده:

«يَا عَلِيُّ! إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ [بَعْدِي] بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ، وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ الْكَاذِبَةِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَةِ، فَيَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَالسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ، وَالرِّبَاءَ بِالْبَيْعِ»[1].

﴿كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ﴾[2].

ان مقطع الدعاء يشير إلى ما يلي:

١ ـ التفريط. ٢ ـ الجهل. ٣ ـ الشهيرة. ٤ ـ الغفلة.

التفريط

المراد من التفريط هنا التقصير في الطاعة والعبادة وفي خدمة الناس الذين عباد الله.

ان المعارف الدينية تحذّر الناس من السقوط في ورطة التفريط لأن التفريق خسارة كبرى وسبب في الحرمان من الفيض الالهي، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

---

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٥٦، و من كلام له (ع) خاطب به اهل البصرة؛ بحار الأنوار: ٥٦/١٠٠، باب ٤، حديث ٣٢.

٢ ـ سورة البقرة: ٦٥.

«اَلتَفْرِيطُ مُصِيبَةِ اَلقَادِرِ»[١].

«ثَمَرَةُ اَلتَّفْرِيطِ اَلنَّدامَةُ، وَثَمَرَةُ اَلحَزْمِ اَلسَّلَامَةُ»[٢].

«اَلجَنَّةُ غَايَةُ اَلسَّابِقِينَ، وَاَلنَّارُ غَايَةُ اَلمُفَرِّطِينَ»[٣].

ويقول الامام الصادق عليه السلام :

«مَنْ فَرَّطَ تَوَرَّطَ»[٤].

الجهل

الجهل بالحقائق وأمور الدنيا والآخرة والواجبات والحقوق للذات والآخرين؛ من الأمراض الخطيرة التي إذا لم يتداركها الانسان بدواء العلم والمعرفة فانها ستؤدي به إلى الهاوية ولقد اشرنا إلى خطورة الجهل فيما مضى في شرح «وتجرّأت بجهلي» الواردة في الدعاء الكريم.

الشهوة

الشهوة هي الرغبة الشديدة في شيء فيصبح أشباعها هدفاً أكيداً لابدّ منه.

وعندما تكون هذه الرغبة والشهوة في أمر حرام، فانها ستؤدي بالانسان إلى الوقوع في المعصية والخطيئة وبالتالي اغتيال الروح والعقل والسقوط في عذاب

١ - غرر الحكم: ٤٧٩، متفرقات اجتماعى، حديث ١١٠٠٩.
٢ - نهج البلاغة: الحكمة ١٨١.
٣ - نهج البلاغة: ٢٢١، الخطبة ١٥٧.
٤ - تحف العقول: ٣٥٦.

الدنيا وعذاب الآخرة.

إنّ هياج الشهوات والرغبات والانشداد المفرط إلى الدنيا وملذاتها سوف يساعد على انبات شجرة الوساوس الشيطانية وسوف تكبر هذه الشجرة وتتفرع أغصانها لتنشب في كل حرام وتصبح الشجرة الملعونة ولن تكون ثمارها سوى اقتراف المعاصي والبعد عن الله تبارك وتعالى والحرمان من رحمته ومن ثم السقوط في هاوية الجحيم.

ان هذه الشجرة من اشجار جهنم وشجرة الزقوم ولا يمكن اجتثاثها إلّا بفؤوس الموعظة والنصيحة واللجوء إلى الله عزوجل والعودة إليه والتأمل في العاقبة والاعتبار من الحوادث.

يقول أهل الحقيقة:

إنّ من أخطر أغصان هذه الشجرة التي لها جذور في النفوس والسبب في بروز المعاصي والذنوب سبعة أغصان:

١ ـ شهوة الجاه والرئاسة.

٢ ـ شهوة المال والثراء.

٣ ـ شهوة امتلاك القصور المنيفة.

٤ ـ شهوة الجنس مع الحسناوات.

٥ ـ شهوة البطن والأكل اللذيذ.

٦ ـ شهوة اللبس وارتداء الفاخر من الثياب من الحرير وغيره.

٧ ـ شهوة المعاشرة مع أهل المجون والآثمين.

هذه شهوات سبع تكمن وراء بروز الصفات الشيطانية في باطن الانسان والحؤول دون سطوع شمس العرفان على قلوب الغافلين:

١ ـ التكبر. ٢ ـ الرياء التظاهر. ٣ ـ الحسد والحقد. ٤ ـ الحرص والطمع. ٥ ـ

البخل. ٦ ـ الظلم. ٧ ـ الغضب.

ويحتاج شرح كل من هذه الشهوات السبع إلى كتاب لما لها من آثار سلبيه ولما تسببه من خسائر ولما تفتحه من نوافذ على الجحيم.

الساقطون في هاوية حب الدنيا والغارقون في ظلمة الشهوات ما أن يصلوا إلى حافّة الأجل وتأتيهم سهام الموت حتى يفيقوا من غفلتهم وحينئذ يدركوا حجم الخسارة التي نزلت بهم والطامّة الكبرى التي وقعوا فيها.

أجل سوف يرون ببصر كالحديد أن كل حياتهم الصاخبة رماد تذروه الريح، فيتبدل فرحهم حزناً وصفاء عيشهم كدورة.

حكاية

إنّ حال من سقطوا في حبّ الدنيا ومن غرقوا في ظلام الشهوات حال ذلك الأمير الذي أراد والده السلطان تزويجه فخطب له حسناء من الأسر الشريفة لها جاه وثراء.

ولما حانت ليلة الزفاف ودعي لها الخاص والعام وفتحت خزائن السلطان للاحسان وتوزيع الجوائز واضيئت مصابيح المهرجان ارتفعت اصوات الطبول والغناء وجيء بالمهرّجين يقومون بحركات مضحكة ليعم السرور ويشيع الحبور.

وجيء بالعروس في حجلتها وقد زينت بانواع الزينة فأضافت الفتنة إلى فتنتها وبحثوا على العريس فلم يجدوا له أثراً.

وأما ما كان من شأن العريس فقد راح يحتسي كؤوس الخمر حتى سكر ولم يعد يعي من حوله وما حوله فخرج من الاحتفال وقصر والده السلطان وراح يترنح في أزقة المدينة، فصادف عربة من تلك العربات التي يحمل فيها المجوس موتاهم وكان من تقاليدهم أنهم يضيئون حولها الشموع. فلما وقعت عيناه عليها

ظنها حجلة العروس فولج إليها فوجد فيها جسداً لعجوز شمطاء ظنها عروسه فراح يتمرغ فوق الجنازة؛ حتى هبّت نسائم الصبح فافاق الامير من سكرته ووجد نفسه في عربة الموتى إلى جانب جثة تلك العجوز فأشرف على الهلاك من شدّة الخجل والحياء وودّ لو ابتلعته الأرض قبل أن يراه الناس على هذا الحال وفيما هو يحاول الفرار من هذا العربه إذا بالسلطان ومعه الخدم والحشم فوقفوا على فضيحته وعاره.

وهذا حال من سقط في هاوية حبّ الدنيا وغرق في الشهوات فضيّع عرس الآخرة بسكر الشهوات في الدنيا فقادته إلى مضاجعه جسد عجوز شمطاء ميتة!!

روى الامام الصادق عليه السلام عن آبائه عن جدّه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله قوله:

«طُوبَى لِمَنْ تَرَكَ شَهْوَةً حَاضِرَةً لِمَوْعُودٍ لَمْ يَرَهُ»(١).

وعنه صلى الله عليه وآله قال:

«حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً:

«اَكْثَرُ مَا تَلِجُ بِهِ أُمَّتِي النَّارَ الأَجْوَفَانِ: البَطْنُ وَالفَرْجُ»(٣).

الغفلة

وهي ضد الانتباه يعني الانصراف عن شيء يجب أن ينتبه إليه الانسان ويهتم به.

---

١ ـ الأمالي للشيخ المفيد: ٥١، المجلس السادس، حديث ١٨.
٢ ـ بحار الأنوار: ٦٨/٧٢، باب ٦٢.
٣ ـ بحار الأنوار: ٦٨/٢٦٩، باب ٧٧، حديث ٥.

ان الاستغراق المفرط في الامور المادّية والألتهاء بها والانصراف الكلّي إلى ظواهر الحياة والانشغال بها إلى حدّ اللهاث وراءها ليل نهار من دون ترك فرصة للتأملات العقلية في مسائل أساسية ومصيرية تؤدي إلى الغفلة التامّة ونسيان الله والدين والمعاد والطاعة والعبادة والتديّن.

يقول الامام علي عليه السلام في بعض حكمه وموعظه العميقة:

«اَلْغَفْلَةُ أَضَرُّ الأَعْدَاءِ»[١].

«وَيْلٌ لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الغَفْلَةُ فَنَسِيَ الرِّحْلَةَ وَلَمْ يَسْتَعِدَّ»[٢].

«مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الغَفْلَةُ مَاتَ قَلْبُهُ»[٣].

«دَوَامُ الغَفْلَةِ يُعْمِي البَصِيرَةَ»[٤].

ويقول الامام الحسن السبط عليه السلام:

«اَلغَفْلَةُ تَرْكُكَ المَسْجِدَ وَطَاعَتُكَ المُفْسِدَ»[٥].

---

١ ـ غرر الحكم: ٢٦٥، حديث ٥٧٤٤؛ ميزان الحكمة: ٤٣٦٢/٩، الغفلة، حديث ١٥١٣٥.
٢ ـ غرر الحكم: ١٤٦، حديث ٢٦٥٦؛ ميزان الحكمة: ٤٣٦٢/٩، الغفلة، حديث ١٥١٤٣.
٣ ـ غرر الحكم: ٢٦٦، حديث ٥٧٦٥؛ ميزان الحكمة: ٤٣٧٢/٩، الغفلة، حديث ١٥٢٠٧.
٤ ـ غرر الحكم: ٢٦٦، حديث ٥٧٦٢؛ ميزان الحكمة: ٤٣٧٢/٩، الغفلة، حديث ١٥٢٠٨.
٥ ـ بحار الأنوار: ١١٤/٧٥، باب ١٩، حديث ١٠؛ ميزان الحكمة: ٤٣٧٢/٩، الغفلة، حديث ١٥٢٠٣.

«وَكُنِ ٱللّٰهُمَّ بِعِزَّتِكَ لِي فِي الأَحْوَالِ كُلِّهَا رَؤُوفاً، وَعَلَيَّ فِي جَمِيعِ الأُمُورِ عَطُوفاً»

اغمرني بالعطف وانثر عليّ الرأفة يا الهي!

لا يمكن لأحد أن يشرح أو يصور الرأفة والرحمة الالهية للمحبوب حتى لو أوتي علماً واسعاً وقدرة على البيان البليغ.

ان القرآن الكريم يصوّر لنا جانباً من رحمة الله ورأفته حيث تتجلى في آياته عزوجل.

وقد جاء في الأثر ان سيدنا محمد ﷺ سأل الله عزوجل أشياء منها أن يوكل إليه حساب امّته فجاءه النداء: أنت وإن كنت نبي الرحمة ولكنك، لست أرحم الراحمين ولو اطلعت على بعض خطاياهم لنفرت منهم... يا محمد احاسبهم واستر عنك ذنوبهم وأنت نبي الرأفة ومظهر الرحمة الواسعة فكيف لا استرهم عن غيرك؟!

يا محمد أنت وإن كنت رحمة النبوّة فأنا الرحمة الالهية.

أنت راهم اليوم وأنا أراهم إلى الأبد.

حكاية

حكى الشيخ البهائي: سمعت ممن اثق به أن مذنباً قد توفي وطلبت زوجته

من الناس أن يجروا له مراسم الغسل والكفن والدفن، ولكن الناس ولشدّة بعضهم إيّاه لم يحضروا إلى ذلك، فاضطرت إلى استئجار شخص لحمل جنازته إلى مسجد المدينة فلعل أهل الايمان يقومون بتجهيزه ومع ذلك لم يحضر أحد، فاضطر الأجير إلى حمل الجنازة إلى الصحراء ودفنها دون غسل وكفن.

وكان في تلك الفلاة جبل قريب وكان زاهد يعيش في ذلك الجبل، فلما رأى الجنازة عن بعد هبط من الجبل يشارك في مراسم الدفن فلما سمع الناس في الأطراف ذلك تبادروا لمساعدة الرجل الزاهد.

ولما أتمّوا الدفن سألوا العابد عن سرّ نزوله من الجبل والمشاركة في دفن الميت؛ فقال: رأيت في عالم الرؤيا هاتفاً يقول لي: اترك صومعتك غداً واتجه إلى المكان الفلاني في الصحراء لدفن جنازة ميت ليس يرافقه إلّا زوجته فصل عليه فقد غفر الله له.

فتعجب الناس من ذلك فسأل العابد المرأة عن زوجها فقالت ما مرّ يوم إلّا وأذنب فيه ذنباً؛ فقال العابد: الا تعلمين له عملاً صالحاً؟ قالت: رأيت له ثلاثة من أعمال الخير:

١ ـ كان كلما أذنب خلع ثيابه وارتدى ثياباً نظيفة وتوضأ وصلّى بخشوع.

٢ ـ لم يخلو بيته من يتيم قط وكان يحسن إلى اليتامى أكثر من أولاده.

٣ ـ كان إذا استيقظ في الليل بكى وقال: أي ربّ! أي زاوية من زوايا جهنم سترميني؟!

حكاية أخرى

وحكى عطار النيسابوري: كان لعبد الله بن المبارك غلام تعاقد معه إذا سدّد ثمنه من كدّه اعتقه؛ فجاء رجل ذات يوم إلى عبدالله بن المبارك وقال له: ان

غلامك ينبش القبور ليلاً! ويسرق أكفان الموتى ويبيعها ويحصّل الدينار والدرهم ويأتي به إليك!

فاغتمّ عبدالله بن المبارك لذلك، فلما حلّ الليل وانسلّ الغلام من المنزل، راح عبدالله يتعقبه حتى وصل المقبرة، فرأى الغلام يلج قبراً وقد ارتدى ثوباً خَلِقاً وفي عنقه سلسلة؛ ثم عفر وجهه بالتراب وراح يناجي بصوت يقطّع نياط القلب فانتحى عبدالله جانباً وراح يبكي... وظل الغلام حتى السحر مشغولاً في مناجاته ودعائه ثم خرج من القبر وولّى وجهه شطر المدينة؛ فولج أول مسجد في الطريق ووقف لصلاة الفجر ثم قال بعد صلاته: وهو يمدّ كفّه: اللهم يا مولاي الحقيقي طلع علي الصبح ومولاي المجازي يريد مني درهماً وديناراً أي رب يا غياث المستغيثين ويا دليل المتحيّرين.

وفي تلك اللحظات انبثق نور وخرج منه دينار ليسقط في كفّ الغلام.

فلم يصبر عبدالله بن المبارك وبادر إلى الغلام وهو يقول: فداك أبي وأمي؛ وعانقه: ليتني كنت غلامك.

ولما راى الغلام ما يصنع به مولاه ابن المبارك نظر إلى السماء وقال: اللهم لم يكن يعلم سرّي إلّا أنت الآن وقد عرف سرّي غيرك فاقبضني إليك ثم تمتم بكلمات وفاضت روحه الطاهرة... وقام عبدالله بدفنه في ثوبه الخلق فرأى رسول الله ﷺ في تلك الليلة ومعه ابراهيم خليل الله راكبين براقاً قادمين نحوه؛ فلما وصلا قريباً من عبدالله قالا له: لم دفنت حبيبنا في ثوبه الخلق؟!

أجل ان الله عزوجل رحيم بعباده تشملهم رأفته في كل حال؛ فكيف في وقت الدعاء والمناجاة والتوبة والعودة إليه سبحانه.

«إِلَهِي وَرَبِّي مَنْ لِي غَيْرُكَ، أَسْأَلُهُ كَشْفَ ضُرِّي، وَالنَّظَرَ فِي أَمْرِي»

ويا الهي ما لي أحد سواك... فإلى من أتوجه بسؤالي ومن غيرك يـا الهـي يكشف الكرب الذي حلّ بي؟

أي نبع في الوجود سوى فيض نبعك أنت يا رب الخير المطلق... فإليك يا رب اتوجه في سؤالي في كل أحوالي... في دنياي وآخرتي.

ويا مولاي إلى من أتوجه وأنا البائس ومن يغيثني وأنا المكروب.

أنت وحدك يا سيدي المقصود في الحاجات... وأنت وحدك نبع الاحسان والكرم... وأنت وحدك الكمال المنزّه من كل نقص وعيب.

ولو قصدت غيرك يا الهي، قصدت بخيلاً لا يجود وعاجزاً لا حول له ولا قوّة وضعيفاً لا يحير ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً... ولو قصدت غيرك يا رب؛ قصدت مخلوقاً مثلي وفقيراً بائساً لا يملك من نفسه شيئاً...

أنت يا الهي وحدك واجب الوجود؛ فعليك توكلي وأنت وحدك الرازق الذي إذا مددت كفي إليك لم تردّني خائباً؛ كيف وأنت الذي ترزق بلا سؤال وتعطي يا مغيث المكروبين.

أجل هكذا يكون حال الانسان إذا أدرك موقعه الحقيقي ويعرف من يخاطب ومن يسأل وفي حضرة من يقف ان حال الانسان في هذه الحياة كغريق في لجّة

بحر لا أمل له في النجاة إلّا رحمة الله سبحانه...

وهكذا علّم الله الانسان:

«يَا عيسَى! أُدْعُنِي دُعاءَ ٱلغَرِيقِ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ مُغِيثٌ»(١).

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام:

«إِذَا أَرادَ أَحَدُكُم أَنْ لَا يَسأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً إِلَّا أَعْطاهُ فَلْيَيْأسْ مِنَ ٱلنَّاسِ كُلِّهِم وَلَا يَكُونَ لَهُ رَجاءٌ إِلَّا عِنْدَ ٱللّهِ، فَإِذَا عَلِمَ ٱللّهُ عَزَّ وجَلَّ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِهِ لَمْ يَسْأَلِ ٱللّهَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطاهُ»(٢).

ان من يقول يا معبودي ولا معبود سواك؛ من كل قلبه ومن أعماق وجوده صادقاً مخلصاً لابد وأن يستجاب دعاؤه.

ان من يقطع أمله ورجاءه من كل شيء إلّا الله... أن من لا يرى شيئاً إلّا الله... لا مال ولا ثراء ولا جاه ولاكل شيء من مظاهر هذه الدنيا الزائلة... لابد وان تنفذ كلماته ومناجاته استار الحجب وتصل إلى الله ويستجاب دعاؤه.

ان من يقول يا الهي وربي وسيدي... يعني انه يرفض سلطة الفراعنة ولا يعترف بحاكمية أحد إلّا حاكمية الله سبحانه وتعالى لأنه لا شيء في الوجود يمكن أن يقدّم نفعاً للانسان أو يلحق ضرراً.

ومن هنا فان حب الله والايمان به عزوجل يتطلب الانصراف عن كل شيء واليأس من كل شيء؛ وهذا هو ايمان العاشقين، انهم لا يرون شيئاً إلّا الله وما ما هذا الوجود إلّا تجلياً لرحمته وارادته وقدرته.

ولهذا ترى العاشق يقول:

---

١ ـ بحار الأنوار: ٢٩٥/١٤، باب ٢١.

٢ ـ الكافي: ١٤٨/٢، باب الاستغناء عن الناس، حديث ٢.

«الهي وربّي من لي غيرك، أسئله كشف ضّري والنظر في أمري».

وهكذا يقول المؤمن:

«إلهي إنَّ لي في كَشكُولِ الْفَقرِ مَا لَيسَ فِي خَزائنَِكَ».

وهو الله سبحانه الغني المطلق محبوب الفقراء والذين أدركوا حقيقة فقرهم الذاتي.

وعندما يحصل الانقطاع إلى الله... عندما ينبض القلب بعشق المحبوب، وعندما تفيض العيون شوقاً إليه، وتتعفر الخدود تذلّلاً في حضرته، وعندما تتشبث الأكف باذيال رحمته، حينئذ تنفتح أبواب السماوات ويتدفق الفيض الالهي بالرحمة والرأفة والمغفرة والبركات ويضع الانسان خطاه في الطريق المستقيم، الذي يؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

حكاية

حكى أحد العرفاء عن أم طردت ابنها الشاب لعقوقه وأذاه واعراضه عن النصيحة. قالت له: اخرج فلست ابني. ويخرج الفتى ليمضي وقته مع الفتيان، إلى حان وقت الغروب فراحوا يعودون أدراجهم إلى بيوتهم، ولمّا ظل وحيداً ولم ير وفاءً من رفاقه عاد إلى منزله فرأى الباب مسدوداً، فراح يطرق الباب ويبكي ويتضرّع ويتوسل إلى أمه أن تفتح له الباب ولكن أمّه امتنعت عن ذلك.

وفيما هو يتضرّع ويبكي مرّ عالم تقي فأشفق على الفتى، فطرق الباب وتشفع للفتى عند الأم لتفتح الباب.

قالت الأم: أيها المحترم اقبل شفاعتك بشرط أن تكتب لي عهداً إن عقني

بعدها وآذاني أن يخرج من البيت ولا يدعوني أمه، فكتب الرجل التقي لها ذلك وتصالح الابن مع أمه.

ومرّت أيام وذات يوم مرّ الرجل التقي فوجد الفتى عند الباب يتضرع ويقول: كوني ما شئت ولكن لا تغلقي دوني الباب ولا تطرديني. ولكن الأم اصرّت على عدم فتح الباب وقالت: لن افتح لك الباب ولن ادعك تدخل البيت، ولن اتصالح معك. وفكر الرجل التقي ان يجلس جانباً ليرى عاقبة الأمر، فرأى الفتى يجهش بالكباء إلى أن غشي عليه وانقطع صوته، واطلّت الأم لترى ما حلّ بابنها، فلما رأت ذلك فارت عاطفة الأمومة، ففتحت الباب ورفعت رأس ولدها عن التراب ووضعته في حجرها وراحت تمسح عن رأسه وتقول: يا قرّة عيني! انضش لتدخل البيت. اني وان اغلقت دونك الباب فلم يكن مرادي طردك، بل كنت أريد تأديبك لتعود إلى دائرة الطاعة.

ان المذنب إذا تاب وندم وتضرّع إلى الله عزوجل وأناب فستنفتح له أبواب المغفرة والرحمة[1].

حكاية اخرى

جاء في ترجمة محمود الغزنوي انه لمّا تربّع على عرش السلطنة والملك مرّ يوماً بشاطئ البحر فرأى فتىً يلقي بشباكه إلى البحر وكان في غاية الحزن فسأله السلطان عن سبب حزنه فقال الفتى أيها الملك وكيف لا أحزن ونحن سبعة يتامى

١ ـ حدثني صديق انه قرأ في كتاب عن ذكريات العارف الاديب الشيخ حسن زاده آملي حفظه الله من كل مكروه أنه كان له ثلاثة أولاد، وكانوا يلعبون في البيت ساعة استراحته فعكروا عليه غفوته بضجتهم، فهبّ من نومه غاضباً فأمسك بكبيرهم وضربه فيما فرّ أوسطهم أما الولد الأصغر، فلماشعر بانه قد وقع في قبضة والده وأنه لا يمكن الفرار ركض إلى والده وأعتنقه وقبّله، فأسقط في يد الشيخ العارف ودمعت عيناه وكان له فيما حصل عبرة وموعظة لأنه لا فرار للعبد الآبق من الله إلّا إليه!! المترجم.

فقراء أمّنا عجوز فمن أين لي أن أكفل معيشتهم فأنا آتي كل يوم إلى البحر، فربما اصطدت سمكة أو سمكتين، فقال الملك أتحب أن اصطاد معك وأكون شريكك؟

قال الشاب: نعم.

قال السلطان: اسحبِ الشباك باسمي، فلما أراد أن يفعل ذلك فاذا هو لا يستطيع فقال الملك لمن حوله: اعينوه!

فلما اخرجوا الشباك فإذا هي ملأى بالسمك الوفير.

ولمّا عاد السلطان إلى قصره وجلس على سرير الحكم أرسل وراء الفتى فجاء فأجلسه إلى جانبه وراح يسأله وكان كلما استنكر أحد وقال: ليس مكان هذا الفتى إلى جانبك يقول: انه على كل حال شريكي وهو في ما لدي شريك.

أجل إذا كان الملك المجازي هكذا يفعل، فما بالك بالملك الحقيقي وعنده الخزائن التي لا تنفد ولا تنتهي. كيف ستراه يفعل مع الانسان الفقير المحتاج والذي لا يمكن له أن يعيش حتى لحظة واحدة من دونه.

إنّ نظرة من الرحمة الالهية تفعل ما لا يمكن تصوره. نظرته سبحانه انقذت نوح والمؤمنين من غضب الطوفان العظيم. وهي التي جعلت من عصا موسى قدرة تهزم الفرعون، الذي تجبر وطغى وقال أنا ربكم الاعلى، وتُخلّص بني اسرائيل من طغيانه وتنقذهم من الغرق في مياه البحر وأمواجه المتلاطمة. وأوصلتهم إلى ساحل النجاة والأمان، وهي التي انقذت أيّوب من سهام البلاء والمصائب؛ وانقذت يوسف من غيابات الجب وأجلسته على كرسي الحكم ليصبح عزيز مصر.

وحكاية أخرى

كان حاتم الاصمّ من الزهاد والعرفاء والاتقياء في عصره، وبالرغم من شهرته بين الناس فقد كان يعيش مع اسرته في شظف من العيش ولكنه كان يتوكّل

على الله وحده.

كان يتحدّث ذات ليلة مع أصدقاء حول الحج وزيارة بيت الله الحرام وزيارة ربوع الوحي والنبوّات فتأججت نار الشوق للسفر إلى هناك.

وما إن عاد إلى منزله حتى حدّث زوجته وأولاده برغبته في حج بيت الله فقالت زوجته: ومن أين لك نفقة السفر وزاد الطريق وأنت فقير لا تملك شيئاً؟! ثم كيف تتركنا على هذا الحال وأنت كما ترى! وقد كتب الله سبحانه الحج على الاغنياء ومن استطاع إليه سبيلاً؟!

وأمّن أولاده على كلام الأم إلّا ابنته الصغيرة فقد قالت: وما يمنعكم من أن تأذنوا له بالسفر؟ دعوه يذهب إلى حيث شاء ورزقنا على الله وما والدنا إلّا سبب من الاسباب ولان ذهب فان الله سيرزقنا بسبب آخر. وانتبه الجميع إلى هذه الحقيقة وأذنوا لأبيهم بالسفر وحج بيت الله الحرام والدعاء لهم هناك.

وسرّ حاتم أيّما سرور وأعدّ للسفر أسبابه والتحق بقافلة الحجيج.

ولما سمع الجيران بأن سفر الرجل الزاهد كان سببه ما قالته ابنته الصغيرة جاءوا يلومونها كيف فعلت ذلك وماذا سيفعلون وقد يغيب ربّ العائلة شهوراً طويلة؟

وأنضم أفراد العائلة إلى جميع اللائمين: وقالوا لو لا أنك قلت ما قلت ما حصل ما حصل!

وشعرت الفتاة بالحزن وراحت تبكي ببراءة وفي تلك الحالة رفعت كفّيها إلى السماء وقالت: اللهم ان هؤلاء اعتادوا على احسانك وكرمك ويطعمون من موائد نعمك اللهم فلا تضيعهم ولا تخزني فيهم.

وفيما كان أفراد الأسرة حائرين يفكرون فيما عسى يفعلون ومن أين سيأكلون أو يشربون وإذا بحاكم المدينة يعود من رحلة صيد وقد هدّه الظمأ

والسغب؛ فأرسل بعض رجاله إلى بيت هذه الأسرة الفقيرة فطرقوا الباب وخرجت المرأة تسأل من الطارق وما يريد؟ قالوا: أرسلنا حاكم المدينة يطلب ماءً.

فنظرت المرأة إلى السماء وقالت: اللهم إنّا بتنا ليلتنا جائعين واليوم يأتي الامير يطلب منا ماءً!!

ثم احضرت اناء مليئاً بالماء وجاءت به إلى الامير واعتذرت عن الاناء لأنه كان من خزف وسأل الامير من حوله عن هذا المنزل لمن؟

قالوا: هو للأصم أحد الزهاد والعرفاء وقد سمعناه أنه ذهب إلى الحج وليس لعياله نفقة. قال الأمير:

إنّا قد طلبنا منهم ماءً وهم ليسوا في حال ميسور وليس من المروءة إلاّ أن نساعدهم؛ قال ذلك، ثم فتح نطاقاً ذهبياً كان يتمنطق ورماه في بيت الزاهد ثم قال: من احبني فليفعل مثل ذلك. ورمى جميع من معه انطقتهم، ولما أرادوا مغادرة المكان قال الأمير سلام عليكم سوف يأتي وزيري إليكم ويشتري منكم هذه الانطقة، وما أسرع أن جاء الوزير يحمل اثمان تلك الانطقة.

ولمّا رأت الفتاة ذلك دمعت عيناها؛ فقيل لها هذا ليس وقت بكاء بل فرح وسرور وقد فتح الله علينا من أبواب رحمته ولطفه وما وسّع علينا عيشنا.

قالت الفتاة: ابكي لاننا بتنا ليلتنا فقراء جائعين واليوم نظر إلينا مخلوق فاغنانا، فكيف لو نظر الله إلينا؟!

ثم رفعت يديها إلى السماء تدعو لأبيها:

اللهم كما نظرت إلينا وأنزلت علينا من رحمتك فانظر إلى أبينا واصلح أمره.

وأما ما كان من شأن حاتم الأصمّ فقد كان في قافلة الحجيج ولم يكن في القافلة من هو أفقر منه، فلا مركب يحمل ولا زاد يكفيه ولكن كان كل من يعرفه يمدّ له يد العون بشيء يسير.

وذات ليلة شعر أمير الحاج بألم شديد وعجز طبيب القافلة من فعل شيء يسكّن ألمه ويداوي أوجاعه، فسأل أمير الحاج عن زاهد عارف في القافلة يدعو له ويفرّج عنه بدعائه ممّا يعاني قيل: نعم هو حاتم الأصمّ. فقال أيتوني به الساعة؛ فتراكض الغلمان إلى حاتم يحضروه، فدخل وسلّم على الأمير وجلس عند فراشه ثم دعا له بالشفاء فما أسرع أن انفرجت أسارير الأمير وزال عنه الألم، كأنه لم يكن يتلوّى منه وأراد أن يكافئه فأمر بتهيئة مركب له وأعطاه ما يكفي من النفقة ذهاباً وإياباً.

فشكر حاتم الأمير ولما دخل الليل كانت له مع الله عزوجل مناجاة وتضرع وخشوع إلى أن وهدّمت عيناه بالنوم فسمع هاتفاً يقول: يا حاتم من أصلح حاله مع الله اصلح الله حاله معه ومن آمن به أنزل عليه رحمة منه وبركات؛ فلا تغتم لحال عيالك فقد اصلح الله حالهم.

ولمّا أفاق حمد الله وأثنى عليه وهو يعجب من أمر الله عزوجل.

ولما عاد من حج بيت الله خرج لاستقباله أولاده وسرّوا بلقائه وهو أيضاً سرّ بهم وكان أكثر سروراً بابنته الصغيرة؛ فقبلها وقال ما أكثر من تظنه صغيراً وهو كبير إنّ الله لا ينظر إلى السن وإنما إلى معرفة الحق فسلام على من عرف الله وتوكل عليه، ومن توكل على الله فهو حسبه[1].

وحكاية أخرى

حكى الفاضل السيد جعفر المزارعي: ان أحد طلبة الحوزة العلمية في النجف الأشرف كان يعيش في ضيق وشطف من العيش لا يطاق.

١ ـ انيس الليل: ٢٩٢.

فجلس ذات يوم إلى جانب ضريح سيدنا علي عليه السلام يشكو حاله بشيء من العتب قائلاً: سيدي يا أبا الحسن لأي شيء تعلّق في ضريحك هذه المصابيح الوهاجة التي لا نظير لها وهذه الثريات وأنا كما ترىٰ من البؤس في حالي؟!

فرأى في ليلته تلك وفي عالم المنام أميرالمؤمنين يقول له: إن أردت جواري هنا فهذا عيشك خبز وفجل وهذا أثاثك لا يعدو سوى فراش وإن أردت الرفاه فاذهب إلى الهند إلى مدينة «حيدر آباد الدكن» إلى بيت فلان فاطرق الباب وقل لصاحب الدار:

سمعت نحو السماء واضحت دارة الشمس!

ولما استيقظ من النوم انطلق في الصباح إلى مرقد سيدنا علي عليه السلام وشكىٰ حاله وقال: لقد ساءت حالي حتى لا استطيع البقاء في هذا البؤس قال ذلك وعاد ادراجه إلى حجرته، فرأى في منامه في الليل أميرالمؤمنين يقول له: هو ما قلت لك ان أردت جواري فهذا عيشك وإلّا فاذهب إلى تلك المدينة وقل لصاحب الدار: سمت نحو السماء وأضحت دارة الشمس.

وهبّ ذلك الطالب من نومه وظل ساهراً حتى الصباح وما إن صلّى صلاة الفجر، حتى راح يلملم كتبه وأثاثه البسيط وعرضه للبيع لعله يهيأ نفقة توصله إلى الهند وساعده بعض المحسنين وقد أبدى بعضهم تعجبه من هذا الطالب الفقير يقصد زيارة فلان الثري في الهند!!

وشدّ الطالب الرحال ووصل إلى الهند وإلى المدينة وإلى تلك الدار؛ فاذا هي قصر فهتف به: سمت نحو السماء واضحت دارة الشمس.

ولما سمع الرجل ذلك أمر الخدم أن يدخلوا الشاب واستبقاله باكرام، فأرسل إلى الحمام وغير ما عليه من الثياب وقد قدم له الطعام وبات ليلته تلك في أحسن حال.

فلما كان العصر من اليوم التالي ادخل إلى صالة الاستقبال؛ فرأى أعيان البلدة وتجارها وعلماءها يفدون وكل يجلس في مكان خصص له من قبل؛ فسأل من حوله هل من مناسبة؟

فقال له: اليوم قعد قران ابنة صاحب القصر.

وكانت الصالة أحسن زينة عندما حضر صاحب القصر؛ فنهض له الجميع اجلالاً فحيّاهم ورحب بقدومهم ثم استقرّ في مكانه.

وهيمن صمت مهيب على المحفل وكل الانظار مشدودة إلى صاحب الدار الذي قال: أيها السادة أشهدكم جميعاً على اني أهدي نصف ثروتي من أرض وبساتين وماشية وأثاث إلى هذا الطالب القادم من النجف الأشرف وأشهدكم على أني أُزوّجه أحدى ابنتي وليس لي غيرهما وأنتم يا علماء الدين اجروا صيغة العقد، وكاد الطالب أن يفقد وعيه لما يرى هل هو في حلم أن يقظة؟!

ولكنه استعاد رباطة جأشه وسأل: عن سرّ ما يرىٰ؟

فقال الرجل الثري محدّثاً ضيفه وصهره والحاضرين: قبل سنوات أردت انشاء شعر في مديح سيدنا مولى المتقين علي أميرالمؤمنين؛ فقلت صدراً في مدحه وعجزت عن العجز فاستعنت بشعراء الفارسية في الهند؛ فلم أجد عندهم ما يشفي غليلي واتصلت بشعراء في ايران فلم يوافيني بأحسن ممّا سمعت في الهند أحد؛ فقلت في نفسي ان لهذا سرّاً؛ فنذرت لله إن وجدت الشطر الثاني من الشعر؛ شطرت أموالي شطرين وأعطيت شطراً لقائله وزوّجته إحدى ابنتي يختار، فلما جئت وهتفت بهذا الشطر من البيت وقع في قلبي موقعاً حسناً وقلت: هذا ما كنت ابحث عنه:

فقال الطالب وما صدر البيت يا سيدي؟

فقال الرجل: ولو لطف أبي تراب إلي ذرّة ينظر، فقال الطالب: ولكن الشعر لم

يكن لي، كان لطفاً من سيدي ومولاي أميرالمؤمنين علّمنيه في الرؤيا.

فسجد الرجل الهندي الثري شكراً لله وأنشد:

ولو لطـــف أبـــي تــراب إلى ذرّة يـــنظر

سمت نحو السماء واضحت دارة الشمس(١)

هذه نظرة لطف لأميرالمؤمنين عليه السلام اغنت فقيراً ورفعت مغموراً؛ فكيف بنظرة رب الأرباب. والأرض جميعاً قبضته والسماوات مطويات بيمينه؟!

---

١ ـ الشعر بالفارسية:

به ذرّه گر لطف بـو تـراب كـند　　　به آسمان رود وكار آفتاب كـند

«إِلٰهِي وَمَوْلاَيَ أَجْرَيْتَ عَلَيَّ حُكْماً اتَّبَعْتُ فِيهِ هَوَىٰ نَفسِي، وَلَمْ أَحْتَرِسْ»
« فِيهِ مِنْ تَزْيِينِ عَدُوِّي، فَغَرَّنِي بِمَا أَهْوَى وَأَسْعَدَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ ٱلقَضَاءُ،»
« فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى عَلَيَّ مِنْ ذٰلِكَ بَعْضَ حُدُودِكَ،»
« وَخَالَفتُ بَعْضَ أَوَامِرِكَ»

لقد زللت عن الطريق يا سيدي وحُدت عن المنهج الذي رسمته لي... ونسبت يا الهي؛ العدوّ الذي حذّرتني منه فاستغفلني وأوقع بي وراح يضحك مني وهو يراني اتخبط في سيري بعيداً عن طريقك القويم.

الواجبات

خلق الله عزوجل البشر وأودع في قلبه العقيدة الحق، ونفخ في نفسه الاخلاق الحسنة وأوحى إلى جوارحه أن تنساق إلى الأعمال الصالحة ومنح الله سبحانه عبده الارادة وحمّله مسؤولية الاختيار وقد بين له الطريق اللاحب الواضح المبين الذي يقوده إلى خير الدنيا وخير الآخرة.

ولاشك أن تنفيذ ارادة الحق تبارك وتعالىٰ باخلاص وحب في جميع الظروف فان الانسان سوف يتدرج في مراتب الكمال الذي يوصله إلى السعادة في الدارين والحصول على رضوان الله عزوجل في حياة طيبة هانئة أبدية في

مقعد صدق مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

ولكن ما يمنع ويحول بين الاستجابة لأمر الله عزوجل ونهيه هي الأهواء النفسية؛ التي مجموع الرغبات والميول، التي تحاول باستمرار جرّ الانسان إلى أشباعها بأي طريقة وبأي ثمن، حتى لو أوقعت الانسان في المعاصي والذنوب والخطايا.

وهذه الأهواء والرغبات الجائعة تصور للانسان هذه الدنيا الفانية في أحلى صورة؛ فتجسّد له لذائذها ومتعها ومظاهرها البراقة الخادعة، وتوحي له ان السعادة هي في أشباع الرغبات، بأية وسيلة حتى لو كان ذلك على حساب سحق حقوق الآخرين وانتهاك كرامتهم الانسانية.

وشيئاً فشيئاً يصبح الانسان أسيراً في قبضة الشهوات والرغبات التي تستحيل إلى حيوانات جامحة تعربد باستمرار ولا ترف الهدوء، وتصبح انسانية الانسانية اسيرة ويستحيل الكائن الانساني إلى حيوان وربما إلى ما هو أسوأ بكثير من درجة الحيوانية وحينئذ ينسى الانسان الحقيقية؛ فلا يرىٰ سوى الأباطيل.

وعند ما يكتشف الحقيقة يكون قد فات الأوان لأن مخالب الموت قد نشبت في عنقه ولات حين مناص وحينئذ يدرك المرء أن عدوّه كان نفسه التي بين جنبيه، يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

أَعدَى عَدُوِّكَ نَفسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ[1].

أجل هذه النفس الأمّارة بالسوء. هذه الأهواء التي تصبح كالحيوانات الكاسرة لا تعرف سوى الافتراس والبطش والشر حتى يصبح الانسان العوبة، تدفعه حيث تشاء وتبعثر سنوات عمره في مستنقعات الرذيلة والسقوط.

---

١ ـ بحار الأنوار: ٦٤/٦٧، باب ٤٥، حديث ١.

سئل الامام الرضا عليه السلام عن شيء يجمع خير الدنيا والآخرة، قال: خالف هواك(١).

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

أَفْضَلُ الجِهادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ الَّتِى بَيْنَ جَنْبَيْهِ(٢).

وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

يَا عَلِيُّ أَفْضَلُ الجِهادِ مَنْ أَصْبَحَ لاَيَهُمُّ بِظُلْمِ أَحَدٍ(٣).

عندما يسلم الانسان نفسه لأهوائه النفسية فانها ستأخذه إلى طريق الغواية ويسقط فريسة الخداع والوساوس الشيطانية، فينسى الله واليوم الآخر يوم الحساب والجزاء، ومعنى هذا ان الانسان قد مكّن الشيطان من روحه، وكان الأحرى به وقد منحه الله نعمة الارادة والحرّية أن يختار الطريق الصائب، من خلال اقامة علاقة حب مع الله عزوجل والقيام بكل الواجبات الدينية الالهية واجتناب المعاصي والظلم وانتهاك حقوق الغير وفي هذا تكمن السعادة الأبدية.

---

١ ـ سفينة البحار: ٢٩٨/٨.
٢ ـ وسائل الشيعة: ١٦٣/١٥، باب ١، حديث ٢٠٢١٦.
٣ ـ وسائل الشيعة: ١٦٢/١٥، باب ١، حديث ٢٠٢١٤.

«فَلَكَ ٱلْحُجَّةُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذٰلِكَ»

«وَلَا حُجَّةَ لِي فِيمَا جَرَىٰ عَلَيَّ فِيهِ قَضَاؤُكَ، وَأَلْزَمَنِي حُكْمُكَ وَبَلَاؤُكَ»

أجل يا سيدي أنني مدان وكل الأدلّة ضدي، فلقد عشت حياتي حراً مسؤولاً امتلك الارادة الكافية وأعي ماذا أفعل وكنت أرى طريقين طريق الخير وطريق الشر ولكني مع الأسف اخترت طريق الهاوية والسقوط. فها أنا تحت حكمك مستسلم لقضائك.

أدلة الحق

يدرك الانسان بوضوح انه مسؤول تماماً عن أفعاله وأعماله وبالتالي عن كل تجاربه ولا حجة له عند الله في تبرير أي من مواقفه وسيرته.

فهو ينعم بالارادة التي تجسّد استقلاله وحرّيته في الانتخاب كما أنه يعي تماماً ما حوله من دروب الحياة؛ فكلمة الدين واضحة والأدلّاء هنا وهناك وكتاب الله يتلي عليه؛ وهناك من كتب المعروفة والثقافة ما يساعده على اكتشاف الدين والحق والطريق القويم.

وهو ينعم بقدرات عقلية كافية، جعلته يعرف كيف يعيش وكيف يكسب قوته ويشغل موقعه في الحياة الاجتماعية.

ولو انه احتج بغياب من يساعده ويرشده إلى سواء الطريق فهذه النبوات، تتألق كماصبيح تضيء ظلمات الأرض وقد أضاءت مصابيح وقناديل مئة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول وكان سيدنا محمد آخر الرسل وخاتم الأنبياء؛ وهذا كتاب الله عزوجل؛ وقد نصب رسول الله ﷺ اثني عشر اماماً يفسرونه ويقرأونه للناس ويبلغون أحكامه وهذه مساجد الله يرفع فيها اسمه يُسبح له فيها بالغدو والآصال.

فما عذر الانسان بعد كل هذا؟ أجل ليس له عذر إلّا المكابرة والانصياع للأهواء ووضع الأصابع في الآذان حتى لا يسمع صوت الحق.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾[1]

قال أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول:

«تُؤْتَى بِالْمَرأَةِ ٱلحَسناءِ يَوْمَ ٱلقِيامَةِ ٱلَّتِي قَدِ ٱفْتُتِنَتْ فِي حُسْنِها فَتَقولُ: يا رَبِّ حَسَّنْتَ خَلْقِي حَتَّى لَقِيتُ مَا لَقِيتُ؛ فَيُجاءُ بِمَريَمَ عليها السلام فَيُقالُ: أَنْتِ أَحْسَنُ أَوْ هٰذِهِ؟ قَدْ حَسَّنَّاها فَلَمْ تُفْتَتَنْ. وَيُجاءُ بِالرَّجُلِ ٱلحَسَنِ ٱلَّذِي قَدْ ٱفْتُتِنَ فِي حُسْنِهِ فَيَقولُ: يا رَبِّ حَسَّنْتَ خَلْقِي حَتّى لَقِيتُ مِنَ ٱلنِّساءِ مَا لَقِيتُ، فَيُجاءُ بِيُوسُفَ عليه السلام فَيُقالُ: أَنتَ أَحْسَنُ أَو هٰذا؟ قَدْ حَسَّنَّاهُ فَلَمْ يُفْتَتَنْ. وَيُجاءُ بِصاحِبِ ٱلبَلاءِ ٱلَّذِي قَدْ أَصابَتْهُ ٱلفِتْنَةُ فِي بَلائِهِ فَيَقُولُ: يا رَبِّ شَدَّدْتَ عَلَيَّ ٱلبَلاءَ حَتَّى ٱفْتُتِنْتُ؛ فَيُؤْتَى بِأَيّوبَ عليه السلام فَيُقالُ: أَبَلِيَّتُكَ أَشَدُّ أَوْ بَلِيَّةُ هٰذا؟ فَقَدِ ٱبْتُلِيَ فَلَمْ يُفْتَتَنْ»[2].

---

١ ـ سورة القيامة: ١٤ ـ ١٥.

٢ ـ الكافي: ٢٢٨/٨، حديث يأجوج ومأجوج، حديث ٢٩١؛ بحار الأنوار: ٢٨٥/٧، باب ١٣، حديث ٣.

« وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَىٰ نَفْسِي مُعْتَذِراً نَادِماً »
« مُنْكَسِراً، مُسْتَقِيلاً مُسْتَغْفِراً مُنِيباً، مُقِرّاً مُذْعِناً مُعْتَرِفاً »
« لَا أَجِدُ مَفَرّاً مِمَّا كَانَ مِنِّي، وَلَا مَفْزَعاً أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي »
« غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي، وَإِدْخَالِكَ إِيَّايَ فِي سَعَةٍ مِنْ رَحْمَتِكَ »

ها أنا قادم إليك يا رب... قادم أعتذر... نادماً يا الهي منكسراً يا ربّ واعترف في حضرتك بكل خطاياي وأعرف أنّه لا مهرب لي إلّا بالفرار إليك ها أنا قادم فاقبلني واصفح عني تائباً جئت فاغفر لي يا الهي.

كلمات الحب ومناجاة العشق

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد سيدنا علي عليه السلام يشير إلى كل ما من شأنه أن يؤدي إلى المغفرة؛ اعتراف بالتقصير في العبادة، اعتراف واقرار بالاستغراق في الشهوات، ندم وانكسار واعتذار واستغفار، وادراك كامل بالعجز عن الفرار إذ لا طريق للفرار من الحق إلّا بالاعتذار وطلب المغفرة والتوبة.

هذا النواح والتضرع والبكاء وهذا الندم والاعتراف يجسّد توبة حقيقية وعزم على العودة والانابة إلى المحبوب ان هذه الكلمات البشرية لابدّ وأن الله عزوجل يحب سماعها من عباده.

جاء في سيرة العاشقين؛ ان أحد السالكين جاء إلى وليّ من أولياء الله، فقال: لقد قررت الرحيل إلى رحاب الحق ومقام الربوبية والحضور في رحاب الالوهية فاخبرني أي هدية آخذ معي إلى الرب الودود الغفور مالك الملك ذي الجلال؟ لأن الذهاب بيد خالية في غاية القبح والجفاء!

فقال ذلك الوليّ: احمل إليه ما ليس هناك... هناك الكمال في العلم والحلم والقدرة والرحمة والمشيئة واللطف والمطلق في السمع والبصر والكرم والجلال والعدل والسطوة والهيبة أما ما ليس هناك فهو الآهة الحرىّ والدمعة والتضرّع وكلمات الانكسار.

أجل انه يحبّ أصداء التائبين وكلمات النادمين ومناجاة العائدين وصريخ المكروبين واستغاثة المنيبين وأي عاشق لا يحب اقبال حبيبه؟!

يوسف و زليخا

جاء في قصص الأنبياء: ان زليخا استغلت نفوذها واتهمت يوسف حتى سيق إلى السجن، وأرادت زليخا أن تسمع صوت الذي شغفها حباً؛ فأمرت غلاماً لها أن يضربه بالسوط لتسمع تأوهاته ولما أراد الغلام أنى فعل ذلك ووقعت عيناه على حالة يوسف وقد تألق وجهه بنور سماوي لم يطاوعه قلبه أن يجلد هذا الفتى الكريم؛ فأمر أن يضع على ظهره ثوباً وراح يلهبه بالسياط فلم يتألم كثيراً وكانت زليخا تصغي إلى صوت السياط ولا تسمع ليوسف أنّة ولا توجعاً؛ فأمرت غلامها أن يشدّد في الضرب حينئذ طلب الغلام من يوسف أن يكشف عن جزء من ظهره؛ فاستجاب يوسف وراحت السياط تنهال عليه؛ حتى تصاعدت أنّاته وزليخا تصغي إلى صوت من شغفها حبّاً!

قوم يونس

لمّا أحس قوم يونس أن نبيّهم قد غادر مدينتهم متجهاً إلى ديار بكر ورأوا علامات العذاب واضحة في الفضاء وأيقنوا أن سخط الله واقع عليهم لا محالة وأنهم قاب قوسين أو أدنى من الهلاك، هبّوا إلى رجل يتوسمون فيه الصلاح فاستغاثوا به فأشار عليهم بأن يفعلوا ما يظهر عجزهم وندمهم وانكسارهم واعتذارهم واعترافهم بذنوبهم؛ فخرج أهل المدينة عن بكرة أبيهم إلى الفلاة وفرّقوا بين الأطفال وأمّهاتهم وارتدوا الخَلِقَ من الثياب وخرجوا جميعاً حفاة يبكون ويتضرعون إلى الله أن يرفع عنهم العذاب حتى الحيوانات أخذوها معهم فامتلأ الفضاء ببكاء الأطفال وعويل النساء وبكاء الرجال وثغاء الماشية، والجميع يستغفر الله ويقرّ بالاثم وقد أعلنوا توبتهم وآمنوا بالله الواحد الأحد لا شريك له وتبرأوا من الأصنام والأوثان.

وفيما جاء في تضرعهم: الهنا وربّنا ان يونس وعظنا وقال اعتقوا العبد وأحسنوا إلى البائس الفقير ونحن يا ربّنا عبيدك فاصفح عنّا وأعتقنا من غضبك... اللهم يا غياث من لا غياث له.

واستجاب الله عزوجل ورحمهم ورفع عنهم العذاب الذي كاد يعصف بهم ويمزّقهم ويجعلهم أحاديث.

إنّ العودة إلى الله والاعتراف بالخطأ والتقصير هو ما ينبغي على الانسان العاقل أن يفعله ذلك أنّ الله سبحانه قد أبان معالم دينه وأتم حججه على عباده فلا عذر لهم ممّا يفعلون ولا حجة لهم فيما يرتكبون من المعاصي والآثام.

وان الله سبحانه قد فتح أبواب التوبة ومهد مسالك العائدين إليه وسعت رحمته كل شيء تبارك وتعالىٰ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه.

«اَللَّهُمَّ فَاقْبَلْ عُذْرِي، وَآرْحَمْ شِدَّةَ ضُرِّي، وَفُكَّنِي مِنْ شَدِّ وَثَاقِي»

« يَا رَبِّ آرْحَمْ ضَعْفَ بَدَنِي، وَرِقَّةَ جِلْدِي، وَدِقَّةَ عَظْمِي، يَا مَنْ بَدَأَ خَلْقِي »

«وَذِكْرِي، وَتَرْبِيَتِي وَبِرِّي وَتَغْذِيَتِي، هَبْنِي لِابْتِدَاءِ كَرَمِكَ، وَسَالِفِ بِرِّكَ بِي»

اقبل اعتذاري يا رب، وارأف بحالي...

وهذه الأغلال يا الهي لا يفكّني منها سواك... أنا يا الهي ضعيف وأنت يا رب خلقتني... وأنت الذي هيأت لي كل أسباب النمو بكرمك ساعدني فقد غمرتني بلطفك منذ جئتُ إلى الوجود يا الهي!

في رحاب الحبيب

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد أن الكلمات تـقطر عشـقاً وتـوبة وصـدقاً كلمات مفعمة بالمناجاة الخالصة والمشاعر الانسانية التي تدرك جـيداً مـوقعها الحقيقي في ساحة الله خالق الخلق أجمعين.

ان كلمات الاعتذار تتوإلى تباعاً وتحمل معها الاعتراف الكامل بـالخطيئة والضعف البشري... ليس هناك من عذر سوى الاقرار بالذنب والتوبة والندم.

هذا هو الكائن البشري يقف أمام الله الذي خلقه وغمره بالنعم والآلاء وسخر له كل شيء... ها هو يقف يغمره احساس بالخجل والندم وها هو يعترف بضعفه

وغفلته وكيف انزلق في الضياع والتيه قبل أن يصحوا وينتبه إلى ما وصل إليه من طريق مسدود...

انه يعود إلى الله ويعترف أمامه باكياً متضرعاً متوسلاً منيباً منكسراً مقرّاً مذنباً معترفاً لا يجد مفرّاً من الله إلّا إليه...

انها الغفلة التي تغتال الانسان وتقذف به نحو هاوية مظلمة سحيقة مالها من قرار... ولكنه ينتبه في لحظة رحمة الهية فيعود يبكي ويشكو ويلوم نفسه آه كيف سوّلت لي نفسي؟! كيف انخدعت بوساوس الشيطان ونسيت كيد عدوّي؟!

لماذا تركت نار الحسد تلتهم انسانيتي؟ ولماذا عميت بصيرتي وتركت ذاتي تتضخم وتتضخم حتى لم أعد أرى شيئاً غيرها ولا أرى العالم إلّا من خلالها؟

لماذا الحرص على دنيا زائلة لماذا هذا الطمع ولماذا البخل ولماذا الرياء...

لماذا تركت روحي تتخطفها ذئاب الرذائل...

كان في وسعي أن أضرب صفحاً عن الوساوس الشيطانية وأصغئ إلى نشيد الكون ينساب من رسالات الله...

ألم يكن من الأفضل ان أرى ذاتي على حقيقتها تعيش بسلام؛ تتقاسم الحب مع الآخرين؟ اذن لعشت في راحة بال وطمأنينة خاطر... إنّ الأنانية مقيتة ومقرفة. كان في وسعي أن أغبط الآخرين على ما أنعم الله عليهم اتمنى ان يرزقني الله مثلهم وهو الرزاق الكريم؛ فالحسد أن يتمنئ المرء زوال نعمة الغير! ترئ ما أقبح هذه المشاعر بل ماة فائدتها للانسان غير الاحتراق بها؟!

انها لنار مجنونة تلتهم القيم الانسانية النبيلة وتحيل الانسان إلى كائن مقيت.

لماذا البخل والله هو الرزاق؛ وقد فتح خزائنه وتدفقت نعمه وما على الانسان إلّا أن يسعئ ويعمل وينتج وينفق على نفسه وغيره... ولماذا الرياء والذي يراقبنا ويحاسبنا الله وهو الذي يكافئنا وينظر إلى قلوبنا.

حمداً لك يا الهي وقد تداركتني برحمتك، ولولا أنت ما أدري ما أنت... ولولا رأفتك لفتكت بي الأمراض ومزقت روحي ولكان مصيري في قاع الجحيم... ولولا أنت يا الهي لكان مصيري مع الكافرين مع نمرود وفرعون والجنود أو كان مع قارون وبلعم بن باعورا ومع الذين كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون أجل لكان مصيري في جهنم وساءت مصيرا.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً﴾[١].

ويوما يأتي النداء بالحق:

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ٱلعَظِيمِ﴾[٢].

أجل يا الهي فاذا لم تفك عني السلاسل والأغلال؛ فمن يرفعها عني؟! وإذا لم تطلق سراحي من أسر الهوىٰ؛ فمن أين لي أن أكون حرّاً يعبدك ولا يشرك بك شيئاً.

الهي وفقني لطاعتك وعبادتك ولا تخرجني من الدنيا حتى ترضى عني وحتى لا أفارق الدنيا إلّا تلبية لندائك:

﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٣].

حكاية

عندما كان هارون الرشيد في خراسان ومرض المرض الذي مات فيه أمر

١ ـ سورة الانسان: ٤.
٢ ـ سورة الحاقة: ٣٠ ـ ٣٣.
٣ ـ سورة البلد: ٢٨.

باحضار طبيب من أهل طوس حيث كان هناك وأن يعرض عليه ادراره في زجاجة مع ادرار مرضى وأصحاء آخرين كلّا في زجاجة وأن يقوم الطبيب بتشخيص الجميع، وبدأ الطبيب يجري فحوصاته الواحدة بعد الأخرى ويسجل الحالات حتى إذا أتىٰ عليها جميعاً قال: وليكتب صاحب هذه الزجاجة وصيته لأن قواه قد اضمحلّت وانهار بدنه، وعندما جاءوا إلى هارون بذلك الخبر أنشد:

ان الطبيب بطبه ودوائه   لا يستطيع دفاع نحب قد أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي   قد كان يبرئ مثله فيما مضى

ولما شاع الخبر في طوس بموت هارون أمر أن تسرج دابته، ليظهر بين الناس وما أن استوى على ظهرها حتى خرّ فقال: صدق المرجفون ثم أمر باحضار أكفان؛ فاختار من بينها كفناً ثم أمر أن يحفر له قبر إلى جانب فراشه ثم نظر إلى القبر وقال:

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[1].

أجل لن يستطيع المال ولا السلطان لا الثراء الواسع ولا النفوذ والسطوة والجيوش أن تدفع سهام القدر والمصير الحتم.

أجل لن ينفع شيء سوى الله عزوجل برحمته الواسعة ورأفته المطلقة.

اللهم هذه شهواتي أسرتني وهي تكبلني بالسلاسل والأغلال... الهي فك أسري وضع عني السلاسل والأغلال التي تمنعني من السير في طريقك... الهي لا طاقة لي وأنت يا الهي القادر على كل شيء.

---

١ ـ سورة الحاقه: ٢٨ ـ ٢٩.

محاسبة قبل الحساب

تعالوا نحاسب أنفسنا كما فعل ذلك الرجل الذي حكى قصّته البهائي كيف عدّ أيام عمره وقد ذرّف على الستين فاذا هي ٢١،٥٠٠ يوماً فقال يا ويلي لو لم أرتكب في كل يوم إلّا ذنباً لواجهت الله وأنا مكبّل بـ٢١،٥٠٠ ذنباً ثم صرخ صرخة ووقع مغشياً عليه فحرّك فاذا هو قد فاضت روحه.

الهي! أنا على كل حال عبدك خلقتني وربيتني وأنا يا الهي محكوم بقدرتك خاضع لمشيئتك ولا يمكن لي الفرار إلّا إليك.

الهي أنا الذرّة أنا التراب أنا الطين وأنا الصلصال والحمأ المسنون وأنا النطفة من ماء مهين أنا العلقة والمضغة...

الهي من أنا وما شأني لولا أني عبدك ومجدي أن أعفّر جبيني ساجداً في حضرتك وعزّتي في انكساري أمامك وغناي بفقري إليك... الهي ارحمني واغفر لي وتجاوز عني يا كريم يا غفور يا رحيم.

« يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَرَبِّي، أَتُرَاكَ مُعَذِّبِي بِنَارِكَ بَعْدَ تَوْحِيدِكَ »
« وَبَعْدَ مَا انْطَوَىٰ عَلَيْهِ قَلْبِي مِنْ مَعْرِفَتِكَ، وَلَهِجَ بِهِ لِسَانِي مِنْ ذِكْرِكَ »
« وَاعْتَقَدَهُ ضَمِيرِي مِنْ حُبِّكَ، وَبَعْدَ صِدْقِ اعْتِرَافِي وَدُعَائِي خَاضِعاً لِرُبُوبِيَّتِكَ »

ويا معبودي ولا معبود سواك ويا الهي ولا اله سواك هل ستعذبني وفي قلبي يتدفق حبك.. يا حبيب وهل تعاقبني ولساني يهتف باسمك؟

ها أنا يارب اعلن استسلامي وخضوعي في حضرتك فافعل ما تشاء يا راحم المساكين والبائسين ويا مجيب دعوة المضطرين يا رب!

الهي ظني بك حسن أنت أرسلت إلينا الأنبياء، نصبت لنا الأئمة الهداة معالم تضيء طريقك وتدلّنا عليك.

اللهم استر على عيوبي واغفر لي وادخلني الجنة يا واحد يا أحد!

التوحيد

هذا الوجود الفسيح كل ما فيه آيات تدلّ على أحدية الخالق تبارك وتعالى.. وكل ذرّة في هذا العالم تهتف: « لا إله إلّا الله ».

ان من يتأمل الكون بكل ما فيه يسمع نداء التوحيد هذه النجوم في اغوارها السحيقة والمجرّات والسدم والجبال الشاهقة التي تغفو السحب على سفوحها

وهذه السحب في أجواء الفضاء والأمطار إذ تنهمر فتغسل الغابات الكثيفة.. كل قطرة من المطر تهتف لا إله إلّا الله.

والقلوب المؤمنة تنبض بحب الله وتوحيده تسبح بحمده وتنزهه فلا شريك له ولا معبود غيره ولا اله سواه.

وهذا تاريخ النبوات منذ فجر الرسالات كل الأنبياء حملوا مشعل التوحيد ودعوا الأمم والشعوب والقبائل إلى توحيد الله لأنه لا إله إلّا هو.

التوحيد هو أساس النظام الالهي، وكل الشرائع الالهية بشرت بالتوحيد ونفت كل شريك لله، فليس هناك اله للخير واله للشر ولا أساس للحلول؛ الله لم يحلّ ولن يحلّ في جسم من الأجسام، ان الحلول خرافة وانتاج الأذهان المريضة والذين جسموا الله هؤلاء أيضاً ضلّوا سواء السبيل لأنه ليس كمثله شيء، الله واحد لا شريك له.

هذه هي العقيدة الحق انه واحد أحد فرد صمد وليس ثالث ثلاثة كما قال النصارى.

ان على المؤمن أن يعتقد بالله الواحد، الذي يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار؛ محيط بكل شيء وأكبر من كل شيء وفوق كل شيء سبحانه وتعالى عما يصفون.

وعلى المؤمن أن يتصرّف وفق هذه العقيدة، التي تنفي كل العقائد الاخرى والمؤمن الحق من يواجه هذه الأباطيل التي تمس بنقاء التوحيد.

هذا هو الجانب النظري الفكري من عقيدة التوحيد؛ أما الجانب العملي فهو أن تكون الطاعة وفق ما جاءت به الكتب السماوية والأنبياء والرسل، ولأن الشرك في القول هو أظهر أنواع الشرك فقد شدّد الأنبياء على اعلان عقيدة التوحيد واضحة جليّة وهذا ما سيؤدي إلى رفض العبودية لغير الله؛ فطاعة الطغاة هي شرك

بالله، وعقيدة التوحيد ترفض بحزم سلطة الطاغية، الذي يعني طرح نفسه ربّاً كما فعل فرعون وقال بوقاحة: أنا ربكم الأعلىٰ!

من أجل هذا ما إن أعلن الأنبياء والرسل عقيدتهم وهتفوا ان لا اله إلّا الله حتى ثارت ثائرة الطغاة والفراعنة والمستكبرين:

﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

ان عقيدة التوحيد ترفض في الصميم الاستعباد.. استعباد الانسان واستعباد الشعوب وقهر الأمم، لأن كلمة التوحيد تجعل الحاكمية لله وحده وتدحض حاكمية الطواغيت والجبابرة.

ان عقيدة التوحيد الخالص هي ان الله واحد لا شريك له؛ ليس كمثله شيء؛ صفاته عين ذاته، هو الحاكم على كل شيء مالك كل شيء رب العالمين.. الأرض جميعاً قبضته والسماوات مطويات بيمينه.

أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً وسراجاً منيراً فأوضح فيه عقيدة الاسلام وطالب بطرد الشيطان وعدم اتباع خطواته.. وأن هذه الحياة الدنيا اختبار للبشر.

لينظر كيف يصنع عباده وقد بين لهم السبيل وأوضح لهم أن لا إله إلّا الله ولا مؤثر في الوجود إلّا الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

وهذا سيدنا علي عليه السلام كرم الله وجهه؛ فلم يسجد لوثن ولم يعبد أحداً إلّا الله؛ تشرّب عقيدة التوحيد حتى لا يرىٰ شيئاً إلّا ورأى الله فيه وقبله وبعده فكل شيء هو تجلّى لله، اصغ إليه وهو يقول:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده،

---

١ ـ سورة الصافات: ٣٥.

وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنّه غير الصفة؛ فمن وصف الله فقد قرنه ومن قرنه فقد ثنّاه ومن ثنّاه فقد جزّأه ومن جزّأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن قال: فيم؟ فقد ضمّنه ومن قال: علام؟ فقد أخلى منه.

كائن لا عن حدث؛ موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة؛ بصير إذ لا منظور إليه من خلقه؛ متوحد إذ لا سكن سيستأنس به ولا يستوحش لفقده»[1].

ويقول عليه السلام في خطبة أخرى:

«الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدالّ على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده، وباشتباههم على أن لا شبه له.

الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه.

مستشهد بحدوث الأشياء على ازليّته وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه الفناء على دوامه.

واحد بلا عدد ودائم بلا أمد، وقائم بلا عمد.

تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة.

لم تحط به الأوهام بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها وإليها حاكمها.

ليس بذي كبر امتدّت به النهايات فكبّرته تجسيماً ولا بذي عظم تناهت به

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١.

الغايات فعظمته تجسيداً بل كبر شأناً وعظم سلطاناً»[١].

فمن آمن بالله واحداً لا شريك له وبالقرآن كتاباً منزلاً من عنده وبالأنبياء والأئمة والأولياء يعمل بما فرض الله عليه ويجتنب ما نهى عنه سبحانه، ولا يعبد أحداً إلّا الله كتب عند الله عزوجل موحداً ونجا يوم لا ينجو إلّا من آمن بالله واليوم الآخر وجاء بقلب سليم.

يقول سيدنا محمد ﷺ:

«خَيْرُ ٱلعِبَادَةِ قَوْلُ لاَ إِلهَ إِلّا ٱللّهُ»[٢].

وعن الامام الباقر عليه السلام:

«مَا مِن شَيْءٍ أَعْظَمُ ثَواباً مِن شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلهَ إِلّا ٱللّهُ؛ لِأَنَّ ٱللّهَ عَزَّ وَجلَّ لا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ وَلَا يَشْرَكُهُ فِي ٱلأَمْرِ أَحَدٌ[٣]».

وقال رسول الله ﷺ:

«مَنْ مَاتَ وَلاَ يُشْرِكُ بِاللّهِ شَيْئاً أَحْسَنَ أَوْ أَساءَ دَخَلَ ٱلجَنَّةَ»[٤].

وعن الامام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ ٱللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى حَرَّمَ أَجْسادَ ٱلمُوَحِّدِينَ عَلَى ٱلنَّارِ»[٥].

وعنه عليه السلام:

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة ١٨٥.

٢ ـ الكافي: ٥٠٦/٢، باب تسبيح، حديث ٥؛ توحيد صدوق: ١٨، باب ثواب الموحدين، حديث ٢.

٣ ـ التوحيد للصدوق: ١٩، باب ثواب الموحدين، حديث ٣.

٤ ـ التوحيد للصدوق: ١٩، باب ثواب الموحدين والعارفين، حديث ٥.

٥ ـ التوحيد للصدوق: ٢٠، باب ثواب الموحدين، حديث ٧.

«قَوْلُ لَا إِلهَ إِلَّا اَللّهُ ثَمَنُ اَلجَنَّةِ»[١].

وقال سيدنا محمد ﷺ:

«إِنَّ لَا إِلهَ إِلَّا اَللّهُ كَلِمةٌ عَظِيمَةٌ كَرِيمَةٌ عَلَى اَللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَنْ قَالَهَا مُخْلِصاً اسْتَوْجَبَ الجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَها كَاذِباً عَصَمَتْ مَالَهُ وَدَمَهُ وَكَانَ مَصيرُهُ إِلَى اَلنَّارِ»[٢].

وقال صلوات الله عليه وآله:

«وَالَّذِى بَعَثَنِى بِالْحَقِّ بَشِيراً لَا يُعَذِّبُ اَللّهُ بِالنَّارِ مُوَحِّداً أَبَداً»[٣].

الهي! يا رحمن يا رحيم يا محبّ الموحدين يا من لا تعذب موحديك ولا تدخل النار من آمن بك اله واحداً لا شريك لك ولا معبود سواك.

الهي انعقدت الألسن فهي عاجزة عن توصيف مجدك وولهت القلوب بحبك وهامت الأرواح المؤمنة بعشقك يا واحد يا أحد يا رب.

١ ـ التوحيد للصدوق: ٢١، باب ثواب الموحدين، حديث ١٣.
٢ ـ التوحيد للصدوق: ٢٣، باب ثواب الموحدين، حديث ١٨.
٣ ـ التوحيد للصدوق: ٢٩، باب ثواب الموحدين، حديث ٣١.

« هَيْهَاتَ أَنتَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ تُضَيِّعَ مَنْ رَبَّيْتَهُ ، أَوْ تُبَعِّدَ مَنْ أَدْنَيْتَهُ »

« أَوْ تُشَرِّدَ مَنْ آوَيْتَهُ ، أَوْ تُسَلِّمَ إِلَى الْبَلَاءِ مَنْ كَفَيْتَهُ وَرَحِمْتَهُ »

أنا لا أصدق انك يا الهي تعذبني ، فأنت كريم لا تضيع من ربيت ولا تقصي من أدنيت ، وهل يتشرّد الذين آويتهم أو تترك أعاصير البلاء تعصف بهم؟! وما هي رحمتك تغمر كل شيء!

تجلّي الربوبيّة

الله سبحانه وتعالى ومنذ أن خلق الانسان ليدبّ على الأرض وإلى أن يرحل عن الدنيا جعل له نوعين من التربية:

أ ـ تربية مادية.

ب ـ تربية روحية.

أ: والتربية الماديّة تتجلّى في غمره بالنعم؛ فنعمه تبارك وتعالى لا تحصى وتتجلّى أيضاً في تأثير هذه النعم في نموه وتكامله الماديّ ، فتلك القوى المدهشة التي يشتمل عليها بدن الانسان والتي تقوم بامتصاص واجتذاب هذه النعم في سلسلة من التفاعلات تؤدي إلى تغذية الجسم ونموه.

قال الله عزوجل:

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصارَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلحَيَّ مِنَ ٱلمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلمَيِّتَ مِنَ ٱلحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[١].

انا عاجزون عن الامام والاحاطة بعضو واحد من البدن عاجزون عن فهمه فكيف نقدر على شكر الله من أجله؟!

ان الجسم البشري عالم هائل يزخر بالآيات الالهية وهو من الجلال في البناء ما يجعل العالم ولو بقدر قليل، يخرّ ساجداً لله وكأن عالم الإنسان يكاد يتسع لكل الوجود وكأنه انعكاس لعالم كبير كبير جداً ولعلّ هذا ما أراد سيدنا علي عليه السلام أن ينبهنا له في قوله:

«وتحسب أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الاكبر».

أجل جسم الانسان هو من اعظم آيات الله وحججه على الانسان نفسه. قال تعالى:

﴿وَفِي ٱلأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[٢].

وقال أيضاً:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلحَقُّ﴾[٣].

توجه هذه الآيات، الإنسان إلى ما ينطوي عليه خلقه من الآيات البينات

---

١ ـ سورة يونس: ٣١.
٢ ـ سورة الذاريات: ٣١.
٣ ـ سورة فصلت: ٣١.

التي لا تنتهي. كما تبشر بأن الله سيبينها للناس جلية واضحة، حتى يتبّين لهم أنه الحق.

فلنحاول طرق أبواب هذا العالم المعقد، وسبْرَ أعماقه بكل تـؤدة وخشـوع لعلنا نعيش في ظل هذه الآيات القرآنية التي تجعل الجحيم حيران:

ـ ففي المعدة يوجد ٣٥ مليون غدة معقدة التركيب لأجل الإفراز. أما الخلايا الجدارية التي تفرز حمض كلور الماء فتقدر بمليار خلية.

ـ في العفج والصائم يوجد (٣٦٠٠) زغابة معوية في كل ١ سم ٢ لامتصاص الأغذية المهضومة، وفي الدقاق (٢٥٠٠) زغابة مع العلم أن طول الأمعاء ثمانية أمتار.

ـ في مخاطية الفم يتوسف (٥٠٠/٠٠٠) خـلية تـعوض فـوراً، وذلك كـل خمسة دقائق.

ـ يوجد في اللسان (٩٠٠٠) حليمة ذوقية لتمييز الطعم الحـلو والحـامض والمر والمالح.

ـ لو وضعت الكريات الحمراء لجسم واحد بجانب بعضها في صف واحـد، لأحاطت بالكرة الأرضية التي نعيش عليها (٥ ـ ٦) مرات، أما مساحتها فتقدر بـ(٣٤٠٠) متر مربع وعددها (٥) ملايين كرية حمرا في كل ملمتر مكـعب مـن الدم.

وتجري كل كرية حمراء ١٥٠٠ دورة دموية بشكل وسطي كل يوم، تـقطع خلالها (١١٥٠) كم الف ومئة وخمسين كيلومتراً في عروق البدن.

ـ القلب: هو مضخة الحياة التي لا تكل عن العمل، عدد ضرباته (٦٠ ـ ٨٠) ضخة في الدقيقة الواحدة، وينبض يومياً ما يزيد على مئة ألف مرة، يضخ خلالها ٨٠٠٠ ليتراً من الدم. وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة إنسان وسطياً.

ترى هل يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق لمثل تلك الفترة الطويلة دون حاجةٍ لإصلاح؟!

ـ تحت سطح الجلد يوجد (١٥/٥) مليون مكيِّف لحرارة البدن، والمكيف هنا هو الغدة العرقية التي تخلص الجسم من حرارته الزائدة بواسطة عملية التبخر والتعرق.

ـ يستهلك الجسم من خلاياه (١٢٥) مليون خلية في الثانية الواحدة أي بمعدل (٧/٥٠٠/٠٠٠/٠٠٠) سبعة آلاف وخمس مئة مليون خلية في الدقيقة الواحدة. وبنفس الوقت يتشكل ويتركب نفس العدد من الخلايا تقريباً. ولو تعلم أيها القارئ بناء وهندسة وفيزيولوجية الخلية الواحدة لسقطت على الأرض ساجداً من إعجاب صنع الله:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ ﴾[1].

ـ الرغامى عند الإنسان تتفرع إلى قصبات ثم قصيبات، وهكذا حتى تصل إلى فروع دقيقة على مستوى الأسناخ الرئوية، ويبلغ عدد الأسناخ الرئوية حوالي (٧٥٠) مليون سنخ، وكل سنخ يتمتع بغلاف رقيق ويتصل بجدار عرق دموي صغير، وهكذا يتم تصفية الدم بسحب غاز الفحم، ومنح الأكسجين اللازم للبدن. إن شبكة الأسناخ تفرض مساحة تصل إلى ما يزيد على (٢٠٠) متر مربع لتصفية الدم وفي الحالة الطبيعية لا يستخدم أكثر من عشر هذه الأسناخ، وفي الأزمات ينفتح المزيد من الأسناخ.

ـ في كل يوم يتنفس الإنسان (٢٥) ألف مرة يسحب فيها ١٨٠ متراً مكعب من الهواء، يتسرب منها ٦/٥ متر مكعب من الاكسجين للدم.

---

١ ـ سورة العنكبوت: ٣١.

ـ في الدماغ (١٣) مليار خلية عصبية و(١٠٠) مليار خلية دبقية إستنادية تشكل سداً مارداً لحراسة الخلاية العصبية من التأثر بأية مادة. والأورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان.

يتغذى الدماغ على الغلوكوز كمادة سكرية فقط بخلاف القلب الذي يتغذى على سكر الغلوكوز أو حمض اللبن، الغلوكوز هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية أجهزة البدن، وإذا وقع البدن في أزمة غلوكوز فإن آليات الجسم تفضل هذا العضو النبيل عن باقي أعضاء البدن في العطاء. وذلك لأن انقطاع الدم عنه لمدة (٣ ـ ٥) دقائق تؤدي لتخريب دائم غير قابل للتراجع في أنسجته. أما كمية الدم التي يحتاجها يومياً فلا تقل عن (١٠٠٠) ليتراً.

ـ لو وضعت الخلايا العصبية في الجسم بصف واحد لبلغ طولها أضعاف المسافة بين القمر والأرض.

ـ العين: في العين الواحدة حوالي (١٤٠) مليون مستقبل حساس للضوء، وهي تسمى بالمخاريط والعصي، وطبقة المخاريط والعصي هذه هي واحدة من الطبقات العشرة التي تشكل شبكية العين، التي تبلغ ثخانتها بطبقاتها العشرة (٤/٠) مم. ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبي ينقل الصورة بشكل ملون!!!

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[1].

ـ أما الأذن ففي عضو كورتي الذي يمثل شبكية الأذن يوجد (٣٠/٠٠٠) خلية سمعية لنقل كافة أنواع الأصوات بمختلف اهتزاماتها وشدتها بحساسية

---

١ ـ سورة التين: ٤.

عظيمة. وفي الأذن الباطنة يوجد قسم يسمى التيه Labyrinth لأن الباحث يكاد يتيه من أشكال الدهاليز والممرات والجدر والحفر والغرق والفوهات والاتصالات وشبكة التنظيم والعلاقات الموجودة داخل هذا القسم!!

ـ في الدم الكامل (٢٥) مليون المليون كرية حمراء لنقل الأكسجين و(٢٥) مليار كرية بيضاء لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن، ومليون المليون صفيحة دموية لمنع الترف بعملية التخثر في أي عرق نازف، وتتكون هذه الخلايا بصورة أساسية في مخ العظام الذي يصب في الدم مليونين ونصف كرية حمراء في الثانية الواحدة وخمسة ملايين صفيحة، ومئة وعشرين ألف كرية بيضاء، وهذه أهمية العظام بتوليد عناصر الدم وتتراجع وتضعف هذه الوظيفة عند المسنين، ولنتذكر هنا الآية القرآنية التي تعبر عن الكهولة:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً﴾[1].

فقد يصبح للآية وقع خاص على النفوس.

ـ دفقة المني الواحدة عند الرجل تحوي ثلاثمائة مليون حيوان موي، ولا يتخلق الإنسان إلّا من حيوان منوي واحد يندمج ببيضة واحدة من الأنثى.

ـ الكلية الواحدة تحوي مليون وحدة وظيفية لتصفيه الدم تسمى النفرونات Nephrones، ويرد إلى الكلية في مدى (٢٤) ساعة (١٨٠٠) ليتر من الدم، ويتم ضح (١٨٠) ليتراً منه، ثم يعاد امتصاص معظمه في الانابيب الكلوية ولا يطرح منه سوى ١/٥ ليتراً وهو المعروف بالبول. ويبلغ طول أنابيب النفرونات حوالي (٥٠) كيلومترا.

---

١ ـ سورة مريم: ٤.

﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[١].

حكمة تشريحية

في تعصيب اللسان، توصل علماء التشريح إلى أن الحليمات الذوقية في الثلث الاخير من اللسان تتعصب بالعصب البلعومي اللساني أما في الثلثين الأماميين فيتعصبان بشعبة عصبية تأتي من العصب الوجهي السابع، وتسمى هذه الشعبة بعصب حبل الطبل، وإن الألياف الذوقية في العصب البلعومي اللساني، والألياف الذوقية في حبل الطبل تنشأ جميعها من نواة واحدة في الدماغ هي النواة المنفردة، وقد فكر في سر ذلك علماء العصر، فانتهوا إلى القول أن عصب حبل الطبل هو عصب تائه، لأنه قد ضل طريقه، فهو عصب ذوقي نشأ في النواة الذوقية التي نشأ منها العصب التاسع البلعومي اللساني ولكنه لم يسر معه بل طاف طويلاً فخرج مع العصب الوجهي، ثم دخل عظم الصخرة والأذن الوطسي، ثم اتبع طريق العصب اللساني حتى وصل إلى اللسان ليحمل إلى مقدم اللسان حس الذوق. لقد قال من رأوا نصف العلم أن هذا الطريق الطويل الذي سلكه العصب التائه هو خطأ في التكوين، ولكن الله سبحانه وتعالى الذي لا تنفد معجزات كتابه العظيم الذي قال فيه متحدثاً عن المستقبل:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[٢].

جعل العلماء يكتشفون سراً جديداً، فقد كان في مرور العصب المذكور داخل الأذن الوسطي على الوجه الباطن لغشاء الطبل ومرافقاً للرباط الطبلي الكعبي

---

١ - سورة النمل: ٨٨.

٢ - سورة فصلت: ٣١.

الخلفي فالأمامي حكمةٌ بالغة في خلق الله للإنسان وتحقيقاً لأمر آخر ولم يكن من باب ضلال الطريق، ذلك أنه إذا نقص الضغط الجوي داخل الأذن الوطسي، انجذب غشاء الطبل نحو الداخل وضغط على هذا العصب، ويؤدي هذا الإنضغاط إلى تنبيه الألياف الذوقية التي يحملها فيؤدي ذلك لإفراز اللعاب من الغدد اللعابية، وهذا يوجب على الإنسان أن يبتلع لعابه، بعملية البلع هذه تنفتح الفوهة البلعومية للنفير السمعي (نفير اوستاش) فيدخل الهواء للأذن والوسطي ويتعادل الضغط داخل وخارج غشاء الطبل فيعود لوضعه الطبيعي ويزول انضغاط العصب التائه ويتوقف إفراز اللعاب وهكذا دواليك.

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

ولو تابعنا بمحاولة التعرف على دقائق وعجائب جسم الإنسان لبقينا في ذهول نتيجة الهول والدهشة، ولكن سنقتصر على هذا القدر البسيط، فلنرجع ونتأمل الآيات القرآنية التي تصف خلق الإنسان لعلنا نقدرها بعض تقديرها.

﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2].

﴿ هَذَا خَلْقُ ٱللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ ٱلظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[4][5].

---

١ ـ سورة آل عمران: ١٩١.

٢ ـ سورة الجاثية: ٤.

٣ ـ سورة لقمان: ١١.

٤ ـ سورة الذاريات: ٢١.

٥ ـ مع الطب في القرآن الكريم: ٣٩ ـ ٤٣.

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد سيدنا علي ﷺ يستدلّ بنعم الله عزوجل التي تغمر الانسان والوجود على رحمته ويستبعد أن يكون الله عزوجل يربّي مخلوقه الضعيف المحتاج له في كل شيء للخراب والفساد، وهو الذي آواه وربّاه وكفاه ودفع عنه أمواج البلاء وأعاصير النوائب.

وكيف لا وهو عزوجل الذي يقول لعباده:

«نَادَيتُمُونِي فَلَبَّيتُكُم، سَأَلتُمونِي فَأَعطَيتُكُم، بَارَزتُمُونِي فَأَمهَلتُكُم، تَرَكتُمُونِي فَرَعيتُكُم، عَصَيتُمُونِي فَسَتَرتُكُم، فَإِن رَجَعتُم إِلَيَّ قَبِلتُكُم، وَإِن أَدبَرتُم عَنِّي اَنتَظَرتُكُم. أنَا أَجوَدُ ٱلأَجوَدِينَ وَأَكرَمُ ٱلأَكرَمِينَ وَأَرحَمُ ٱلرّاحِمِينَ»[١].

موسى و قارون

جاء في قصص الأنبياء عن ابن عباس ﷺ:

«... ثم ان الله سبحانه وتعالى أنزل الزكاة على موسى ﷺ فلما أوجب الله سبحانه الزكاة عليهم أبي قارون فصالحه عن كلّ ألف دينار على دينار، وعن كلّ ألف درهم على درهم، وعن كلّ ألف شاة على شاة، وعن كلّ ألف شيء شيئاً، ثمّ رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيراً فلم تسمح بذلك نفسه؛ فجمع بني إسرائيل وقال لهم: يا بني إسرائيل إنّ موسى قد أمركم بكلّ شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له: أنت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تجيؤوا بفلانة البغي فنجعل لها جعلاً على أن تقذفه بنفسها، فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فاسترحنا منه، فأتوا بها؛ فجعل لها قارون ألف درهم؛ وقيل ألف دينار؛ وقيل طستاً من ذهب؛ وقيل: حكمها وقال لها: إنّي امولّك

١ ـ تفسير كشف الاسرار: ٣٧٤/٣.

وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غداً إذا حضر بنوإسرائيل. فلمّا أن كان الغد جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى موسى، فقال له: إنّ بني إسرائيل قد اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبيّن لهم أعلام دينهم وأحكام شريعتهم، فجرج إليهم موسى وهم في سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنا وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنا وله امرأة رجمناه حتّى يموت، فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا، قال قارون: فإن بني إسرائيل يزعمون أنّك فجرت بفلانة، قال: أنا؟ قال: نعم، قال: ادعوها، فإن قالت فهو كما قالت، فلمّا أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة إنّما أنا فعلت لك ما يقول هؤلاء وعظّم عليها، وسألها بالّذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى إلّا صدقت، لمّا ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها: لئن أُحدث اليوم توبة أفضل من أن أُوذي رسول الله، فقالت:، كذبوا، ولكن جعل لي قارون جعلا على أن أقذفك بنفسي، فلمّا تكلّمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنّه وقع في مهلكة، وخرّ موسى ساجداً، يبكي ويقول: يا ربّ إن عدوّك قد آذاني واراد فضيحتي وشيني، اللّهم فإن كنت رسولك فاغضب لي وسلّطني عليه، فأوحى الله سبحانه أن أرفع رأسك ومر الأرض بما شئت تطعك، فقال موسى: يا بني إسرائيل إنّ الله تعالى قد بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا قارون ولم يبق معه إلا رجلان، ثمّ قال موسى ﷺ: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى كعابهم، ثمّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، ثم قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى حقوهم، ثمّ قال: يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى أعناقهم، وقارون وأصحابه في كلّ ذلك يتضرعون إلى موسى ﷺ ويناشده قارون الله والرحم، حتّى روي في بعض الأخبار أنّه ناشده سبعين مرّة، وموسى في جميع ذلك لا يلتفت إليه

لشدّة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم الأرض، فأوحى الله سبحانه إلى موسى: يا موسى ما أفظّك! استغاثوا بك سبعين مرّة فلم ترحمهم ولم تغثهم، أما وعزّتي وجلالي لو إيّاي دعوني مرّة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً[1].

حكاية

جاء في كتب التراث أنه كان في المدينة المنورة شاب وجيء للنبي ﷺ بأنه يحتضر وطلب منه ﷺ أن يحضره فجاء النبي ﷺ وجلس عند فراشه وأراد الشاب أن يتشهد فلم يطاوعه لسانه فسأل النبي ﷺ عن حاله: أتارك للصلاة هو؟

قيل: لا. قال: أمانع للزكاة؟ قيل: لا. قال: أعاق لأبيه؟ قيل: لا.قال: أعاق لأمه؟ قيل: نعم.

فدعا النبي ﷺ أمه وقال لها: أيكون في حلّ منك؟ قالت: كيف اجعله في حلّ وقد لطمني. قال النبي لمن حوله: علي بالنار. فقالت الأم: وما تفعل بها. قال ﷺ: لأحرقه جزاء على فعلته. قالت: لا تحرقه يا رسول الله حملته في بطني تسعة أشهر وغذوته حولين كاملين فإن كان ولا بد فهو في حلٍّ مني.

هذه أم تفعل مع من عقها وأذنب بحقها.

وهي لم تخلقه ولم تمنحه نعمة الوجود، رق قلبها وعفت من ابنها ولم ترض أن يحرق فكيف بخالق الانسان وهو أرأف بعبده من الأم الشفيقة بولدها؟

هيهات أنت أكرم من أن تضيع من ربّيته.

حكاية أخرى

جاء في كتب التراث ان يزيد بن المهلب كان له دين على «وكيع» وهو من

---

١ ـ بحارالانوار: ٢٥٧/١٣، باب قصة قارون.

أعيان خراسان فبعث بعامله إلى عامل وكيع يطالبه بتسديد ما عليه من الدين وأن يشدّد عليه في استرداد المبلغ.

وذات يوم جاء عامل وكيع إلى دار يزيد بن المهلب لأمهاله في تسديد الدين الذي على وكيع.

وفيما هم يتحدّثون مدّ الخوان فقال عامل ابن المهلب لعامل وكيع اخرج بنا عن المجلس فقال عامل وكيع: لا والله حتى اصيب من الطعام، ثمّ مدّ يده وتناول الطعام مع صاحب الدار الذي هو غريمه، فلما انتهوا التفت عامل وكيع إلى ابن المهلب يستمهله فقال ابن المهلب لعامله: اسقط عنه الدين لقد أصاب من زادي وملحي وطعامي وليس من المروءة أن أطالبه بعد ذلك.

إذا كان العبد يفعل ذلك مع من أكل زاده وملحه فكيف برب العباد وعباده ينهلون من مائدة الوجود وهي حافلة بنعمه وآلائه.. هيهات.

وحكاية أخرى

وحكى بعض أرباب التواريخ انه جيء إلى معن بن زائدة وهو من كبار القادة بثلاثمئة أسير، فأمر بقتلهم جميعاً، فهتف فتى لم يبلغ الحلم بعد من بين أولئك الأسرى: أيها الأمير ناشدتك الله إلّا تقتلنا حتى تسقينا من الماء!

فقال معن: اسقوهم جميعاً، فلما شربوا وارتووا هتف الفتى: اننا الآن ضيوفك وشأنك ايها الامير ان تكرم ضيفك.

قال معن: صدقت اطلقوهم.

وحقاً ما قال سيدنا علي عليه السلام بعيد بعيد على الله أن يضيع عباده ويشرّد بهم أو يسلمهم إلى البلاء وهو أرحم الراحمين واكرم الاكرمين.

«وَلَيْتَ شِعْرِي يَا سَيِّدِي وَإِلٰهِي وَمَوْلاَيَ»

«أَتُسَلِّطُ ٱلنَّارَ عَلَىٰ وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ سَاجِدَةً، وَعَلَىٰ أَلْسُنٍ نَطَقَتْ»

«بِتَوْحِيدِكَ صَادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مَادِحَةً، وَعَلَىٰ قُلُوبٍ ٱعْتَرَفَتْ بِإِلٰهِيَّتِكَ»

«مُحَقِّقَةً، وَعَلَىٰ ضَمَائِرَ حَوَتْ مِنَ ٱلْعِلْمِ بِكَ حَتَّىٰ صَارَتْ خَاشِعَةً، وَعَلَىٰ»

«جَوَارِحَ سَعَتْ إِلَىٰ أَوْطَانِ تَعَبُّدِكَ طَائِعَةً، وَأَشَارَتْ بِاسْتِغْفَارِكَ مُذْعِنَةً، مَا»

«هٰكَذَا ٱلظَّنُّ بِكَ وَلَا أُخْبِرْنَا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يَا كَرِيمُ، يَا رَبِّ»

أجل ليس ظنّنا بك إلّا أنك الكريم الذي لا نهاية لكرمك والجـواد الذي لا حدود لجودك وسخائك.

رمز العبادة

ليس هناك في كل طقوس العبادة ما يرقى إلى حالة الصلاة في التعبير عـن العبادة لله والعبودية له، ليس هناك ما هو أجلى وأعمق في تجسيد الخضوع في حضرة الله والسجود في رحابه.

أجل ليس هناك ما هو أجمل وأكثر تعبيراً من الصلاة، وليس هناك مـا هـو أعظم من الصلاة فائدة للانسان.

ان اللحظات التي يقف فيها الانسان أمام ربّه للصلاة لهـي اكـثر اللـحظات

المفعمة بالاشراق الالهي والتلقي القلبي فالانسان سيكون في اشدّ الحالات صفاءً واستعداداً لتلقي الرحمة والنور والبركة.

ومن هنا جاءت الرسالات الالهية منذ فجر التاريخ الانساني الطويل وهي تؤكد على الصلاة وتدعو إلى الصلاة.

يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«اَلصَّلاةُ مِن شَرايِعِ اَلدِّينِ، وَفِيها مَرضاةُ اَلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَهِيَ مِنْهاجُ اَلأَنْبِياءِ»[1].

«جَعَلَ اَللّهُ جَلَّ ثَناؤُهُ قُرَّةَ عَيْنِى فِى اَلصَّلاةِ، وَحَبَّبَ إِلىَّ اَلصَّلاةَ كَمَا حَبَّبَ إِلَى اَلجائِعِ اَلطَّعَامَ، وَإِلَى اَلظَّمآنِ اَلماءَ. وَإِنَّ الجائِعَ إِذَا أَكَلَ شَبِعَ، وَإِنَّ اَلظَّمآنَ إِذا شَرِبَ رَوِىَ، وَأَنا لا أَشْبَعُ مِن اَلصَّلاةِ»[2].

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«إِذَا قُمتَ إِلَى اَلصَّلاةِ وَتَوَجَّهتَ وَقَرأْتَ أُمَّ اَلكِتابِ وَما تَيَسَّرَ مِنَ اَلسُّوَرِ ثُمَّ رَكَعتَ فَأَتمَمتَ رُكُوعَها وَسُجودَها وَتَشَهَّدتَ وَسَلَّمتَ، غُفِرَ لَكَ كُلُّ ذَنْبٍ فيمَا بَينَكَ وَبَينَ اَلصَّلاةِ اَلَّتى قَدَّمتَها إِلى اَلصَّلاةِ اَلمُؤَخَّرَةِ»[3].

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«اَلصَّلاةُ تَستَنْزِلُ اَلرَّحْمَةَ»[4].

---

١ ـ الخصال: ٢/٥٢٢، حديث ١١؛ ميزان الحكمة: ٧/٣٠٩٢، الصلاة، حديث ١٠٥٢٨.
٢ ـ مكارم الأخلاق: ٤٦١، الفصل الخامس؛ ميزان الحكمة: ٧/٣٠٩٢، الصلاة، حديث ١٠٥٣٥.
٣ ـ الأمالي للصدوق: ٥٤٩، حديث ٢٢؛ ميزان الحكمة: ٧/٣٠٩٦، الصلاة، حديث ١٠٥٥٦.
٤ ـ غرر الحكم: ١٧٥، حديث ٣٣٤١؛ ميزان الحكمة: ٧/٣٠٩٢، الصلاة، حديث ١٠٥٣٢.

«اَلصَّلاةُ قُربَانُ كُلِّ تَقيٍّ»[١].

«أُوصِيكُم بِالصَّلاةِ وَحِفْظِهَا، فَإِنَّها خَيْرُ اَلعَمَلِ وَهِيَ عَمُودُ دِينِكُم»[٢].

«إِنَّ اَلإنسانَ إِذَا كانَ فِي اَلصَّلاةِ فَإِنَّ جَسَدَهُ وَثِيابَهُ وَكُلَّ شَيءٍ حَولَهُ يُسَبِّحُ»[٣].

ويقول لصاحبه كميل بن زياد:

«يا كُميلُ! لَيسَ اَلشَّأنُ أن تُصَلِّيَ وَتَصُومَ وَتَتَصَدَّقَ، إنَّما اَلشَّأنُ أن تَكُونَ اَلصَّلاةُ فُعِلَت بِقَلبٍ نَقِيٍّ، وَعَمَلٍ عِندَ اَللّهِ مَرضِيٍّ، وَخُشوعٍ سَوِيٍّ»[٤].

حسن الظن بالله

المؤمن الذي يثق بالله عزوجل ويعمل صالحاً يمضي سنوات عمره في سعي حثيث بأمل كبير في لطف الله ورحمته ومغفرته يحسن الظّن بالله فالمؤمن يعيش حالة متوازنة بين الخوف والرجاء؛ يعني إن عاش حالة خوف من الله ومن أهوال يوم القيامة تدفق نبع الأمل في قلبه في أن الله سيغفر له ويعفو ويفتح له أبواب جنته؛ وقد جاء عن أئمة أهل البيت في ذلك ما يجذّر هذه الحالة الايمانية السويّة.

قال سيدنا علي عليه السلام:

«حُسنُ اَلظَّنِ أن تُخلِصَ اَلعَمَلَ، وَتَرجُوَمِنَ اَللّهِاَنْ يَعْفُوَ عِنِ اَلزَّلَلِ»[٥].

---

١ ـ الخصال: ٦٢٠/٢؛ ميزان الحكمة: ٣٠٩٤/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٣٧.

٢ ـ أمالي الطوسي: ٥٢٢، حديث ١١٥٧، ميزان الحكمة: ٣٠٩٤/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٤٣.

٣ ـ علل الشرايع: ٣٣٦/٢، باب ٣٣، حديث ٢؛ ميزان الحكمة: ٣١٠٤/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٨٥.

٤ ـ تحف العقول: ١٧٤، وصية لكميل بن زياد، ميزان الحكمة: ٣١٠٦/٧، الصلاة، حديث ١٠٥٩٢.

٥ ـ غرر الحكم: ٨٣، حديث ١٣٢٧؛ ميزان الحكمة: ٣٤٠٢/٧، الظن، حديث ١١٥٩٠.

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«حُسنُ الظَّنِّ بِاللّهِ أن لا تَرجُوَ إلّا اللّهَ وَلا تَخافَ إلّا ذَنبَكَ»(١).

وقال سيدنا سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله:

«وَالَّذِي لَا إلٰهَ إلّا هُوَ، لا يَحسُنُ ظَنُّ عَبدٍ مُؤمِنٍ بِاللّهِ إلّا كانَ اللّهُ عِندَ ظَنِّ عَبدِهِ المُؤمِنِ؛ لِأَنَّ اللّهَ كَرِيمٌ بِيَدِهِ الخَيراتُ، يَستَحيِي أن يَكونَ عَبدُهُ المُؤمِنُ قَد أَحسَنَ بِهِ الظَّنَّ ثُمَّ يُخلِفُ ظَنَّهُ وَرَجاهُ، فَأَحسِنُوا بِاللّهِ الظَّنَّ وَارغَبُوا إلَيهِ»(٢).

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

«لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُم حَتّى يُحسِنَ ظَنَّهُ بِاللّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإنَّ حُسنَ الظَّنِّ بِاللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَمَنُ الجَنَّةِ»(٣).

وقال صلى الله عليه وآله:

«حُسنُ الظَّنِّ بِاللّهِ مِن عِبادَةِ اللّهِ»(٤).

١ ـ الكافي: ٧٢/٢، باب حسن الظن، حديث ٤؛ ميزان الحكمة: ٣٤٠٢/٧، الظن، حديث ١١٥٨٩.
٢ ـ الكافي: ٧١/٢، باب حسن الظن، حديث ٢: ميزان الحكمة: ٣٤٠٠/٧، الظن، حديث ١١٥٨١.
٣ ـ أمالي طوسى: ٣٧٩، حديث ٨١٤؛ ميزان الحكمة: ٣٤٠٠/٧، الظن، حديث ١١٥٨٢.
٤ ـ ميزان الحكمة: ٣٤٠٠/٧، الظن، حديث ١١٥٨٤.

« وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِي، عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلَاءِ ٱلدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا، وَمَا يَجْرِي »

« فِيهَا مِنَ ٱلْمَكَارِهِ عَلَىٰ أَهْلِهَا، عَلَىٰ أَنَّ ذٰلِكَ بَلَاءٌ وَمَكْرُوهٌ، قَلِيلٌ »

« مَكْثُهُ، يَسِيرٌ بَقَاؤُهُ، قَصِيرٌ مُدَّتُهُ، فَكَيْفَ ٱحْتِمَالِي لِبَلَاءِ ٱلْآخِرَةِ، »

« وَجَلِيلِ وُقُوعِ ٱلْمَكَارِهِ فِيهَا، وَهُوَ بَلَاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ، وَيَدُومُ مَقَامُهُ، »

« وَلَا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ غَضَبِكَ وَٱنْتِقَامِكَ وَسَخَطِكَ »

« وَهٰذَا مَا لَا تَقُومُ لَهُ ٱلسَّمَاوَاتُ وَٱلْأَرْضُ، يَا سَيِّدِي فَكَيْفَ لِي وَأَنَا »

« عَبْدُكَ ٱلضَّعِيفُ ٱلذَّلِيلُ، ٱلْحَقِيرُ ٱلْمِسْكِينُ ٱلْمُسْتَكِينُ »

ويا لا اله إلّا أنت تعلم مدى ضعفي..

أتململ من سهام القدر وعقوبته.. وأفرّ من من مصائب الدهر وعاديات الزمن، وأعرف انها لن تدوم.

فكيف يا الهي استطيع مواجهة عذابات الآخرة وأيّ عذاب سيكون وهو يتفجّر من غضبك وانتقامك.

يا سيدي ارحم عبدك البائس الذليل المستكين الذي لا يملك من نفسه حولاً ولا قوة.

بلاء الدنيا والآخر

لا يمكن أن يقارن المرء بين بلاء الدنيا وبلاء الآخرة، فالمصائب التي تضرب الناس في الدنيا من قبيل الزلازل والسيول والقحط والغلاء والتشرّد وانواع المرض إنما هي عابرة أما بلاء الآخرة فدائم لا يزول وباق لا ينتهي.

من جانب آخر ان بلايا الدنيا لها بعد اختياري وامتحاني فإذا صبر الانسان وحافظ على استقامته وايمانه اعطاه الله من الثواب الجزيل ورضوان من الله اكبر.

وهذا صبر الأنبياء ومعاناتهم ومقاومتهم أمثلة قائمة لمن أراد أن يسلك طريق الأنبياء.. ليس الأنبياء وحدهم فهناك قوافل الصديقين والشهداء عبر التاريخ.

يقول القرآن الكريم:

﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

ويقول سيدنا محمد ﷺ:

«ٱلصَّبْرُ ثَلَاثَةٌ: صَبْرٌ عِنْدَ ٱلْمُصِيبَةِ، وَصَبْرٌ عَلَى ٱلطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ ٱلْمَعْصِيَةِ»[2].

ان الصابر انسان مؤمن يعي جيداً حركة الانسان والتاريخ ولذا تجده ثابتاً ثبات الجبال فإذا حلّت به مصيبة قال وكأنه يذكّر نفسه وغيره: انا لله وانا إليه راجعون.

الانسان مبدأه من الله ومعاده إليه وهؤلاء سوف يتلقون البشرى من الله على وعيهم وايمانهم.

---

١ ـ سورة الانفال: ٤٦.

٢ ـ الكافي: ٩١/٢، باب الصبر، حديث ١٥.

يقول القرآن الكريم:

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[1].

الصابرون أولئك الناس الذين يداومون على طاعة الله صابرين عليها متمسكين بها في كل الظروف يكسبون رزقهم من الحلال ويجتنبون المعاصي مهما تعرضوا للاغراء.

وتراهم ينفقون ممّا رزقهم الله لا بخل في حياتهم ولا تبذير[2].

ومن الفروق بين بلاء الدنيا وبلاء الآخرة هو أن بلاء الآخرة عذاب شديد لا يطاق وحتى لو تحمله المرء فلا ثواب له لأنه ليس امتحان بل انتقام وجزاء وعقاب.

عذاب البرزخ والقيامة

اختص قسم كبير من آيات القرآن الكريم بوصف العذاب في البرزخ والقيامة وتجد الاجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب الله من التفصيل ما يصوّر مشاهد رهيبة من العذاب الشديد والأليم.

وهناك من الروايات ما يرسم صورة مهولة لأهوال يوم القيامة.

ويروي علي بن ابراهيم عن الامام الصادق عليه السلام:

ان جبرائيل جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قاطب وقد كان قبل ذلك يجيء وهو

---

١ ـ سورة البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧.

٢ ـ مكارم الأخلاق: ٤٤٦، الفصل الرابع؛ مستدرك الوسائل ٢٦١/١١، باب وجوب الصبر، حديث ١٢٩٤٠.

مبتسم فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل جئتني اليوم قاطباً؟ فقالك يا محمد قد وضعت منافخ النار، فقال: وما منافخ النار يا جبرئيل؟ فقال: يا محمد إنّ الله عزوجل أمر بالنار فنفخ عليها الف عام حتى ابيضت ونفخ عليها الف عام حتى احمرت ثم نفخ عليها الف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة لو أن قطرة من الضريع قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها وان حلقة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرها، ولو أن سربالا من سرابيل أهل النار علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من ريحه ووهجه، فبكى رسول الله ﷺ وبكى جبرئيل فبعث الله إليهما ملكا فقال لهما: إن ربكما يقرؤكما السلام ويقول قد آمنتكما ان تذنبا ذنباً أعذبكما عليه، فقال أبو عبدالله عليه السلام: فما رأى رسول الله ﷺ جبرئيل مبتسما بعد ذلك. ثم قال: إن أهل النار يعظمون النار وان أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم وان اهل جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً فاذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد وأعيدوا في دركها هذه حالهم وهو قول الله عزوجل:

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا..﴾[1].

ثم تبدل جلودهم جلوداً غير الجلود التي كانت عليهم فقال أبوعبدالله عليه السلام حسبك يا ابامحمد قلت حسبي حسبي[2].

ويروي الشيخ الصدوق عن الامام الباقر عليه السلام:

«ان أهل النار يتعاوون فيها كما يتعاوى الكلاب والذئاب ممّا يلقون من أليم العذاب ما ظنك يا عمرو بقوم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها؛

١ ـ سورة الحج: ٢٢.
٢ ـ تفسير القمي: ٨١/٢.

عطاشى فيها جياع كليلة ابصارهم صم بكم عمي مسودّة وجوههم خاسئين فيها نادمين مغضوب عليهم فلا يرحمون ومن العذاب فلا يخفف عنهم وفي النار يسجرون ومن الحميم يشربون ومن الزقوم يأكلون وبكلاليب النار يحطمون وبالمقامع يضربون..»[1].

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث له عما يجري على الكافر بعد الموت:

«.. وإذا كان لربّه عدوّاً فانه يأتيه اقبح خلق الله بأساً وأنتنه ريحاً فيقول له من أنت؟».

فيقول: أنا عملك ابشر «بنزل من حميم وتصلية جحيم» وانه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه فإذا ادخله قبره اتيا القبر فالقيا اكفانه ثم قال له: من ربك ومن نبيك وما دينك؟ فيقول: لا أدري؛ فيقولان: لا دريت ولا هيت فيضربانه بمرزية (عصا من الحديد)[2] ضربة ما خلق الله دابّة إلّا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له: نم بشرّ حال فهو في الضيق مثل ما فيه القنا من الزج (الرمح) حتى ان دماغه يخرج ممّا بين ظفره ولحمه ويسلط عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وانه ليتمنى قيام الساعة ممّا هو فيه من الشرّ[3].

اللهم إنّا نعوذ بك من أهوال القيامة ونلوذ بك يا رب من عذاب الآخرة..

اللهم اني لم اعبدك حق العبادة، وهذه ذنوبي كبتلني.. الهي ولا أمل لي إلّا بك غفرانك اللهم..

---

١ ـ أمالي الصدوق: ٥٥٧، المجلي ٨٢، حديث ١٤.
٢ ـ ﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ الحج: ٢٢.
٣ ـ تفسير القمي: ١/٢٧٠.

الهي ليس لي إلّا حبّك وايماني بك وبرسلك وانبيائك وأوليائك.

الهي ديدني العصيان وعملي اقتراف الذنوب.. وأنت يا رب مقلّب القلوب تعرف ما في قلبي من الحب لك والشوق إليك.

الهي اعف عني فانا الضعيف وأنت القوي، وأنا المذنب وأنت الرب الغفور الرحيم.

الهي لا يضع عن السلاسل والأغلال إلّا أنت.. الهي جئتك فارّاً هارباً منك إليك راج احسن ما لديك فاقبلني وأقل عثرتي يا رؤوف بالله.

« يَا إِلَهِي وَرَبِّي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ »

«لِأَيِّ ٱلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَشْكُو، وَلِمَا مِنْهَا أَضِجُّ وَأَبْكِي، لِأَلِيمِ ٱلْعَذَابِ وَشِدَّتِهِ»

«أَمْ لِطُولِ ٱلْبَلَاءِ وَمُدَّتِهِ، فَلَئِنْ صَيَّرْتَنِي لِلْعُقُوبَاتِ مَعَ أَعْدَائِكَ، وَجَمَعْتَ»

«بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِ بَلَائِكَ وَفَرَّقْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحِبَّائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ فَهَبْنِي »

« يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَرَبِّي، صَبَرْتُ عَلَىٰ عَذَابِكَ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلَى »

« فِرَاقِكَ ، وَهَبْنِي صَبَرْتُ عَلَى حَرِّ نَارِكَ ، فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ ٱلنَّظَرِ إِلَىٰ »

«كَرَامَتِكَ ، أَمْ كَيْفَ أَسْكُنُ فِي ٱلنَّارِ وَرَجَائِي عَفْوُكَ»

ويا معبودي الأوحد ما ذا اشكو إليك.. هل اشكو العذاب وآلامه أم الزمن المتمادي.. أم اشكو فراق الحبيب؟

وكيف أصبر على فراق المحبوب.. النار أهون من ذلك يا الهي!

شكوى إلى الحبيب

في هذا المقطع نجد آلام العاشقين وقد تفجرت عاطفة الحب النقية.. عاطفة العشق الالهي فإذا هي جياشة معبّرة تخترق الحجب وتنفذ في عمق السماوات وفي قلوب المؤمنين..

القلب المؤمن العاشق لا يعرف سوى الله عزوجل. يعترف بعجزه وفقره وبؤسه ومسكنته وحاجته المستمرة للغني المطلق؛ الله وحدة سبحانه الذي يرحم عباده، سبحانه وحده الذي لا يعتدي على أهل مملكته.

الهي أسألك واتضرع إليك واقسم عليك بدموع فاطمة الزهراء وهي تتوسل إليك وتمجّدك أنت وحدك الباقي كل شيء آخذ طريقه نحو المغيب؛ النجوم القمر.. الارواح البيضاء تتجه إليك لا تبالي بأشواك الطريق فى الصحراء حتى لو كانت حافية.

أنت وحدك الحق يا ربّ.. أنت نور عيني وفرحة قلبي.. دعني ألج ملكوتك اسبحك وأطوف مع النجوم حول عرشك.. أنت وحدك الحقيقة وما سواك وهم.. أنت وحدك نبع الحياة وعداك سراب يحسبه الظمآن ماء؛ وأسألك اللهم بكلمات سيدتنا الزهراء عليها السلام وهي تتضرع إليك: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة لي خيراً، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي.

اللهم اني أسألك كلمة الاخلاص، وخشيتك في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر.

وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرّة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بالقضاء وأسألك برد العيش. بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضرّاء مضرّة ولا فتنة مظلمة.

اللهم زيّنا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهديين يا رب العالمين.

وأسألك اللهم بكلمات خليلك:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

أنت يا الهي الذي نصرت نوح واغرقت الذين كفروا بالطوفان من بعد مئات السنين من العذاب ففتحت على قومه من السماء الماء المنهمر وفجرّت الأرض ينابيع وفار التنور فالتقى الماء على أمر قد قدر! فانجيت الذين آمنوا واغرقت الكافرين.

الهي يا مجيب المضطر يا قابل التوب يا أرحم الراحمين.. يا من لا يخيب سائليه ولا ييأس من رحمته آمليه إليك تشدّ الرحال وبك تتعلق الآمال.

البكاء

ليس هناك تعبير ابلغ من دموع يذرفها الانسان في حضرة الربّ تبارك وتعالى؛ والبكاء من نعم الله تعالى وهبها للانسان لتكون له وسيلة في التعبير عن الحب والشوق للمحبوب انها لآلئ العشق الالهي.

يقول سيدنا محمد ﷺ يوصي عليا عليه السلام:

«أُوصِيكَ يَا عَلِيُّ فِي نَفْسِكَ بِخِصالٍ فَاحْفَظْها، اللّهُمَّ أَعِنْهُ... وَٱلرّابِعَةُ ٱلْبُكاءُ لِلّهِ، يُبنَى لَكَ بِكُلِّ دَمْعَةٍ بَيتٌ فِي ٱلجَنَّةِ»[٢].

وعنه صلوات الله عليه وآله:

---

١ ـ سورة البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩.

٢ ـ بحار الأنوار: ٣٩١/٦٦، باب ٣٨، حديث ٦٨.

«طُوبَى لِصُورَةٍ نَظَرَ ٱللّٰهُ إِلَيهَا تَبكِي عَلى ذَنْبٍ مِنْ خَشيَةِ ٱللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يَطَّلِعْ عَلى ذلكَ ٱلذَّنبِ غَيرُهُ»[1].

وعنه ﷺ أيضاً:

«وَمَنْ ذَرَفَتْ عَينَاهُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللّٰهِ كانَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ مِن دُمُوعِهِ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ يَكُونُ فِي مِيزانِهِ مِنَ ٱلأجرِ»[2].

وعنه ﷺ أيضاً:

«مَن خَرَجَ مِن عَينَيهِ مِثْلُ ٱلذُّبابِ مِنَ ٱلدَّمعِ مِن خَشْيَةِ ٱللّٰهِ آمَنَهُ ٱللّٰهُ بِهِ يَوْمَ ٱلفَزَعِ الأكبَرِ»[3].

وقال سيدنا علي عليه السلام:

«بُكاءُ ٱلعُيُونِ وَخَشيَةُ ٱلقُلوبِ مِن رَحمَةِ ٱللّٰهِ تَعالى ذِكْرُهُ، فَإذا وَجَدتُمُوهَا فَاغْتَنِمُوا ٱلدُّعاءَ»[4].

ان انهمار الدموع من المؤشرات الأكيدة على الاعتراف بالحقيقة والايمان بالحق قال الله عزوجل يصف بعض النصارى من المؤمنين:

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[5].

---

١ ـ جامع الأخبار: ٩٧، فصل ٥٤؛ ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣٠.
٢ ـ أمالي الصدوق: ٤٣١، المجلس ٦٦؛ ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣١.
٣ ـ بحارالأنوار: ٣٣٦/٩٠، باب ١٩، حديث ٣٠؛ ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣٤.
٤ ـ مكارم الأخلاق: ٣١٧، البكاء؛ ميزان الحكمة ٥٣٦/٢، البكاء، حديث ١٨٣٥.
٥ ـ سورة المائدة: ٨٣.

ويقول الامام الصادق عليه السلام :

«مَا مِن شَيْءٍ إلّا وَلَهُ كَيلٌ أو وَزنٌ إلّا ٱلدُّموعَ، فَإنَّ ٱلقَطرَةَ مِنهَا تُطفِئُ بِحاراً مِن نارٍ، وَإذا اغْرَوْرَقَتِ ٱلعَينُ بِمائِها لَم يَرْهَق وَجْهَه قَترٌ وَلَا ذِلَّةٌ، فإذا فاضَت حَرَّمَهُ ٱللّهُ عَلَى ٱلنّارِ، وَلَوْ أنّ باكياً بَكىٰ في أُمَّةٍ لَرُحِمُوا»[١].

فراق الأحبّة

ان من يعشق الأنبياء ويتلهف على رؤية الأولياء ويشتاق إلى زيارة الصديقين والشهداء فانه سيحظى برؤيتهم يوم القيامة ويكون من جلسائهم، لأن من عقوبات الآخرة جزاء على الذنوب هو فراق الأحبّة، وقد يصل الأمر بالمذنبين أن يكون جزاؤهم أن يقرنوا بأعدائهم وهذا أدّ إيلاماً للنفس.

وأسأل عن ألم الفراق من أبتلي به ولا يعرف طعمه إلّا من ذاق مرارته.

يعرفه أبونا آدم يوم أكل من الشجرة المحرّمة فأخرج من الجنة وحرم العيش مع الملائكة والحياة في الجنّة.

يعرفه أيوب يوم فارق ثروته وأهله وأحبته وودّع عافيته فاذا هو وحيد سقيم.

ويعرفه يونس يوم ألقي في البحر فالتقمه الحوت فحرم فضاء الحياة الواسعة الرحبة ليعتقل في ظلمات متكاثفة في بطن الحوت.

ويعرفه يعقوب وقد فقد بصره بكاء على المحبوب.

ويعرفه يوسف إذ فارق احضان والديه الدافئة بعد أن ألقي في غيابات الجب.

١ ـ بحار الأنوار: ٣٣١/٩٠، باب ١٩، حديث ١٤؛ ميزان الحكمة: ٥٣٨/٢، البكاء، حديث ١٨٤١.

ولكن الله عزوجل تاب على آدم واجتباه، وأعـاد العـافية لأيـوب وأهـله ومثلهم معهم.

ويونس نجاه الله من الكرب العظيم وأوحى إلى الحوت أن ينبذه في الساحل وأنبت عليهم شجرة من يقطين، ثم أرسله رحمةً إلى مئة ألف أو يزيدون.

ويوسف أوى إليه أبويه من بعد ما مكن له في الأرض وجعله عـزيز مـصر وآتاه الله الملك وعلّمه من تاويل الأحاديث.

أهل الكرامة

وهبني يا الهي استطعت تحمّل النار وصنوف العذاب فكيف لي أن أتحمل إلاّ انظر إلى وجهك الكريم.

وجاء في الأثر ان الله سبحانه لم يخلق أحداً حتى يعلم مكانه في الجـنة أو الجحيم. فإذا سكن أهل الجنة في الجنة وألقي أهل النار في النار يأتي النداء إلى أهل الجنة أن يطلعوا على النار ثم يقال لهم: هذا ما توعد به الله عزوجل العصاة من عباده وخلقه ولو أنكم عصيتم لكان مأواكم جهنم وبئذ المصير. فيفرحون بما أنعم الله عليهم من الجنة والنعيم والنجاة من النار والجحيم.

ثم ينادي في أهل النار أن انظروا إلى الجنّة ومنازلها ثم يقال لهم: هذه الجنة خلقها لأهل طاعته ولو أنكم أطعتم لكنتم فيها منعمين.

فيتضاعف حزنهم وعذابهم ويتمنون لو أن الله قضى عليهم.

الأمل

وكيف يا الهي ابقى في النار وليس لي أمل إلاّ بك، يا الهي وهـذه رحـمتك وسعت كل شيء فتجاوز عنّي... أليس يا الهي وعدت عبادك بالعفو؟ فمن يعفو

غيرك ؟

جاء في بعض كتب التراث :

ان إحدى المغنيات من أهل المجون في مكة كانت تقيم حفلات الطرب والغناء وكانت ترقص فيها وتغنّي، وبعد سنوات من هجرة سيدنا محمد ﷺ وقد تقدمت بها السن وذهب بهاؤها وحسنها كسدت بضاعتها فشدّت الرحال إلى المدينة المنورة ودخلت على النبي ﷺ فسألها النبي عمّا أقدمها أتجارة للدنيا أم تجارة للآخرة ؟ فقالت : لا هذا ولا ذاك ولكني سمعت بجودك وكرمك فجئت رجاء أن تعطيني.

فخلع سيدنا محمد ﷺ رداءه وأعطاها ثم أمر أصحابه أن يعطوها ما تيسّر لهم فجمعوا لها ما يغنيها.

أجل هذا نبي الرحمة يفعل ذلك ويكرم امرأة كانت ما كانت؛ فكيف بمن أرسل نبينا رحمة للعالمين ؟! كيف بالرحمة المطلقة الواسعة التي وسعت كل شيء ؟!

اللهم ليس لنا إلّا الرجاء والأمل وأنت أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

«فَبِعِزَّتِكَ يَا سَيِّدِي وَمَوْلَايَ أُقْسِمُ صَادِقاً، لَئِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً،»
«لَأَضِجَّنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ، وَلَأَصْرُخَنَّ إِلَيْكَ»
«صُرَاخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَلَأَبْكِيَنَّ عَلَيْكَ بُكَاءَ الْفَاقِدِينَ، وَلَأُنَادِيَنَّكَ»
«أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، يَا غَايَةَ آمَالِ الْعَارِفِينَ، يَا غِيَاثَ»
«الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا حَبِيبَ قُلُوبِ الصَّادِقِينَ، وَيَا إِلٰهَ الْعَالَمِينَ»

مقطع من الدعاء الكريم تصل فيه البلاغة في التعبير غاياتها لأنها تنبع من قلب صادق مؤمن عاشق؛ قلب يتدفق حباً ولوعة وشوقاً وهكذا القلوب الوالهة والنفوس الهائمة والأرواح المتيّمة عندما تتشرب الحب الالهي وهكذا هو حال العاشقين.. تراهم يتحملون كل شيء إلّا فراق المحبوب.

يمرّ أحدهم بامرأة ثكلى تندب ابنتها عند قبرها فيقول: طوبى لهذه الأم تعرف عن أية جوهرة نأت.

ويتغنى آخر:

يبكي الطفل أضاع طريقه إلى المنزل.

فلماذا لا أبكي وقد اضعت صاحب المنزل[1].

وحقاً كيف ستكون مشاهد يوم القيامة.. ويا له من يوم عصيب، فطوبى لمن

---

١ ـ من ديوان الشاعر الايراني صائب تبريزي: ٤٩٠، والنص الفارسي:

طفل می‌گرید چو راه خانه را گم می‌کند   چون نگريم من صاحب خانه را گم كرده‌ام

استحق يومئذ رحمة الله ورضوانه.

وحرّي بنا اليوم ولمّا ينشب الموت مخالبه في أعناقنا أن نعرض أنفسنا على القرآن الكريم لنعرف إلى أي جهة نسير.

هارون و بهلول

عاد هارون الرشيد من الحج فتوقف في الكوفة أياماً فمرّ ذات يوم بسكّة من سككها فاذا به يسمع صوتاً يصيح عليه ثلاث مرّات:

يا هارون يا هارون يا هارون!

فتعجب من هذا الذي يناديه باسمه دون لقب من ألقاب التبجيل والتجليل فالتفت إليه قائلاً:

أتعرفني؟ نعم أعرفك. فمن أنا؟ قال بهلول: أنت الذي إذا ظلم أحد في المشرق وأنت في المغرب سئلت عنه يوم القيامة. فبكى هارون وقال: كيف ترى حالي؟ قال بهلول: أعرض نفسك على كتاب الله:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[1].

قال هارون: ما ترى في سعينا؟ قال بهلول:

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

قال هارون: ونسبنا من رسول الله ﷺ؟ قال بهلول:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[3].

---

١ ـ سورة الانفطار: ١٣ ـ ١٤.

٢ ـ سورة المائدة: ٢٧.

٣ ـ سورة المؤمنون: ١٠١.

قال هارون: وشفاعة رسول الله؟ قال بهلول:

﴿ يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾[1].

قال هارون: ألك حاجة؟ أجاب بهلول: نعم، تغفر ذنوبي وتدخلني الجنة. قال هارون: ليس لي قدرة على ذلك ولكن أقضي دينك؟ قال بهلول: وهل يقضي الدين بالدين؟ قال هارون: اجري عليك عطاء؟ قال بهلول: أنا عبد من عبيدالله ورزقي عليه أفتراه يذكرك وينساني؟

١ ـ سورة طه: ١٠٩.

« أَفَتُرَاكَ سُبْحَانَكَ يَا إِلَهِي وَبِحَمْدِكَ تَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ»

« سُجِنَ فِيهَا بِمُخَالَفَتِهِ، وَذَاقَ طَعْمَ عَذَابِهَا بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ»

« أَطْبَاقِهَا بِجُرْمِهِ وَجَرِيرَتِهِ، وَهُوَ يَضِجُّ إِلَيْكَ ضَجِيجَ مُؤَمِّلٍ لِرَحْمَتِكَ،»

« وَيُنَادِيكَ بِلِسَانِ أَهْلِ تَوْحِيدِكَ وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ،»

يا أعظم معبود: هل يعقل أن تسمع أصوات المعذبين في النار وهم قد آمنوا بك ولكن زلّت بهم الأقدام وسقطوا في براثن المعاصي رغم حبهم لك واستغاثتهم برحمتك وتوسلهم إليك.

كلا وحاشا يا رب! ان أصحاب اليقين من الصديقين إذا قرأوا القرآن ومرّوا بآيات الجحيم ارتعدت نفوسهم وامتلأت قلوبهم خوفاً واقشعرّت لهول المشاهد جلودهم ثم تلين قلوبهم وجلودهم لذكر الله ويتولد في أروحهم عزم على الطاعات ونفور من المعاصي والآثام.

حكاية

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

مر سلمان رضي الله عنه على الحدّادين في الكوفة، فرأى شاباً صعق والناس قد اجتمعوا حوله، فقالوا له: يا أبا عبدالله هذا الشاب قد صرع، فلو قرأت في أذنه، قال: فدنا

منه سلمان، فلمّا رآه الشاب أفاق وقال: يا أبا عبدالله ليس بي ما يقول هؤلاء القوم ولكنّي مررت بهؤلاء الحدادين وهم يضربون بالمرزبات (المطرقة الكبيرة التي بيد الحداد) فذكرت قوله تعالى:

﴿ وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾[1].

فذهب عقلي خوفاً من عقاب الله تعالى، فاتخذه سلمان أخاً، ودخل قلبه حلاوة محبّته في الله تعالى، فلم يزل معه حتى مرض الشاب فجاءه سلمان فجلس عند رأسه وهو يجود بنفسه فقال: يا ملك ارفق بأخي.

فقال: يا أبا عبدالله إني بكل مؤمن رفيق[2].

ويروي أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما مِنْ عَبْدٍ اهتمَّ بِمواقيتِ الصلاة ومواضع الشمس إلّا ضمنت له الروح عند الموت وانقطاع الهموم والأحزان والنجاة من النار، كنا مرّة رعاة الأبل، فصرنا اليوم رعاة الشمس»[3].

وجاء في بعض الاحاديث القدسية الشريفه ان الله عزوجل قال: يابن آدم اني لم أخلق النار إلّا للكافر والبخيل والنمام والعاق ومانع الزكاة وآكل الربا والزاني والمعرض عن القرآن ومؤذي الجيران إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً..

يا عبادي ارحموا انفسكم فابدانكم ضعيفه والسفر بعيد والحمل ثقيل والصراط دقيق، والنار ذات لهيب والمنادي اسرافيل والقاضي ربّ العالمين[4].

---

١ ـ سورة الحج: ٢١.
٢ ـ الأمالي المفيد، المجلس الثالث عشر، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٣٨٥/٢٢، باب ١١، حديث ٢٧.
٣ ـ المصدر السابق، حديث ٥.
٤ ـ كلمة الله.

وصايا

أراد أحدهم السفر فجاء إلى حاتم الاصم وقال له:

أوصني، قال حاتم: إن أردت نصيراً فالله نصيراً، وإن أردت رفيقاً فكرام كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد، وإن أردت العبرة تكفيك الدنيا، وإن أردت انيساً كفاك القرآن، وإن أردت عملاً فالعبادة، وإن أردت واعظاً فكفى بالموت لك واعظاً.

« يَا مَوْلَايَ فَكَيْفَ يَبْقَىٰ فِي الْعَذَابِ »
« وَهُوَ يَرْجُو مَا سَلَفَ مِنْ حِلْمِكَ، أَمْ كَيْفَ تُؤْلِمُهُ النَّارُ وَهُوَ يَأْمَلُ »
« فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ، أَمْ كَيْفَ يُحْرِقُهُ لَهِيبُهَا وَأَنْتَ تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَتَرَىٰ »
« مَكَانَهُ، أَمْ كَيْفَ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ زَفِيرُهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفَهُ، أَمْ كَيْفَ »
« يَتَقَلْقَلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ، أَمْ كَيْفَ تَزْجُرُهُ زَبَانِيَتُهَا وَهُوَ »
« يُنَادِيكَ يَا رَبَّهُ، أَمْ كَيْفَ يَرْجُو فَضْلَكَ فِي عِتْقِهِ مِنْهَا فَتَتْرُكُهُ فِيهَا، »

كيف يبقى عبدك في العذاب وهو يثق بعفوك ويرجو رحمتك وكيف تزجره زبانية العذاب وهو يستغيث بك يا رب؟

وكيف يأمل في الخلاص من الجحيم ويبقى فيها وهو يستنجد برأفتك؟

الرحمة والكرامة

الله سبحانه وتعالى لطيف بالجميع رحيم بهم ولهذا فهو سبحانه يرزقهم وعطاؤه لهم غير محدود.

ولكن البعض لا يسعى لكسب رزقه، فتجده كسولاً متواكلاً يعرض عن رزق الله عزوجل؛ فيعيش الحرمان لأن نعم الله تلزمها جدارة من الانسان نفسه فيستحق بذلك الرزق، ولهذا لا نرى انسان يسعى ويكدح ويعمل إلّا والله يرزقه ويعطيه من خزائنه.

أما الكسالى والفاشلون فهؤلاء هم الذين يحرمون انفسهم من الانتهال من فائدة الوجود الزاخرة بكل انواع النعم والله سبحانه يرزق على العمل الضئيل خيراً وفيراً وهذا شأنه عزوجل مع عباده رحمة وبركات وفضل.

حكاية

جاء في كتب التراث ان سليمان الحكيم عليه السلام كان على بساطه المعروف فمرّ بغلام فقال الغلام لما مرّ به: الهي قد آتيت ابن داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلام الغلام ولما سمعه ترجّل من فوق بساطه وجاء إلى الغلام وقال: لا تتمنى ما لا تستطيع ولا تطيق، ولو أن الله قبل منك تسبيحةً واحدة لكان خيراً لك من ملك سليمان لأن ثواب التسبيح باق وملك سليمان فان[1].

ويروي المحدّث الشيخ الصدوق:

«عَن إسماعِيلَ بنِ يَسارٍ قالَ: سَمِعْتُ أَباعبدِاللهِ عليه السلام يَقُولُ: إيّاكُم وَالكَسَلُ إنَّ رَبَّكُم رحيمٌ يَشْكُرُ القَليلَ، إنَّ الرَّجُلَ ليُصلِّي الرَّكْعَتَيْنِ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِما وَجْهَ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيُدخِلُهُ اللّهُ بِهِما الجَنَّةَ، وَإنَّهُ لَيَتَصَدَّقُ بِالدِّرْهَمِ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِ وَجهَ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيُدْخِلُهُ اللّهُ بِه الجَنَّةَ، وَإنَّهُ لَيَصُومُ اليَوْمَ تَطَوُّعاً يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللّهِ فَيُدْخِلُهُ اللّهُ بِهِ الجَنَّةَ»[2].

ويروي أميرالمؤمنين عليه السلام عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«مَا مِن شَيْءٍ أكرَمُ عَلى اللّهِ مِن ابنِ آدمَ، قِيلَ: يَا رَسولَ اللّهِ: وَلا المَلائِكَةِ؟ قَالَ: المَلائِكَةُ مَجبُورونَ بِمَنزِلَةِ الشَّمسِ وَالقَمرِ».

---

١ ـ ربيع الآثار.
٢ ـ ثواب الأعمال: ٣٩؛ بحار الأنوار: ٢٥٣/٩٣، باب ٣٠، حديث ١٩.

لقد انعم الله سبحانه على الانسان بنعمة الحريّة والارادة المستقلة وأن شكره عزوجل واجب على عباده.

حديث شريف

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«ٱلصَّلاةُ عَمودُ ٱلدِّينِ وَفيهَا عَشرُ خِصالٍ: زَينُ ٱلوَجهِ، وَنُورُ ٱلقَلبِ، وَراحَةُ ٱلبَدَنِ، وَأُنسُ ٱلقُبورِ، وَمُنزِلُ ٱلرَّحمَةِ، وَمِصباحُ ٱلسَّماءِ، وَثِقلُ ٱلميزانِ، وَمَرضاتُ ٱلرَّبِ، وَثَمَنُ ٱلجَنَّةِ، وَحِجابٌ مِنَ ٱلنّارِ، وَمَن أقامَها فَقَد أقامَ ٱلدّينَ، وَمَن تَرَكَها فَقَد هَدَمَ ٱلدّينَ»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً:

«ما مِن صَلاةٍ يَحضُرُ وَقتُها إلَّا نَادَى مَلَكٌ بَيْنَ يَدِي ٱلنَّاسِ: أيُّهَا ٱلنَّاسُ! قُومُوا إلى نِيرانِكُمُ ٱلَّتِي اَوْقَدْتُمُوهَا عَلَى ظُهُورِكُم فَأَطْفِؤُهَا بِصَلَاتِكُم»[2].

القافلة

عن الامام موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام: قال كان الصادق عليه السلام في طريق ومعه قوم معهم أموال وذُكر له بارقة (السيوف والمراد قطاع الطريق واللصوص) في الطريق يقطعون على الناس، فارتعدت فرائصهم فقال لهم الصادق عليه السلام:

ما لكم؟ قالوا: معنا أموالنا نخاف عليها أن تؤخذ منا أفتأخذها منا؟ فلعلهم يندفعون عنها اذا رأوا انها لك، فقال: وما يدريكم؟ لعلهم لا يقصدون غيري

---

١ ـ المواعظ العددية: ٣٧١.

٢ ـ من لا يحضره الفقيه: ٢٠٨/١، باب فضل الصلاة، حديث ٦٢٤.

ولعلكم تعرضوني بها للتلف فقالوا: فكيف نصنع ندفنها؟ قال: ذلك أضيع لها فلعل طاريا يطري عليها فيأخذها ولعلكم لا تفتدون إليها بعد، فقالوا: كيف نصنع؟ دلنا قال: أودعوها من يحفظها ويدفع عنها ويربيها ويجعل الواحد منها أعظم من الدنيا وما فيها ثم يردها ويوفرها عليكم احوج ما تكونون إليها قالوا: من ذاك؟ قال: ذاك رب العالمين، قالوا: وكيف نودعه؟ قال تتصدقون به على ضعفأ المسلمين قالوا: وأنى لنا الضعفاء بحضرتنا هذه؟ قال: فاعرضوا على أن تتصدقوا بثلثها ليدفع الله عن باقيها من تخافون، قالوا قد عزمنا قال: فانتم في امان الله فامضوا فمضوا فظهرت لهم البارقة فخافوا، فقال الصادق عليه السلام: كيف تخافون وانتم في امان الله عزوجل؟ فتقدم البارقة وترجلوا وقبلوا يد الصادق عليه السلام وقالوا: رأينا البارحة في منامنا رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرنا بعرض أنفسنا عليك فنحن بين يديك ونصحبك وهؤلاء لندفع عنهم الاعداء واللصوص، فقال: الصادق عليه السلام: لا حاجة بنا اليكم فان الذي دفعكم عنا يدفعهم؛ فمضوا سالمين وتصدقوا بالثلث وبورك لهم في تجاراتم فربحوا للدرهم عشرة فقالوا: ما أعظم بركة الصادق عليه السلام: فقال الصادق عليه السلام: قد تعرفتم البركة في معاملة الله عزوجل؟ فدوموا عليها[1].

عن أحمد بن محمد بن أبي نصير البزنطي قال قرأت كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام إلى أبي جعفر يا أبا جعفر بلغني أن الموالي اذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير فانما ذلك من بخل بهم لئلا ينال منك أحد خيراً فأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك الا من الباب الكبير واذا ركبت فليكن منك ذهب وفضة ثم لا يسألك أحد إلّا أعطيته. ومن سألك من عمومتك ان تبره فلا تعطه أقل من خمسين ديناراً والكثير إليك؛ ومن سألك من عماتك فلا تعطها أقل من خمسة

١ ـ عيون أخبار الرضا: ٢، باب ٣٠، حديث ٩؛ بحار الأنوار ٩٣/١٢٠، باب ١٤، حديث ٢٣.

وعشرين ديناراً، والكثير إليك، اني اريد ان يرفعك الله فانفق ولا تخش من ذي العرش اقتاراً[1].

علي.. المجد الأخلاقي

في صفين احتل جيش معاوية مصادر المياه والشطان التي يتجهّز منها الناس بالماء في نهر الفرات، ورفض السماح لجيش الامام علي عليه السلام بالتزود بالمياه وذلك قبل بدء العمليات العسكرية وجهز الامام كتائب من جيشه لتحرير الشريعة وخطب في جنوده:

«قد استطعموكم القتال.. فأقرّوا على مذلّة وتأخير محلّة أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين».

وأصيب قوّات معاوية بهزيمة ساحقة وتم طردهم من الشواطئ.

وأراد بعض أصحاب الامام علي معاملتهم بالمثل ومنعهم من المياه فرفض ذلك وطلب من جنود التزوّد بالماء والانسحاب وترك الشريعة مفتوحة للجميع.

هؤلاء هم عبيد الله عزوجل وأولياؤه يتعاملون حتى مع أعدائهم الالدّاء بهذه السماحة والكرم فكيف بالله عزوجل وهو الرحمة المطلقة والغفران والكرم اللانهائي هيهات ما ذلك الظن بك.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا: ٨/٢، حديث ٢٠.

« هَيهَاتَ مَا ذٰلِكَ الظَّنُّ بِكَ، وَلَا المَعْرُوفُ مِنْ فَضْلِكَ، »

« وَلَا مُشْبِهٌ لِمَا عَامَلْتَ بِهِ المُوَحِّدِينَ مِنْ بِرِّكَ وَإِحْسَانِكَ، فَبِاليَقِينِ »

« أَقْطَعُ لَوْلَا مَا حَكَمْتَ بِهِ مِنْ تَعْذِيبِ جَاحِدِيكَ، وَقَضَيْتَ بِهِ مِنْ إِخْلَادِ »

« مُعَانِدِيكَ، لَجَعَلْتَ النَّارَ كُلَّهَا بَرْداً وَسَلَاماً، وَمَا كَانَ لِأَحَدٍ فِيهَا »

« مَقَرّاً وَلَا مُقَاماً، لَكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلَأَهَا مِنَ »

« الكَافِرِينَ، مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا المُعَانِدِينَ، »

« وَأَنْتَ جَلَّ ثَنَاؤُكَ، قُلْتَ مُبْتَدِئاً، وَتَطَوَّلْتَ بِالإِنْعَامِ مُتَكَرِّماً، أَفَمَنْ كَانَ »

« مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ »

اجل هيهات أن ظنّنا بك يا رب فيض معروف مطلق ومصدر خير لا ينتهي.

وهكذا ظن الأنبياء والأولياء بالله عزوجل.. وما هذا المقطع من الدعاء الكريم إلّا تصوير صادق عن تلك النفوس الطاهرة والارواح البيضاء المفعمة بالنور.. الله هو الرحمن الرحيم الرؤوف الكريم الغفور الودود الملك القدوس اللطيف قابل التوبة من عباده وغافر السيئات.

وما عذاب القيامة إلّا فاكهة مرّة للانكار والالحاد والعداء لله عزوجل.. وعذاب الله حمم وغضب يصيب الذين كفروا من المستكبرين والطغاة والآثمين الجناة الذين لا يرجون لله وقارا.

فكيف يصيب العذاب قلوباً نبضت بحب الله ونفوساً أضاءها الايمان بالله وجوارح سعت إلى العمل الصالح في سبيله.. سأل أحدهم سالكاً في طريق الله:

لو ثت ذيلي بالذنوب فهل يقبلني الله؟

قال السالك: يا ويلك انه يدعو المعرضين عنه إليه فكيف بمن يريدون اللجوء إليه.. بابه مفتوح لمن تاب وأناب.

وجاء في الأثر أن الله عزوجل أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون وأوصاه أن يقول له قولاً ليّناً لعله يذكر أو يخشى وأن يقول له أنّ رحمة الله تسبق غضبه، ان الله عزوجل يحبّ التوابين الذين ندموا بعما اقترفوا اثماً انه كان توّاباً.

ابراهيم

جاء في تفسير قوله تعالى:

﴿وَكَذٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[1].

ان الله عزوجل قوّى بصره لمّا رفعه دون السماء، حتى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين، فالتفت فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعى عليهما بالهلاك فهلكا، ثم رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا ثم رأى آخرين فهمّ بالدعاء عليهما فأوحى الله إليه يا ابراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وأماني فاني أنا الغفور الرحيم الحنان الحليم لا تضرّني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم ولست اسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك فاكفف دعوتك عن عبادي وامائي، فانما أنت عبد نذير لا شريك في المملكة ولا مهيمن عليّ ولا على عبادي.

---

١ ـ الانعام: ٧٥.

وعبادي معي بين خلال ثلاث: إمّا تابوا اليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم وإما كففت عنهم عذابي لعلمي بانه سيخرج من أصلابهم ذرّيات مؤمنون فأرفق بالآباء الكافرين وأتأنّي بالامهات الكافرات، وارفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم فإذا تزايلوا حلّ بهم عذابي وحاق بهم بلائي وإن لم يكن هذا ولا هذا فان الذي اعددته لهم من عذابي اعظم ممّا تُريده بهم فإن عذابي لعبادي على حسب جلالي لكبريائي يا ابراهيم فخلّ بيني وبين عبادي فاني أرحم بهم منك وخلّ بيني وبين عبادي فإني أنا الجبّار الحليم العلّام الحكيم ادبرهم بعلمي وأنفذ فيهم قضائي وقدري»(١).

وسعت رحمته السماوات

جاء في بعض كتب التراث عن المحدّث الفيلسوف الفيض الكاشاني انه يساق العبد يوم القيامة إلى النار بعد ما رجحت سيئاته، فيوحي الله عزوجل إلى جبرائيل ان يسأل ذلك العبد: أكان جليساً للعماء فيشفع له؟

فيقول: لا، فيسأله: أجلس إلى مائدة عالم؟ فيقول: لا، فيسأله: أجلس في مكان جلس فيه عالم؟ فيقول: لا، فيسأله: أكان سمياً لعالم؟ فيقول: لا، فيسأله: أكان يحب أحداً يحب العلماء؟ فيقول: نعم، فيأتي النداء: يا جبرئيل لقد غفرت له وادخلته الجنّة(٢).

حكاية

روي الشيخ الصدوق عن الامام الباقر عليه السلام قال:

---

١ ـ تفسير البرهان: ٥٧٥، تفسير سورة الأنعام: ٧٥.

٢ ـ بحارالأنوار: ١١١/٤، باب ٢، حديث ٣١.

بينا داود على نبيّنا وآله وعليه السلام جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطيل الصمت إذ أتاه ملك الموت فسلّم عليه وأحدّ ملك الموت النظر إلى الشاب، فقال داود على نبيّنا وآله وعليه السلام: نظرت إلى هذا؟ فقال: نعم إنّي أُمرت بقبض روحه إلى سبعة أيّام في هذا الموضع فرحمّه داود فقال: يا شاب هل لك امرأة؟ قال: لا وما تزوَّجت قط قال داود: فأت فلانا ـ رجلاً كان عظيم القدر في بني إسرائيل ـ فقل له: إن داود يأمرك أن تزوّجني ابنتك وتدخلها اللّيلة وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها فإذا مضت سبعة أيّام فوافني في هذا الموضع فمضى الشاب برسالة داود على نبيّنا وآله وعليه السلام فزوّجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعة أيام، ثم وافى داود يوم الثامن فقال له داود: يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه؟ قال: ما كنت في نعمة ولا سرور قطّ أعظم ممّا كنت فيه؛ قال داود: اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه فلمّا طال قال: انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك فإذا كان يوم الثامن فوافني ههنا، فمضى الشابّ، ثمّ وافاه يوم الثامن وجلس عنده، ثمّ انصرف أسبوعاً آخر ثم أتاه وجلس فجاء ملك الموت داود، فقال داود صلوات الله عليه: ألست حدّثتني بأنّك أُمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيّام؟ قال: بلى، فقال: قد مضت ثمانية وثمانية وثمانية قال: يا داود إنّ الله تعالى رحمه برحمتك له فأخّر في أجله ثلاثين سنة[1].

خصال خمس

روي عن الامام الصادق عليه السلام انه جيء إلى النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم بعدد من

---

١ ـ بحارالأنوار: ٤/١١١ ـ ١١٢.

الأسرى وأراد النبي ﷺ حبسهم فأوحى الله عزوجل أن يطلق أحـدهم فـأطلق سراحه وتعجّب الأسير فسأل النبي عن ذلك فقال ﷺ لقد أوحى الله عزوجل إلى أن لك خمس خصال حسنة يحبّها الله :

«الغَيْرَةُ الشَّدِيدَةُ عَلَى حَرَمِكَ، وَالسَّخاءُ، وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَصِدْقُ اللِّسانِ، وَالشَّجَاعَةُ».

فتاثر الأسير بشدّة واعتنق الاسلام[1].

حكاية

كان للامام الصادق عليه السلام غلام أذنب فأمر الامام بجلده تعزيراً له فقال الغلام: يا بن رسول الله انك لتضرب من لا شفيع له إلّا أنت فأمر الامام باطلاقه فقال الغلام:

انك لم تطلقني وإنما اطلقني من الهمني هذا الكلام.

فقال الامام:

ورب الكعبة هذا غلام موحّد لا يرى أحداً غير الله.

أجل هكذا تكون معاملة من يوحد الله ويؤمن به ويعمل صالحاً.

حكاية

جاء في بعض التفاسير أن يوسف لما مكّن من الأرض واصبح عزيز مصر فكر أن يكون له وزير يعاونه في ادارة البلاد فيكون أقوى على نشر العدل واصلاح معيشة الناس، ولكنه لم يجد من يسند إليه هذا المنصب.

---

١ ـ وسائل الشيعة : ١١٥/٢٠، حديث ٢٥٢٩١؛ بحار الأنوار ٣٧٤/٦٨، باب ٩٢، حديث ٢٥.

فأوحى الله إليه ان الله يقرؤك السلام ويقول اتخذ لك وزير فقال يوسف: هو ما أبغي فقال الملك ان ربّك يقول اتخذ أول من تقع عليه عينك صباح غد.

فلما أصبح وقعت عيناه على رجل ضعيف نحيل يحمل كيساً على ظهره فأراد يوسف أن يتخطاه إلى الذي بعده فهبط الوحي عليه يقول: لا تدعه واتخذه وزيراً فانّ له حقاً عليك.

قال يوسف: وما حقه يا رب؟

قال: انه الذي شهد بعفتك وطهارة ثوبك يوم جرى ما جرى في قصر عزيز مصر.

هكذا فعل الله عزوجل بمن أدّى شهادة حق وانصف فكيف فعله بمن كان له موحداً مؤمناً؟!

أجل هذا هو لطف الله ورحمته ورأفته سبحانه انه هو أرحم الراحمين.

«إِلٰهِي وَسَيِّدِي، فَأَسْأَلُكَ بِالْقُدْرَةِ الَّتِي قَدَّرْتَهَا، وَبِالْقَضِيَّةِ الَّتِي»
« حَتَمْتَهَا وَحَكَمْتَهَا، وَغَلَبْتَ مَنْ عَلَيْهِ أَجْرَيْتَهَا أَنْ تَهَبَ لِي فِي هٰذِهِ»
« اللَّيْلَةِ، وَفِي هٰذِهِ السَّاعَةِ، كُلَّ جُرْمٍ أَجْرَمْتُهُ، وَكُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ»
« قَبِيحٍ أَسْرَرْتُهُ، وَكُلَّ جَهْلٍ عَمِلْتُهُ، كَتَمْتُهُ أَوْ أَعْلَنْتُهُ، »
« أَخْفَيْتُهُ أَوْ أَظْهَرْتُهُ.»

وفي هذا المقطع يصل العشق الالهي ذروته حيث يصل الايمان برحمة الله الذروة في ليلة مباركة هي ليلة الجمعة، حيث يدرك العاشقون ان أبواب رحمة الله قد فتحت على مصاريعها وأن أبواب السماء قد فتحت وملائكة الرحمة تهبط على الأرض وتدعو بني آدم إلى التوبة والعودة والانابة إلى الله انه هو ارحم الراحمين.

فكيف بمن يمزج كلماته ببكائه ويغسل قلبه بدموعه وتستحيل روحه إلى حمامة بيضاء تحلّق نحو الملكوت تسبّح في فضاء الرحمة وتسبّح بحمد الله ومجده وتشتاق إلى لقائه!

« وَكُلَّ سَيِّئَةٍ أَمَرْتَ بِإِثْبَاتِهَا الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ، الَّذِينَ وَكَّلْتَهُمْ بِحِفْظِ »
« مَا يَكُونُ مِنِّي، وَجَعَلْتَهُمْ شُهُوداً عَلَيَّ مَعَ جَوَارِحِي، وَكُنْتَ أَنْتَ »
« الرَّقِيبَ عَلَيَّ مِنْ وَرَائِهِمْ وَالشَّاهِدَ لِمَا خَفِيَ عَنْهُمْ، وَبِرَحْمَتِكَ أَخْفَيْتَهُ،»
« وَبِفَضْلِكَ سَتَرْتَهُ، وَأَنْ تُوَفِّرَ حَظِّي مِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَنْزَلْتَهُ، أَوْ إِحْسَانٍ فَضَّلْتَهُ »
« أَوْ بِرٍّ نَشَرْتَهُ، أَوْ رِزْقٍ بَسَطْتَهُ، أَوْ ذَنْبٍ تَغْفِرُهُ، أَوْ خَطَأٍ تَسْتُرُهُ، »

ويتواصل الدعاء ببلاغة التعبير التي تنطوي عليه الروح الوالهة والقلب العاشق المتيم الذي يكاد يذوب شوقاً إلى المحبوب.

ويتخذ الخطاب العاشق منحىً تصاعدياً في الحبّ بحيث يطلب من الرب تبارك وتعالى ان يغفر له كل الذنوب حتى تلك التي يسجلها المكان الموكلان بحفظ اعمال الانسان.

الكاتبون

اشارة القرآن الكريم إلى وجود رقابة صارمة لا تغفل لحظة واحدة فهي تحفظ وتسجل على الانسان كل نشاطه وتجربته في الحياة الدنيا.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُم لَحَافِظِينَ * كِراماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمونَ مَا تَفْعَلونَ ﴾[1].

---

١ ـ سورة الانفطار: ١٠ ـ ١٢.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(١).

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٣).

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٤).

الآيات كما نرى لا تشير إلى الملائكة الكاتبين بل هناك شهود من ذات الانسان؛ فاللسان والسمع والبصر واليد والرجل كلها ستشهد على الانسان حتى الأرض هي الأخرى سوف تفصح بالحديث الصريح عن قصة الانسان.

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾(٥).

وفي يوم القيامة تتجسّد اعمال الانسان وافعاله وحينئذ لا يبقى مجال للانكار:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ

---

١ ـ سورة فصلت: ٢٠ ـ ٢١.

٢ ـ سورة النور: ٢٤.

٣ ـ سورة يس: ٦٥.

٤ ـ سورة ق: ١٨.

٥ ـ سورة الزلزلة: ٤ ـ ٥.

عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلونَ﴾[١].

غير ان الذين يوفقون للتوبة ويغفر الله لهم فاؤلئك يستر الله عليهم يوم القيامة ويأتون يوم القيامة.

وصفحتهم بيضاء ناصعة كأنهم لم يأثموا في الدنيا ولم يرتكبوا معصية ولا ذنباً.

يقول سيدنا علي عليه السلام:

«مَن تَابَ، تَابَ ٱللّهُ عَليهِ، وَأُمِرَتْ جَوارِحُهُ أَنْ تَسْتُرَ عَليهِ، وَبِقاعُ ٱلأَرضِ أنْ تَكْتُمَ عَليهِ، وَأُنسِيَتِ ٱلحفَظَةُ ما كَانَتْ تَكتُبُ عَليهِ»[٢].

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«إذا تَابَ ٱلعَبدُ ٱلمُؤمنُ تَوْبةً نَصوحاً أَحَبَّهُ ٱللّهُ فَسَتَرَ عَليهِ فِى ٱلدُّنيا وَٱلآخِرة، قُلتُ وَكَيْفَ يَسْتُرُ عَلَيهِ؟ قَالَ: يُنْسِى مَلَكَيْهِ مَا كَتَبا عليه مِنَ ٱلذُّنوبِ... فيَلْقَى ٱللّهَ حِينَ يَلقَاهُ وَليسَ شَىْءٌ يَشْهَدُ عَلَيهِ بِشَىْءٍ مِن ٱلذُّنُوبِ»[٣].

---

١ ـ سورة التوبة: ١٠٥.
٢ ـ ثواب الأعمال: ١٧٩، باب ثواب التوبة.
٣ ـ بحار الأنوار: ٢٨/٦، باب ٢٠، حديث ٣١.

« يَا رَبِّ يَا رَبِّ، يَا رَبِّ يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَمَالِكَ رِقِّي، »
« يَا مَنْ بِيَدِهِ نَاصِيَتِي، يَا عَلِيماً بِضُرِّي وَمَسْكَنَتِي، يَا خَبِيراً بِـفَقْرِي »
« وَفَاقَتِي، يَارَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ وَقُدْسِكَ، وَأَعْظَمِ صِفَاتِكَ، »
« وَأَسْمَائِكَ، أَنْ تَجْعَلَ أَوْقَاتِي مِنَ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّـهَارِ بِـذِكْرِكَ مَـعْمُورَةً، »
« وَبِخِدْمَتِكَ مَوْصُولَةً، وَأَعْمَالِي عِنْدَكَ مَقْبُولَةً، حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْـمَالِي »
« وَأَوْرَادِي كُلُّهَا وِرْداً وَاحِداً، وَحَالِي فِي خِدْمَتِكَ سَرْمَداً، يَا سَيِّدِي يَا »
« مَنْ عَلَيْهِ مُعَوَّلِي، يَا مَنْ إِلَيْهِ شَكَوْتُ أَحْوَالِي، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، »

ويستمر الدعاء بذات المسار من الحب والشوق والتوسل إلى المحبوب تبارك وتعالى فتتجلى صورة رائعة من صورة الحب والعشق الالهي بحيث يخلو المشهد من كل شيء إلّا الله عزوجل.

الاسم الأعظم

يقول بعض العرفاء والأولياء والعاشقين ان كلمة «ربّ» التي تعني المالك المطلق والتي تنطوي على دلالات عميقة هي الاسم الاعظم وان من يتوسل بها تنفتح عليه أبواب الرحمة وتغفر له ذنوبه ويعود ظاهراً كما ولدته أمه.

ولعل في توسّل الأنبياء بالله عزوجل من خلال هذه الكلمة يشير إلى ذلك.

ففي توسل آدم وحواء نجد خطابهما يبدأ بهذه الكلمة المقدسة:

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1].

ونوح الذي عانى ما عانى في تبليغ رسالة الله على مدى قرون متمادية نجده يلجأ إلى الله عزوجل قائلاً:

﴿ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾[2].

وابراهيم خليل الرحمن عليه السلام يناجي الله عزوجل قائلاً:

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[3].

وموسى بن عمران يتضرع إلى الله تبارك وتعالى فيقول:

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[4].

وسليمان عليه السلام يستغفر ويقول:

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِن بَعْدِي ﴾[5].

وزكريا لمّا دعا الله عزوجل يطلب منه ولداً يرثه:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾[6].

---

١ ـ سورة الاعراف: ٢٣.
٢ ـ سورة نوح: ٢٦.
٣ ـ سورة الشعراء: ٨٣.
٤ ـ سورة القصص: ٢٤.
٥ ـ ص: ٣٥.
٦ ـ سورة الأنبياء: ٨٩.

وقال يوسف الصدّيق يحمد الله عزوجل ويشكره:

﴿ رَبِّ قَدْ ءاتَيْتَنى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنى مِن تَأْوِيلِ ٱلأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّماواتِ وَٱلأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّى فِى ٱلدُّنْيا وَٱلآخِرَةِ تَوَفَّنى مُسْلِماً وَأَلْحِقْنى بِالصَّالِحِينَ ﴾[١].

وأيوب النبي الصابر دعا الله عزوجل قائلاً:

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾[٢].

وخاطب الله عزوجل نبيه وحبيبه سيدنا محمد ﷺ يعلّمه:

﴿ وَقُل رَبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴾[٣].

والمؤمنون الصالحون إذ يتأملون ملكوت السماء والأرض فيقولون:

﴿ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هٰذَا باطِلاً سُبْحَانَكَ ﴾[٤].

وقد جاء في الأثر إذا قال العبد مخلصاً: « يا ربّ »: قال الله عزوجل لبيك فإذا كرر ذلك ثانياً وثالثاً قال الله عزوجل: يا عبدي اطلب حاجتك اجيبك[٥].

﴿ قالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثونَ ﴾[٦].

---

١ ـ سورة يوسف: ١٠١.

٢ ـ سورة الأنبياء: ٨٣.

٣ ـ سورة المؤمنون: ١١٨.

٤ ـ سورة آل عمران: ١٩١.

٥ ـ مستدرك الوسائل: ٢٢٠/٥، باب ٣١، حديث ٥٧٣٨؛ الكافي: ٥٢٠/٢، باب من قال يا رب.

٦ ـ اعراف: ١٤.

العمل الصالح

للاعمال الصالحة التي يقوم بها المؤمنون الأثر الكبير في مسيرة الاخلاص إلى الله عزوجل، ذلك أنّ لقاء الله عزوجل يتوقف على شرطين الايمان والعمل الصالح:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[1].

ومن هنا يدعو أميرالمؤمنين من الله عزوجل قائلاً: «وأعمالي عندك مقبولة».

ومسأله الايمان هامّة ومصيرية في قبول الاعمال والطاعات.

فالمؤمن المخلص اذا عمل صالحاً كتب له وتقبّل منه أما الكافر فلا يقبل منه وتسجل عليه الذنوب حتى لو كانت صغيرة، ومع كل هذا تبقى للعمل الصالح أهميته الكبيرة في حياة الانسان.

يقول سيدنا علي عليه السلام:

«اَلشَّرفُ عِندَاللّهِ سُبحانَهُ بِحُسنِ الأَعمالِ لا بِحُسنِ الأَقوالِ»[2].

«اَلعَمَلُ شِعارُ المُؤمِنِ»[3].

---

١ ـ سورة الكهف: ١١٠.

١ ـ غرر الحكم: ١٥٣، لا ينفع قول بغير العمل، حديث ٢٨٣٨؛ ميزان الحكمة: ٤٠٥٠/٩، العمل، حديث ١٤٢٦٠.

٣ ـ غرر الحكم: ١٥١، حديث ٢٧٧٧؛ ميزان الحكمة: ٤٠٥/٩، النحل، حديث ١٤٢٦٤.

«أَعلَى ٱلأَعمَالِ إِخلاصُ ٱلايمانِ وَصِدْقُ ٱلوَرَعِ وَٱلايقَان»[١].

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«دَعَا ٱللّهُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلدُّنيا بِآبائِهِم لِيَتَعَارَفُوا، وَفِي ٱلآخِرَةِ بِأَعْمالِهِم لِيَجَازَوْا»[٢].

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله يوصي الفرد المسلم:

«أفضَلُ ٱلأعمَالِ إِيمَانٌ بِاللّهِ وَتَصدِيقٌ بِهِ وَجِهادٌ فِي سَبيلِ ٱللّهِ وَحَجٌّ مَبرورٌ، وَأهوَنُ عَليكَ مِن ذَلكَ إِطعامُ ٱلطَّعامِ وَلِينُ ٱلكَلامِ وَٱلسَّماحَةُ وَحُسنُ ٱلخُلقِ، وَأهونُ عَليكَ مِن ذَلكَ لا تَتَّهِمُ ٱللّهَ فِي شَيْءٍ قَضاهُ ٱللّهُ عَلَيكَ»[٣].

وقال صلوات الله عليه وآله وسلم:

«سَيّدُ ٱلأعمَالِ ثَلاثُ خِصالٍ: إِنصافُكَ مِن نَفسِكَ، وَمُواسَاتُكَ ٱلأَخَ فِي ٱللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذِكرُ ٱللّهِ تَعالى عَلى كُلِّ حالٍ»[٤].

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«طُوبَى لِمَن أخلَصَ لِلّهِ عَمَلَهُ وَعِلمَه وَحُبَّه وَبُغضَه وَأخذَه وَتَركَه وَكَلامَه وَصَمتَه وَفِعلَه وَقَولَه»[٥].

ويقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله يوصي أبا ذر رضي الله عنه:

---

١ ـ غرر الحكم: ١٥٥، الاخلاص في العمل وآثاره، حديث ٢٨٩٩.

٢ ـ بحار الأنوار: ٢٠٨/٧٨، باب ٢٣، حديث ٧٢.

٣ ـ كنز العمّال: ٤٣٦٣٩؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٦/٩، العمل (١)، حديث ١٤٢٢.

٤ ـ مشكاة الانوار: ٥٥، الفصل الخامس عشر؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٤/٩، العمل (١)، حديث ١٤٣٢٦.

٥ ـ تحف العقول: ٩١؛ بحار الأنوار: ٢٤١/٧٤، باب ٩، حديث ١.

«كُن بِالعَمَلِ بِالتَّقوَى أشدَّ اهتِمَاماً مِنكَ بِالعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقِلُّ عَمَلٌ بِالتَّقوَى، وَكَيفَ يَقِلُّ عَمَلٌ يُتَقَبَّل يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1]».

ويقول أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«إنَّكَ لَن يُتَقَبَّلُ مِن عَمَلِكَ إلّا مَا أخلَصتَ فِيهِ»[2].

وتصل قيمة العمل المخلص النابع من قلب الانسان المؤمن قيمة عالية يشير لها الحديث المروي عن الامام الصادق عليه السلام إذ يقول:

«مَن قَبِلَ اَللّهُ مِنْهُ صَلاةً واحِدَةً لَم يُعَذِّبْهُ، وَمَن قَبِلَ مِنْهُ حَسَنَةً لَم يُعَذِّبْهُ»[3].

وأيضاً:

«مَن قَبِلَ اَللّهُ مِنْهُ حسنةً واحِدَةً لَم يُعَذِّبْهُ، أبداً وَدخل الجنة»[4].

اللهم وفقنا لأن نعمل عملاً صالحاً ولا نشرك بعبادتك أحداً يا أرحم الراحمين.

---

١ ـ بحار الأنوار: ٨٨/٧٤، باب ٤؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٦/٩، العمل، حديث ١٤٣٣٣.
٢ ـ غرر الحكم: ١٥٥، حديث ٢٩١٣؛ ميزان الحكمة: ٤٠٦٦/٩، العمل، حديث ١٤٣٣٥.
٣ ـ الكافي: ٢٦٦/٣، باب فضل الصلاة، حديث ١١؛ ميزان الحكمة: ٤٠٧٠/٩، العمل، حديث ١٤٣٥٠.
٤ ـ مجموعة الورّام: ٨٦/٢؛ ميزان الحكمة: ٤٠٧٠/٩، العمل، حديث ١٤٣٥١.

« قَوِّ عَلَىٰ خِدْمَتِكَ جَوَارِحِي، وَٱشْدُدْ عَلَى ٱلْعَزِيمَةِ جَوَانِحِي، »
« وَهَبْ لِيَ ٱلْجِدَّ فِي خَشْيَتِكَ، وَٱلدَّوَامَ فِي ٱلْإِتِّصَالِ بِخِدْمَتِكَ، حَتَّىٰ »
« أَسْرَحَ إِلَيْكَ فِي مَيَادِينِ ٱلسَّابِقِينَ، وَأُسْرِعَ إِلَيْكَ فِي ٱلْبَارِزِينَ، »
« وَأَشْتَاقَ إِلَىٰ قُرْبِكَ فِي ٱلْمُشْتَاقِينَ، وَأَدْنُوَ مِنْكَ دُنُوَّ ٱلْمُخْلِصِينَ، »
« وَأَخَافَكَ مَخَافَةَ ٱلْمُوقِنِينَ، وَأَجْتَمِعَ فِي جِوَارِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ »

وفي هذا المقطع يستمد عبدالله من الله القدرة والعزيمة من أجل الاستمرار في الطاعة والخشية والدوام على انتهاج طريق التكامل الانساني وبلوغ الغاية وهي لقاء الله عزوجل.

وتصل المناجاة مراحل متقدمة بحيث تذوب الأنا بكل جوانبها لتكون في خدمة الربّ تبارك وتعالى؛ فلا يبقى من بشرية الانسان وآدميته إلّا ماكان متصلاً بالله وفي طريقه وسبيله.

فكل مامن شأنه أن يعزز قدرة الانسان وقوّته سيكون في سبيل الغاية الكبرى وهي الاتصال والقرب من المحبوب.

شروط الافاضة

ان السالكين في طريق الله وإلى الله يدركون تماماً ما عليهم من الشروط لكي

يستمروا في حركتهم نحو المحبوب.

١ ـ اجتناب معاشرة الفاسقين من الذين لا أمل في عودتهم إلى جادة الصواب واستبدال ذلك بمعاشرة الاتقياء من الناس والعلماء الربانيين.

٢ ـ الحذر الشديد من لقمة الحرام والابتعاد عن الاكل الذي تحوم حوله الشبهات؛ فلا يأكلون على موائدمن لا يعرفون كيف حصلوا على ثرواتهم ومن أي طريق كسبوا أموالهم.

٣ ـ تطهير الباطن من كل الرذائل والعقد النفسانية والتحلّي بالأخلاق الحميده وتشرّب الحقائق الالهية.

٤ ـ الاجتناب عن التخمة والشرة في الطعام والشراب لما لها من آثار في تحريك الحالات الشيطانية ومنع حالات الالهام والاشراق.

٥ ـ اجتناب كثرة النوم والحذر من الكسل والتكاسل في أداء الواجبات الدينية والافعال العبادية.

آداب المعاشرة

يقول سيدنا محمد ﷺ:

«أوحَشُ ٱلوَحشَةِ قَرينُ ٱلسُّوءِ»[1].

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«إحذَر مُجَالَسةَ قَرينِ ٱلسّوءِ، فَإنَّهُ يُهلِكُ مُقارِنَهُ وَيُردِي مُصاحِبَهُ»[2].

ويقول الامام الجواد عليه السلام:

---

١ ـ بحار الأنوار: ٦٦٦/٧١، باب ١٠، حديث ٣٢.

٢ ـ غرر الحكم: ٤٣١، ذم قرين السوء، حديث ٩٨١٦.

«إيّاكَ وَمُصاحَبَةَ ٱلشَّريرِ فَإنَّهُ كَالسَّيفِ ٱلمَسلُولِ يَحسنُ مَنظَرُهُ وَيَقبَحُ أثَرُهُ»(١).

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«إحذَر مِنَ ٱلنّاسِ ثَلاثَةً: ٱلخائِنَ وَٱلظَّلومَ وَٱلنَّمامَ، لِأنَّ مَن خَانَ لَكَ خَانَكَ، وَمَن ظَلَمَ لَكَ سَيَظلِمُكَ، وَمَن نَمَّ إلَيكَ سَيَنُمُّ عَلَيكَ»(٢).

ويقول سيدنا علي عليه السلام:

«صَاحِبِ ٱلحُكَمَاءَ وَجالِسِ ٱلحُلَمَاءَ وَاعرِض عَنِ ٱلدُّنيَا تسكن جَنَّةَ ٱلمَأوَى»(٣).

اللقمة الحرام

يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«مَن أكَلَ لُقمَةً مِن حَرامٍ لَم تُقبَل لَهُ صَلاةُ أربَعينَ لَيلَةً»(٤).

ويقول صلى الله عليه وآله أيضاً:

«إنَّ ٱللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ ٱلجَنَّةَ جَسَداً غُذِيَ بِحَرامٍ»(٥).

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً:

«إذَا وَقَعَتِ ٱللُّقمَةُ مِن حَرامٍ فِى جَوفِ ٱلعَبدِ لَعَنَهُ كُلُّ مَلَكٍ فِى ٱلسَّماواتِ

١ ـ بحار الأنوار: ١٩٨/٧١، باب ١٤.
٢ ـ تحف العقول: ٣١٦.
٣ ـ غرر الحكم: ٤٣٠، صاحب الحكماء والعلماء، حديث ٩٧٨٩.
٤ ـ ميزان الحكمة: ١١٢٤/٣، الحرام، حديث ١٣٦٦٠.
٥ ـ مجموعة الورّام: ٦١/١، باب العتاب؛ ميزان الحكمة: ١١٢٤/٣، الحرام، حديث ١٣٦٦١.

وَٱلأَرضِ»[١].

ويقول الامام الباقر عليه السلام:

«إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذا أَصابَ مَالاً مِن حَرامٍ لَم يُقبَل مِنهُ حَجٌّ وَلا عُمرَةٌ وَلا صِلَةُ رَحِمٍ»[٢].

الرذيلة

ونجد سيدنا زين العابدين يستعيذ من الرذائل البشرية قائلاً:

«اللهم انّي أعوذ بك من هيجان الحرص وسورة الغضب، وغلبة الحسد وضعف الصبر وقلة القناعة ومتابعة الهوى ومخالفة الهدى وسنّة الغفلة وتعاطي الكلفة وايثار الباطل على الحق والاصرار على المآثم واستصغار المعصية واستكبار الطاعة ومباهاة المكثرين والازراء بالمقلّين وسوء الولاية لمن تحت أيدينا وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا أو أن نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً أو نروم ما ليس لنا بحق أو أن نقول في العلم بغير علم ونعوذ بك أن ننطوي على غش أحد»[٣].

قيل للنبي صلى الله عليه وآله:

«ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل ولكنها تؤذي جيرانها قال صلى الله عليه وآله: لا خير فيها هي من أهل النار»[٤].

يقول الامام الصادق عليه السلام:

١ ـ بحار الأنوار: ١٢/١٠٠، باب ١، حديث ٥٢؛ ميزان الحكمة: ١١٢٤/٣، الحرام، حديث ١٣٦٦٣.
٢ ـ أمالي الطوسي: ٦٨٠، مجلس ٣٧، حديث ١٤٤٧.
٣ ـ الصحيفة السجادية، دعاء.
٤ ـ الكافي: ٣٢١/٢، باب سوء الخلق، حديث ١.

«إنَّ سُوءَ ٱلخُلُقِ لَيُفسِدُ ٱلعَمَلَ كَمَا يُفسِدُ ٱلخِلُّ ٱلعَسَلَ»(١).

التخمة

«مَن كَثُرَ طُعمَهُ سَقُم بَطنُهُ وَقَسا قَلبُهُ»(٢).

«مَن كَثُرَ أكلُه قَلَّت صَحَّتُهُ وَثَقُلَتْ عَلى نَفسِهِ مُؤنَتُه»(٣).

«كَثْرَةُ ٱلأكلِ مِنَ ٱلشَّرَهِ، وَٱلشَّرَهُ شَرُّ ٱلعُيُوبِ»(٤).

«لَيسَ شَيْءٌ أضَرّ لِقَلبِ ٱلمُؤمِنِ مِن كَثْرَةِ ٱلأكلِ، وَهِيَ مُورِثَةٌ لِشَيئَينِ: قَسْوَةَ ٱلقَلبِ وَهَيَجانِ ٱلشَّهوَةِ»(٥).

كثرة النوم

جاء في الأثر انّ موسى ﷺ سأل ربّه: أي عبادك أبغض إليك؟ قال جيفة بالليل بطال بالنهار(٦).

وعن النبي ﷺ قال:

«قالت أم سليمان بن داود لسليمان ﷺ: اياك وكثرة النوم بالليل تدع الرجل

---

١ ـ الكافي: ٣٢١/٢، باب سوء الخلق، حديث ١.

٢ ـ بحار الأنوار: ٣٣٨/٦٣، باب ٥، حديث ٣٥.

٣ ـ غرر الحكم: ٣٦٠، الفصل الرابع البطنة وآثارها، حديث ٨١٦٨.

٤ ـ غرر الحكم: ٣٦١، الفصل الرابع البطنة وآثارها، حديث ٨١٧٨.

٥ ـ مستدرك الوسائل: ٢١١/١٦، باب ١، حديث ١٩٦٢٧.

٦ ـ ميزان الحكمة: ١٣، النوم حديث ٢٠٩١٧.

فقيراً يوم القيامة»[1].

وعن سيدنا علي عليه السلام قال:

«بِئْسَ ٱلغَرِيمُ ٱلنَّومُ؛ يُفنِى قَصيرَ ٱلعُمرِ وَيُفَوِّتُ كَثيرَ ٱلأجرِ»[2].

ان اجتناب معاشرة من لا يرتضي الاسلام معاشرته والابتعاد عن اللقمة الحرام ورذائل الأخلاق واجتناب التخمة وكثرة النوم يكوّن أرضية مساعدة على تلقي الفيض الالهي حيث تنشط جوارح الانسان للعبادة وخدمة خلق الله عزوجل وبخاصّة الفقراء الذين هم عيال تبارك وتعالى.

ولذا يسعى الانسان المؤمن إلّا ينظر بعينيه إلّا ما أحلّ الله وأن يسدّ اذنيه عن سماع الغيبة والنميمة ويصون لسانه عن قول السوء وأن يعفّ نفسه فلا يرتكب ما حرّم الله عزوجل ولا يكون في مكان يكره الله عزوجل وجوده فيه وإلّا يفتقده الله تبارك وتعالى في المساجد والجوامع والاماكن المباركة.

العبادة الحق

ان من يعبد الله حق عبادته، يطوي المسافات البعيدة في الطريق إلى الله. والعبادة الحق هي التي تندمج بالحب والشوق حيث تشترك كل جوارح الانسان ويندمج الروح بالقلب والعقل بالنفس لتجسّد عبودية الانسان لخالقه وربّه يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«أفضَلُ ٱلنّاسِ مَنْ عَشِقَ ٱلعِبادَةَ فَعانَقَها وَأحَبَّها بِقَلبِهِ وَباشَرَها بِجَسَدِهِ وَتَفَرَّغَ

---

١ ـ ميزان الحكمة: ١٣، النوم حديث ٢٠٩١٥.

٢ ـ ميزان الحكمة: ١٣/ ٦٥٥٠، النوم، حديث ٢٠٩٢٤.

لَها فَهُو لاَ يُبالِي عَلى ما أَصْبَحَ مِنَ الدُّنيا عَلى عُسرٍ أم عَلى يُسْرٍ»[١].

«يَقولُ رَبُّكُم: يَابنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبادَتِي أَملأْ قَلبَكَ غِنًى وَأَمْلأْ يَدَيكَ رِزقاً. يَابنَ آدَمَ، لاتَبَاعَد مِنّي فَأَملأُ قَلبَكَ فَقراً وَأَملأُ يَدَيكَ شُغلاً»[٢].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

«قال الله تعالى له في ليلة المعراج: يا أحمد، ليس شيء من العبادة أحبّ اليّ من الصمت والصوم، من صام ولم يحفظ لسانه، كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته، فأعطيه أجر القيام ولم أعطه أجر العابدين».

يا أحمد، هل تدري متى يكون العبد عابداً؟

قال: لا يا ربّ، قال: اذا اجتمع فيه سبع خصال:

ورع يحجزه عن المحارم، وصمت يكفّه عما لا يعنيه، وخوف يزداد في كل يوم من بكائه، وحياء يستحي منّي في الخلاء وأكل ما لابدّ منه ويبغض الدنيا لبغضي لها، ويحب الأخيار لحبّي لهم»[٣].

وجاء في الأثر: ان الله تعالى يقول في بعض كتبه:

«يابن آدم أنا حيّ لا أموت، اطعني فيما أمرت، حتى أجعلك حيّاً لا تموت، يا بن آدم، أنا أقول للشيء كن فيكون، اطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون»[٤].

وجاء في الأثر ان أعظم العبادات هي معرفة الله عزوجل والخضوع له

---

١ ـ الكافي: ٨٣/٢، باب العبادة، حديث ٣.

٢ ـ كنز العمال: ٤٣٦١٤؛ ميزان الحكمة: ٣٤١٢/٧، العبادة، حديث ١١٦٠٨.

٣ ـ مستدرك الوسائل: ١٩/٩، حديث ١٠٠٨٥.

٤ ـ مستدرك الوسائل: ٢٥٨/١١، حديث ١٢٩٢٨.

والاستمرار في ذكره وتمجيد قدرته، والاكثار من قول لا اله إلّا الله ولا حول ولا قوة إلّا بالله، والاخلاص، وعفة النفس والزهد والتفكر والتدبّر واداء الامانة والصمت والحج والصيام، والدعاء وغض البصر عن محارم الله والتذلل لله عزوجل في السرّ والعلن، الكسب الحلال، وحسن الخلق وولاء أهل البيت عليهم السلام.

خدمة الناس واحترام كرامتهم الانسانية

جاء في كثير من الأحاديث الشريفة والاحاديث القدسية ما يؤكد على كرامة المؤمن ما يجعل انتهاك حرمته حرباً على الله عزوجل.

جاء في الحديث القدسي عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام قول الله عزوجل:

«مَن أهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ»[1].

وجاء في الحديث النبوّي الشريف قول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله:

«مَن قَضى لِأخِيهِ ٱلمُؤمنِ حَاجةً، كَانَ كَمَنْ عَبَدَ ٱللّهَ دَهرَهُ»[2].

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«مَن قَضَى لِأخِيهِ ٱلمُؤمِنِ حاجةً قَضَى ٱللّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَومَ ٱلقِيامَةِ مِائَةَ ألفِ حاجَةٍ مِن ذلك أوَّلُها ٱلجَنَّةُ»[3].

وعنه عليه السلام أيضاً:

١ ـ بحار الأنوار: ١٦/٦٧، باب ٤٣، حديث ٨.
٢ ـ أمالي الطوسي: ٤٨١، حديث ١٠٥١؛ ميزان الحكمة: ١٣١٨/٣، الحاجة، حديث ٤٤٦١.
٣ ـ الكافي: ١٩٢/٢، باب قضاء حاجة المؤمن، حديث ١.

«إنَّ العبدَ لَيَمشِي فِي حَاجَةِ أخِيهِ المُؤمِنِ فَيُوكِّلُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ مَلَكَيْنِ وَاحِدٌ عن يمينِهِ وَآخَرُ عَنْ شَمالِهِ يَستَغْفِرَانِ لَهُ رَبَّهُ وَيَدعُوانِ لَه بِقضَاءِ حَاجَتِهِ»[1].

ويقول الامام الصادق عليه السلام راوياً عن آبائه عن جدّه عن الله عزوجل:

«الخَلْقُ عيالي فَأحَبُّهُم إليَّ ألطَفَهُم بِهِم، وَأسعَاهُم فِي حَوَائِجِهم»[2].

وفي هذا المقطع من الدعاء نجد التضرع إلى الله عزوجل في طلب الحاجات يأخذ اتجاهاً متزايداً في طلب القدرة، من أجل القيام بواجب العبادة لله عزوجل بحيث تكون حياة الانسان خدمة متواصلة لله التي تتجسد أيضاً بخدمة عبادالله أيضاً فتكون العبادة دائرة واسعة شاملة لكل النشاط الانساني في مجالات الخير والعمل الصالح.

وهكذا نجد خدمة الناس تصبح شكلاً من العبادة والخدمة لله عزوجل؛ ويكون الطريق إلى تحقيق القرب الالهي من خلال تجسد المفهوم الحقيقي للعبادة.

اليقين

يقول فيلسوف الشرق المعاصر المرحوم العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في تعريف اليقين: بانه العلم الذي لا تشوبه ذرة من الشك[3].

فاليقين حالة راقية جداً من الايمان كما لو أن المرء يؤمن بالنهار وهو في

---

١ ـ وسائل الشيعه: ٣٥٩/١٦، باب استحباب قضاء حاجة المؤمن، حديث ٢١٧٥٨.
٢ ـ الكافي: ١٩٩/٢، باب سعى فى حاجة المؤمن، حديث ١٠.
٣ ـ الميزان: ١٤٠/١٩.

رابعة النهار تغمره اشعة الشمس، وكما لو أنه يؤمن بالليل في قلب الظلمة فيما السماء مرصعة بالنجوم.

وهناك ثلاثة مستويات من اليقين:

١ ـ علم اليقين. ٢ ـ عين اليقين. ٣ ـ حق اليقين.

ويمكن التفريق بين هذه المستويات من خلال التصوير التالي:

يمكن تشبيه علم اليقين بحالة الايمان بوجود النار من خلال رؤية دخان يتصاعد من وراء جدار حينئذ نؤمن بوجود نار.

أما عين اليقين فهي حالة من العلم أكثر رسوخاً من خلال رؤية السنة النار ذاتها.

فيما حق اليقين فهي حالة علمية اشد عمقاً وذلك عندما يحترق المرء بنفس النار.

يقول سيدنا محمد ﷺ:

«علامة الموقن فستة: أيقن بالله حقاً فآمن به وأيقن بان الموت حق فحذره، وأيقن البعث حق فخاف الفضيحة وأيقن بأن الجنة حق فاشتاق إليها، وأيقن بأنّ النار حق فظهر سعيه للنجاة منها، وايقن بان الحساب حق فحاسب نفسه»[1].

ان تحصيل اليقين من خلال القرآن الكريم يكون بالشكل التالي: في البداية يكون التأمل في آيات الوحي وحقانيتها والالتفات إلى هذه الحقيقة وهي أن القرآن يدعو إلى الاتيان بمثله:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[2].

---

١ ـ تحف العقول: مواعظ النبي وحكمه: ٢٠.

٢ ـ سورة البقرة: ٢٣.

ويقول في آية أخرى:

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

وبذلك يحصل لدينا اليقين أن القرآن وهو وحي الله عزوجل وكذا في المعارف الواردة عن أهل البيت عليهم السلام التي هي تفسير وتفصيل وتأويل للقرآن الكريم وبالتالي ندخل في زمرة أهل اليقين.

١ ـ سورة الاسراء: ٨٨.

«اَللَّهُمَّ وَمَنْ أَرَادَنِي بِسُوءٍ فَأَرِدْهُ، وَمَنْ كَادَنِي فَكِدْهُ،»
«وَاجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنِ عَبِيدِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ، وَأَقْرَبِهِمْ مَنْزِلَةً مِنْكَ،»
«وَأَخَصِّهِمْ زُلْفَةً لَدَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ ذٰلِكَ إِلَّا بِفَضْلِكَ، وَجُدْ لِي بِجُودِكَ»
«وَاعْطِفْ عَلَيَّ بِمَجْدِكَ، وَاحْفَظْنِي بِرَحْمَتِكَ»

الشيطان والاهواء النفسية ورفاق السوء كل هؤلاء يتآمرون من أجل اغواء الانسان، وقد تصل المؤامرات الشيطانية التي تجد مساعدة من الاهواء ورفاق السوء حدّاً لا يمكن الخلاص منها إلّا بالاستنجاد بالله عزوجل والاستغاثة واللجوء إليه.

وقد تطرقنا آنفاً إلى إغواء الشيطان ووساوس النفس الأمارة بالسوء ورفيق السوء.

اذا اراد الانسان أن يكون من عباداﷲ المقربين عليه أن يتسلّح بالايمان العميق المقرون باليقين والاخلاص والقيام بالاعمال الصالحة والتحلّي بالاخلاق الحسنة والتقوى اليس هذا القرآن الكريم يعلن بوضوح:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ أَتْقٰيكُمْ﴾[1].

وللتقوى ثلاث مراحل هي:

---

١ ـ سورة الحجرات: ١٣.

التقوى العامة، والخاصة والاخص.

فالتقوى العامّة تتجسد بالقيام بالواجبات والفرائض والانتهاء عن المحرّمات.

والخاصّة: اجتناب المكروهات بل وحتى المباحات إلّا في الضرورة.

والاخص: اجتناب كل شيء يشغل القلب عن ذكر الله.

حكاية

جاء في كتب التراث وفي ترجمة الخواجه نظام الملك انه التقى ذات يوماً رجلاً من الاتقياء فقال له: سلني شيئاً فأُعطيك فأنت محتاج وأنا غني فقال الرجل التقي: أنا لا أسأل من الله إلّا هو لأن الطلب من الله غير الله من تسافل الهمم.

وأنا لا أطلب من الله غير الله فكيف أطلب من غير الله.

فقال الخواجه: إن كنت لا تطلب مني شيئاً فدعني أسألك شيئاً.

فقال الرجل التقي: وما حاجتك؟

قال الخواجه: اذكرني في السعة التي تذكر فيها الله.

فقال الرجل التقي: عند ما يوفقني الله لأن اذكره فاني انسى نفسي فكيف اذكرك[1]؟!

يا من له المجد والعظمة والكرم والجود، ويا منيع الحب والرحمة والعفو، وانظرني برحمتك واغمر وجودي بجودك واعطف علي بمجدك فما لي أحد سواك ولا اله غيرك.

---

١ ـ نفحات الليل: ٢٣٠.

حكاية

الذين يتخلقون باخلاق الحق، سلوكهم ينسجم مع أخلاقهم التي هي اشعاع من اخلاق المحبوب.

وقد جاء في حكايات التراث ان لصاً تسوّر منزل «احمد خضروية» فلم يجد شيئاً ذا قيمة يسرقه؛ فأراد أن يعود ادراجه خاوي اليدين فنادى عليه: يا سارق لا أرضى ان تخرج خالي اليد، فخذ دلواً من الماء واغتسل به غسل التوبة ثم توضأ وصل صلاة التوبة واستغفر، فلعلك تحصل على شيء تخرج به.

فلما طلع الصبح اذا بأحد الأعيان يبعث بمئة دينار هدية للشيخ أحمد فقام الشيخ باعطائها إلى اللص وقال: هذا ثوب ليلة عبادة، فتأثر اللص بشدّة وغمرته حالة من التوبة والاستغفار جعلته يعود إلى الله ويتوب ممّا كان يفعل واصبح رجلاً صالحاً.

« وَٱجْعَلْ لِسَانِي بِذِكْرِكَ لَهِجاً، وَقَلْبِي بِحُبِّكَ مُتَيَّماً، »

« وَ مُنَّ عَلَيَّ بِحُسْنِ إِجَابَتِكَ، وَأَقِلْنِي عَثْرَتِي، وَٱغْفِرْ زَلَّتِي، فَإِنَّكَ قَضَيْتَ عَلَىٰ »

« عِبَادِكَ بِعِبَادَتِكَ، وَأَمَرْتَهُمْ بِدُعَائِكَ، وَضَمِنْتَ لَهُمُ الْإِجَابَةَ، فَإِلَيْكَ يَارَبِّ »

« نَصَبْتُ وَجْهِي، وَإِلَيْكَ يَا رَبِّ مَدَدْتُ يَدِي، فَبِعِزَّتِكَ ٱسْتَجِبْ لِي دُعَائِي، »

« وَبَلِّغْنِي مُنَايَ، وَلَا تَقْطَعْ مِنْ فَضْلِكَ رَجَائِي، »

وَٱكْفِنِي شَرَّ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ مِنْ أَعْدَائِي، »

اللسان

من نعم الله عزوجل على عباده أن منح الانسان نعمة اللسان ينطق به ويعبّر عما يموج في اعماقه من خلاله ويرتبط بابناء نوعه بوسيلة اللغة فلولا اللسان ما كانت لغة ولا كان تفاهم بين بني الانسان.

ومع ذلك يبقى اللسان سلاحاً ذا حدّين، وصدق من قال «اللسان جِرمه صغير وجُرمه كبير» وقد عدّ الفيلسوف العارف محسن الفيض الكاشاني عشرين اثماً يرتكب بوسيلة اللسان منها: الغيبة، البهتان، النميمة، السخرية من الآخرين، بث الشائعات، الكذب، الفحش، والشتائم، والسب.. الخ[1].

---

١ ـ المحجة البيضاء: ١٩٠/٦، كتاب آفات اللسان.

أما القرآن الكريم فلم يسمح باستخدام اللسان إلّا في موارد عشرة:

١ ـ القول الحسن[١] الحديث الحسن.

٢ ـ القول الأحسن[٢] دعوة الناس إلى الله.

٣ ـ القول العدل[٣] في الشهادة للحق.

٤ ـ قول الصدق[٤] في ذكر الخبر.

٥ ـ القول الكريم[٥] في التخاطب مع الوالدين.

٦ ـ القول الليّن[٦] في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧ ـ قول الايمان[٧] الاقرار بتوحيد الله ورسالة النبي ﷺ.

٨ ـ القول السديد[٨] في قول الصواب في كل الظروف.

٩ ـ قول المعروف[٩] في التعامل مع اليتامى.

١٠ ـ القول البليغ[١٠] في الموعظة والنصح والاستدلال.

ويمكن للمرء من خلال هذه الأنواع ان يلج تجارة لا يعرف ارباحها إلّا الله عزوجل، ويحتاج كل نوع من هذه الانواع العشرة في شرحه إلى كتاب مستقل.

ونشير هنا إلى ثواب القول الأحسن والذي يعني الدعوة إلى الله عزوجل

---

١ ـ سورة البقرة: ١٣.

٢ ـ سورة فصلت: ٣٣.

٣ ـ سورة الانعام: ١٥٢.

٤ ـ سورة الشعراء: ٨٤.

٥ ـ سورة الاسراء: ٢٣.

٦ ـ سورة طه: ٤٣.

٧ ـ سورة البقرة: ١٣٦.

٨ ـ سورة النساء: ٩.

٩ ـ سورة النساء: ٥.

١٠ ـ سورة النساء: ٦٣.

وهداية الناس.

يقول سيدنا محمد ﷺ: يوصي علياً لما بعثه إلى اليمن وقد أوصاه إلّا يحارب أحداً حتى يدعوه إلى الحق:

«وَايْمُ اللّهِ لأنْ يَهْدِيَ اللّهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلاً خَيرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمسُ وَغَرَبَتْ»(١).

الصلاة ذكر الله، وتلاوة القرآن ذكر لله والادعية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام هي ذكر الله. وكل ما وافق الموارد العشرة الآنفة هي ذكر لله؛ ويبقى كل حديث وكل قول يدعو الناس إلى الهداية أرفع ذكر واكثره ثواباً.

حكاية

يروي ثقة الاسلام الكليني رحمه الله في كتابه «*روضة الكافي*» عن الامام الصادق عليه السلام انّ عابداً قصم ظهر ابليس بكثرة عبادته، فدعا ابليس شياطينه وسألهم أيهم يستطيع أن يغوي العابد ويصرفه عن العبادة؟ فراح كل شيطان يعرض مكره وحيلته فيردّها عليه ابليس حتى قال أحدهم: سأمكر به من صلاته فاستحسن ابليس حيلته.

فجاء الشيطان إلى صومعة العابد ونشط في الصلاة راكعاً وساجداً حتى لم يجد العابد فرصة يسأله عن سبب نشاطه في العبادة؟ وظل العابد ينتظر حتّى وجد فرصة لذلك؛ فسأله عن علّة نشاطه وكثرة عبادته فقال: ارتكبت ذنباً وندمت ولذلك نشطت في العبادة ولا افتر عنها.

فقال العابد في نفسه من دون روية ولا فكر ماذا لوجاء الموت وهو في

---

١ ـ الكافي: ٢٨/٥، باب وصية رسول الله ﷺ، حديث ٤.

معصية؟ فاستنصحه فقال له الشيطان: أرى أن تزني بامرأة فاجرة مشهورة بالفجور.

فأسرع العابد إلى تلك المرأة ولما رأت المرأة وجه العابد وفي سيماه آثار الصلاح والعبادة ادركت انه مخدوع فقالت له: ايها العابد ان المرء لا يصل إلى مقام السعادة والقرب بالذنوب وما احسب ان من نصحك إلّا ضال مضلّ يريد أن يغويك. فالمعصية تهوي بالانسان ولا تسمو به. فارجع ايها العابد إلى صومعتك ولن تجد الذي نصحك بالمعصية، فلما عاد العابد إلى صومعته لم يجده؛ فأدرك انه لم يكن سوى الشيطان.

وفرح العابد لأن الله عصمه من الاثم بوسيلة تلك المرأة وشاءالله أن يقبض تلك المرأة في تلك الليلة وأوحى الله إلى نبيه في ذلك الزمان ان يخرج الناس لتجهيز المرأة وحضور جنازتها لأن الله غفر لها ذنوبها وادخلها في رحمته لهدايتها أحد عباده.

اجابة الدعاء

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾[1].

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2].

ولكن يجب الالتفات إلى هذه الحقيقة وهي أن اجابة الدعاء لا تتم مع كل دعاء اذ تتوقف على شروط تتعلق بالداعي والدعاء.

فمثلاً يطلب أحدهم ويسأله أن يمنحه أكبر ثروة في العالم وأن يطيل عمره

---

١ ـ سورة البقرة: ١٨٦.

٢ ـ سورة غافر: ٦٠.

إلى يوم القيامة وأن يمنحه جمالاً كحسن يوسف ويكون صوته أكثر سحراً من صوت داود ويكون شجاعاً مقداماً كعلي، وان يكون له نفوذ في كل مكان فيضرّ وينفع حيثما يريد وأينما يشاء.

مثل هذه الدعوات تفتقر إلى الشروط الصحية. العارفون بالحقائق والعاشقون والصادقون الذين تدرجوا في سلّم الكمال هم من تنطبق عليهم شروط الداعي ولذا تجد دعواتهم تنطلق من مصالح دنيوية وأخروية مليئة بالخير للجميع، وهم اذا دعوا الله وسألوا ولم يروا اجابة فإنهم يصبرون لأنهم واثقون من ان الله سبحانه يريد لهم الخير على كل حال فهم يشكرونه على الدوام.

جاء في الأثر: ان الدعاء سلاح الأنبياء وان الدعاء يردّ القضاء المبرم ويدفع أنواع البلاء والدعاء سبب في شفاء أمراض مستعصية.

وتبين الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أن شروط الداعي والدعاء التي تحقق الاجابة هي: الاخلاص في الدعاء والثقة بان الله قادر على كل شيء، واداء الواجبات والقلب السليم ولسان صدق، واللقمة الحلال وأداء حقوق الناس، وحضور القلب أثناء الدعاء ورقته وافتتاح الدعاء ببسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على محمد وآل محمد؛ والاعتراف بالذنوب والتضرّع والتوسل وتعفير الوجه بالارض وأداء ركعتين من الصلاة والايمان باستجابة الدعاء والدعاء للغير قبل الذات واجتناب السؤال والطلب في أمور غير مناسبة والدعاء جماعات والدعاء في الخفاء والخلوة والأمل بالاجابة.

حكاية

عن جابر الجعفي يرفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خرج ثلاثة نفر يسيحون في الأرض، فبينما هم يعبدون الله في كهف في قلّة جبل حتى بدت صخرة من

أعلى الجبل حتى التقمت باب الكهف. فقال بعضهم لبعض: عباد الله والله ما ينجيكم ممّا وقعتم إلّا أن تصدقوا الله، وقلتم ما عملتم لله خالصاً فأنما أسلمتم بالذنوب، فقال أحدهم: اللهم إن كنت تعلم اني طلبت امرأة لحسنها جمالها فأعطيت مالاً ضخماً، حتى اذا قدرت عليها وجلست منها مجلس الرجل من المرأة وذكرت النار، فقمت منها فرقاً منك اللهم فارفع عنا هذه الصخرة فانصدعت حتى نظروا إلى الصدع.

ثم قال الآخر: اللهم ان كنت تعلم اني استأجرت قوماً يحرثون كل رجل منهم بنصف درهم، فلما فرغوا أعطيتم اجورهم فقال: أحدهم قد عملت عمل اثنين والله لا آخذ إلّا درهماً أحداً وترك ماله عندي، فبذرت بذلك النصف الدرهم في الأرض فأخرج الله من ذلك رزقاً وجاء صاحب النصف درهم فأراده فدفعت إليه ثمن عشرة آلاف، فان كنت تعلم إنما فعلته مخافة منك فارفع عنا هذه الصخرة، قال: فانفرجت منهم حتى نظر بعضهم إلى بعض ثم ان الآخر قال: اللهم ان كنت تعلم ان أبي وأمي كانا نائمين فأتيتهما بقعب من لبن (قدح كبير) فخفت أن أضعه أن تمجّ فيه هامة (حشرة)، وكرهت أن أوقظهما من نومهما، فيشق ذلك عليهما فلم أزل كذلك حتى استيقظا وشربا، اللهم فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فارفع عنا هذه الصخرة فانفجرت لهم حتى سهل طريقهم.

ثم قال النبي ﷺ: من صدق الله نجا»[1].

حكاية أخرى

جاء في الأثر ان بني اسرائيل ابتلوا بالقحط سبع سنين فخرج منهم سبعون

---

١ ـ تفسير نور الثقلين: ٣/٢٤٩ ـ ٢٥٠.

ألف إلى الفلاة يستسقون؛ فلعل الله يمطرهم ببركة الدعاء فجاء النداء يا موسى اخبرهم كيف يستجاب لكم وانتم تعصون في الخفاء وقد خبث سرّكم تدعونني ولا تتيقنون الاجابة وقد أمنتم غضبي وانتقامي، فانطلق إلى عبدي بُرخ يدعو لكم.

وأسرع موسى إلى برخ فلم يجده، فرأى ذات يوم فتى اسود على جبهته آثار السجود وقد القى في عنقه شيئاً فظن انه هو فسلّم عليه وسأله عن اسمه فقال: انا برخ فقال موسى عليه السلام كنت ابحث عنك من مدّة فادعو لنا الله يمطرنا. فانطلق إلى الفلاة وراح يناجي الله عزوجل قائلاً: ليس من شأنك يا رب أن تحبس عن عبادك المطر، ولا من صفاتك البخل هل نقص لطفك يا الهي أو تمرّدت الريح على أمرك نفدت خزائنك أو أشتد غضبك على المذنبين أو لم تكن غفاراً قبل خلق الخاطئين؟

فلم يبرح من مكانه حتى انهمر المطر[١].

وحكاية أخرى

كان سعيد بن المسيب من ابرز فقهاء المدينة وقد اثنى عليه الامام السجاد عليه السلام. وكانت له بنت حسناء فأرسل عبدالملك بن مروان من يخطبها له، فامتنع وقال اننا لا نزوّج بناتنا للملوك.

وكان أحد تلامذته غاب عنه مدّة فلمّا حضر سأله عن علّة غيابه فقال: رحم الله زوجتي كنت مشتغلاً بتجهيزها فقال سعيد: أفلا تتزوج قال: ومن أين لي ذلك وليس عندي درهمان قال: أفلا تخطب ابنتي؟ قال: معلّمي يعرف ذلك؛ فعقد له

١ ـ انيس الليل: ٤٥٣.

على ابنته.

يقول تلميذه ان سعيد لم يطرق باب أحد اربعين سنة فجاءني مساءً وطرق الباب فخرجت إليه ورأيت ابنته معه فأدخلها المنزل وانصرف.

قلت لابنته: ما عندك؟

قالت: احفظ القرآن قال: ومهرك: قالت حديث واحد؟

قلت: «جهاد المرأة حسن التبعّل»[١].

هذا سعيد في شأنه ومنزلته وتقواه واخلاصه يروي هذه الحكاية: ضرب القحط المدينة ومنعت السماء غيثها وانطلق الناس إلى ظاهر المدينة يصلون ويدعون ان يسقيهم الله المطر وذهبت معهم ولم أجد بينهم من إذا سأل الله اجابة؛ فرأيت غلاماً أسود قد انتحى إلى ربوة وقد عفر جبهته على الأرض يدعو الله وما اسرع أن مطرت السماء، فتبعته عن بعد حتى رأيته يدخل بيت زين الدين العابدين فاستوهبته الغلام منه، فأمر السجّاد بجمع غلمانه فنظرت إليهم ولم أره بينهم؛ قلت يا مولاي ليس فيهم من ابغي، فقيل بقي غلام واحد وهو غلام الاصطبل فأمر باحضاره فجاء فإذا هو نفس الغلام الذي رأيته عند الربوة فقال الامام السجاد: يا غلام قد وهبتك لسعيد.

فبكى الغلام وقال: يا سعيد لا تفرّق بيني وبين مولاي زين العابدين، فلما رأيته يبكي تركته وخرجت من بيت السجاد. ولما ادرك الغلام ان سرّه قد فشا سجد سجدة طويلة وسأل الله عزوجل ان يقبضه إليه، وفاضت روحه في سجدته ولم اشعر إلّا وطارق يطرق الباب ان احضر تشييع الجنازة.

---

١ ـ الكافي: ٩/٥، باب جهاد الرجل والمرأة، حديث ١.

وحكاية أخرى

جاء في تهذيب الاحكام: ان امرأة كانت تطوف وخلفها رجل فأخرجت ذراعها فمال الرجل بيده حتى وضعها على ذراعها فاثبت الله يده في ذراعها حتى قطع الطواف وأرسل إلى الأمير واجتمع الناس وارسل إلى الفقهاء فجعلوا يقولون: اقطع يده فهو الذي جنى الجناية! فقال: أحد من ولد رسول الله؟ فقالوا: نعم! الحسين بن علي قدم الليلة، فأرسل إليه فدعاه فقال: انظر ما لقي ذان، فاستقبل الكعبة ورفع يديه فمكث طويلاً يدعو ثم جاء اليهما حتى تخلصت يده من يدها فقال الأمير: ألا نعاقبه بما صنع؟ قال: لا»[1].

وحكاية أخرى

جاء في كتب التراث: انه في أيام حكم عبدالله بن طاهر بن الحسين انّ بعض طرق القوافل اصبحت غير آمنة، فأوكل الامير حراستها إلى عدة من حرسه، فأخذوا عشرة من اللصوص إلى مكة المكرمة.

ففرّ أحدهم في منتصف الليل فخاف قائد الحرس أن يظن الأمير ابن طاهر انه قد رشاه له بالفرار فأخذوا حلّاجاً بريئاً وجدوه في الطريق يسافر من مدينة إلى أخرى حتى يحافظ على نفس العدو هو العشرة فأمر الأمير بوضعهم في السجن.

وذات ليلة جاء الحراس وأخذوا اثنين منهم للاعدام أمام الملأ في المدينة.

فقال الحلّاج: أولادي يظنون أني أعمل في المدينة ولا يدرون ان قد أخذني ظالم بلا ذنب وجعلني مع اللصوص في السجن.

---

١ ـ مناقب ابن شهرآشوب: ٥٨/٤، ط دار الاضواء لبنان، ١٩٩١ ـ ١٤١٢ هـ.

فقام إلى الصلاة في تلك الليلة وصلّى ركعتين في جوف الليل ثم سجد سجدة طويلة وراح يدعو ويتضرّع إلى الله أن ينجيه ممّا هو فيه.

وفي تلك الليلة رأى الأمير انه يسقط عن سريره اربع مرّات فهبّ من نومه وتوضأ وصلّى ركعتين وعاد إلى فراشه فرأى في المنام أربع أفاعي سوداء تهجم عليه وتقلب سريره فاستيقظ من النوم مذعوراً ونادى على حرّاسه ليأتوا بفانوس وقال: لابدّ وأن مظلوماً في السجن يدعو عليّ، وراح الحرس يبحثون بين المساجدين فرأوا الحلاج على حال عجيبة فجاءوا به إلى الامير.

ولما اتضح لديه ما فعلوا بالحلّاج امر له بعشرة آلاف دينار وقال له: اسألك ثلاثاً؛ أن تجعلني في حل وأن تقبل مني هذه الهدية، وأن تأتيني كلما عرضت لك حاجة.

فقال الحلاج: أقبل منك اثنين اجعلك في حل واقبل الهدية أما الثالثة فلا وكيف ادع من قلب سريرك من أجلي واطلقني واسأل مخلوقاً ضعيفاً.

اللهم انّا نسألك المغفرة فتجاوز عن ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا اللهم واجعلنا من أحسن عبادك نصيباً عندك يا كريم.

جاء في الأثر أن سيدنا محمد حضر رجلاً يموت فقال له كيف تجد نفسك: قال: أخشى ذنوبي وارجو رحمة ربي. فقال ﷺ:

ما جمع قلب هذين إلّا اراد به الله عزوجل خيراً، آمنه ممّا يخاف وأمّله ما يرجو.

اللهم انا برجو رحمتك، وأنت الرحمن الرحيم كتبت على نفسك الرحمة وقلت في كتابك المنزل على نبيّك المرسل اني انا الغفار الرحيم والعفو الشكور والكريم الرحمن ذو الفضل؛ اللهم نسألك بكل كلمة من كلمات دعاء وليّك علي بن أبي طالب.. اللهم وإنّا واثقون بأن من يرجو رحمتك لا يخرج من بابك خائباً

لانك يا الهنا كريم واكرم الاكرمين.

اللهم وقد غفرت للحرّ الرياحي مع ما أتى به من الذنب العظيم وغفرت لآسية امرأة فرعون بعد ما آمنت بك وقبلت توبة الفضيل بن عياض وتجاوزت عن ذنوب الملايين من البشر كل ذلك بفضلك ورحمتك وأنت قلت في كتابك العزيز:

﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ ٱللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَوْحِ ٱللهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَافِرُونَ ﴾[١].

مطر الرحمة

عن الامام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليه السلام قال:

«قال جاء أهل الكوفة إلى علي فشكوا إليه امساك المطر، وقالوا له: استسق لنا فقال للحسين عليه السلام: قم واستسق؛ فقام وحمد الله واثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وقال: اللهم معطي الخيرات ومنزل البركات، ارسل السماء علينا مدراراً، واسقنا غيثاً مغزاراً، واسعاً غدقاً مجلّلاً سحّا سفوحاً ثجاجاً تنفّس به الضّعف من عبادك وتحيي به الميت من بلادك آمين رب العالمين»[٢].

اللهم وقد أمطرت عبادك رحمة منك فأمطر علينا من بركاتك مطراً تغسل به ذنوبنا وتمحو به خطايانا فنلقاك حين نلقاك راضياً عنّا يا أرحم الراحمين.

حكاية

مرّ شاب في زفاق فرأى طيراً على شجرة فأطلق سهماً فأصاب قلب ابن

---

١ ـ سورة يوسف: ٨٧.

٢ ـ بحارالأنوار: ١٨٧/٤٤، باب ٢٥، حديث ١٦.

صاحب البستان فمات، فقبضوا على ناس في ذلك الزقاق، فجاء الشاب وقال أنا أعرف من فعل ذلك فجاء أبو الصبي وقال: من فعل ذلك؟ قال الشاب: ان الذي فعل ذلك رأى صيداً على شجرة فأطلق سهماً من سهامه فاصاب الصبي وأنا من فعل ذلك، وقد أقررت فاعف عني!

قال ابو الصبي: لم أقررت على نفسك؟

قال الشاب: رجاء لكرمك.

قال أبو الصبي: عفوت عنك[1].

اللهم وهذا عبد من عبيدك عفا عن ذنب من أذنب بحقه وأقرّ على نفسه، ونحن عبيدك المذنبون أقررنا على أنفسنا بخطايانا وذنوبنا فاعف عنا يا كريم!

١ ـ روضة المؤمنين.

«يَا سَرِيعَ ٱلرِّضَا، اِغْفِرْ لِمَنْ لَا يَمْلِكُ إِلَّا ٱلدُّعَاءَ، فَإِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تَشَاءُ،»
«يَا مَنِ ٱسْمُهُ دَوَاءٌ، وَذِكْرُهُ شِفَاءٌ، وَطَاعَتُهُ غِنىً، اِرْحَمْ مَنْ رَأْسُ مَالِهِ ٱلرَّجَاءُ،»
«وَسِلَاحُهُ ٱلْبُكَاءُ، يَا سَابِغَ ٱلنِّعَمِ، يَا دَافِعَ ٱلنِّقَمِ، يَا نُورَ ٱلْمُسْتَوْحِشِينَ فِي ٱلظُّلَمِ،»
«يَا عَالِماً لَا يُعَلَّمُ، صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَٱفْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَصَلَّى ٱللَّهُ»
«عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱلْأَئِمَّةِ ٱلْمَيَامِينِ مِنْ آلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً»

بهذه الكلمات المؤثرة يصل الدعاء إلى نهايته فنجد تسليماً كاملاً من العبد لربّه وانه ليس للانسان شيء إلّا الدعاء فكل شيء بيد الله. وانّه عزوجلّ سريع الرضا وانه مصدر الخير المطلق فاسمه دواء وذكره شفاء وانه ليس لعبده من رأس مال إلّا الأمل والرجاء ولا يملك سلاحاً إلّا كلمات الدعاء وانّ الله عزوجل هو النور الذي يضيء القلوب ويسطع في السماوات والأرض وانه انيس المستوحشين في الظلمات.

ويبقى الدعاء أهم ما يستطيع الانسان أن يقدمه من اجل الخلاص ومن أجل اقامة علاقة قويّة مع الربّ تبارك وتعالى تقوده إلى التكامل المنشود.

وما على الانسان إلّا ان ينتبه وأن يصحو من غفلته لينظر إلى وجه الله وأن الله عزوجل هو الرحمة المطلقة؛ يغفر ذنوب عباده ويمحو السيئات وان الانسان متى قرر العودة إلى الله وجد أبواب المغفرة والتوبة والقبول مفتوحة ووجد الله تواباً غفوراً.

وما أجمل ما قاله سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ :

وَفَدْتُ عَلَى الكَريمِ بِغَيرِ زَادٍ   مِنَ الحَسَنَاتِ وَالقَلبِ السَّلِيمِ
وَحَملُ الزَّادِ أقبَحُ كُل شَيءٍ   إذَا كَانَ الوُفُودُ عَلى الكَريمِ[1]

اللهم انا نتوسّل إليك باسمائك الحسنى أن تغفر لنا وتتجاوز عن خطايانا اللهم وأنت قلت وقولك الحق:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[2].

اللهم فانّا نهتف بك وننادي:

يا الله! يا رحمن! يا رحيم! يا ربّ!

اللهم وإن كانت أسماؤك هم عبادك الكاملون الذين بلغوا مراتب العصمة حتى خلت قلوبهم من كل شيء إلّا منك فانا نقسم عليك بأوليائك المعصومين أن تصفح عنا وتقبلنا وترزقنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وأن تنجينا من النار يا رب!

اللهم ونسألك باسمك العظيم الاعظم ونقسم عليكم بحجتك ووليّك والمهديّ.

«وَهُوَ ٱلَّذِى بِبَقائِهِ بَقِيَتِ ٱلدُّنيا، وَبِيُمْنِهِ رُزِقَ ٱلوَرَى وَبِوُجُودِهِ ثَبَتَتِ ٱلأَرضُ وَٱلسَّمَاءُ».

أن تجعل أمورنا إلى خير وتحسن عاقبتنا.

---

١ ـ انيس الليل: ٥٣٠.
٢ ـ سورة الأعراف: ١٨٠.

حكاية

جاء في كتب التراث ان سيدنا ابراهيم الخليل كان يرعى أغنامه في التلال فظن جمع الملائكة ان حبّ ابراهيم لله ربّما بسبب ما أعطاه من الثروة فأمر الله أمينه جبرائيل أن ينادي فوق التلال : سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح !

ولمّا سمع ابراهيم النداء يمجّد اسم المحبوب ذهل عن نفسه وانطلق وراء النداء وصعد التل فلم يجد أحداً فصاح : يا منادي باسم الحبيب ناد باسمه اعطيك نصف غنمي ، فجاء نداء جبريل :« سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلائِكَةِ وَالرُّوحِ » .

فهام ابراهيم ولهاً ونادى : يا منادي ناد باسم الحبيب اهبك جميع الغنم.

فنادى جبريل.

وحينئذ تأوه ابراهيم ماذا بقي عندي فأعطيك إلّا أن اكون مملوكاً لك !

فيا من اسمه دواء وذكره شفاء وطاعته ثروة وغنى ارحم من رأس ماله الرجاء وسلاحه النوح والبكاء.

يا الله ! يا رب ! يا كريم ! يا حبيب ! يا أنيس ! يا مؤنس ! يا اكرم الاكرمين ! يا ارحم الراحمين ! يا سابغ النعم ! يا دافع النقم ! يا نور المستوحشين في الظلم ! يا عالماً لم يعلم ! صل على محمد وآل محمد.

النهاية

المحتويات



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: ansarian@noornet.net
www.ansariyan.org & www.ansariayn.net